ختام القصة

الإهداء

منذ نحو عشر سنوات اهدانى
صديقى احمد الصاوى محمد
كتابه (رجال ونساء) ..
وهانذا اهديه بدورى هذه
القصة وهى قصة رجل واحد
.. وامراة واحدة . ولكنها
امراة ولا كل النساء !

م. ت.

ختام القصة

الإهداء

منذ نحو عشر سنوات اهدانى
صديقى احمد الصاوى محمد
كتابه (رجال ونساء) ..
وهانذا اهديه بدورى هذه
القصة وهى قصة رجل واحد
.. وامرأة واحدة . ولكنها
امرأة ولا كل النساء !

م. ت.

احب ان يصدقني القراء وانا اقول لهم انني امضيت اياما افكر فى كيف ابدا هذه القصة !

ثم هل اروى الحقيقة كلها ؟ او الجأ الى الاساليب المعروفة التى يعمد اليهـا بعض القصصين فازعم انني حرفت اسـماء الاماكن واستبدلت اسماء باسماء لان اشخاص قصتي او بعضهم لا يزالون على قيد الحياة ! ؟

ولكن هل هى قصة؟ . . اقصد قصة مؤلفة من نسج الخيال ؟

ان صديقي احمد الصاوي محمد يقول : نعـــم !

اما صديقي توفيق الحكيم فانه يصر على انهـا حادث واقعى . معين . وانها ليست قصة من نسج الخيال !

وللقراء بعد أن ينتهوا من تلاوة القصة ان ينضموا فى الراى الى الاستاذ الصاوى او يقفوا الى جانب الاستاذ توفيق الحكيم .

* * *

كان ذلك منذ اربعة اعوام . وكنا نحن الثلاثة فى مصيف راس البر ــ توفيق الحكيم والصاوى وانا ــ وذات مساء من شهر يوليه عام ١٩٤٤ خرجنـا نتمشى على شـاطىء البحر متجهين صـوب الجنـوب . . المـاء والشمس الآفلة الى اليمين . . وصـفوف العشش الى اليسار .

وقلت وانا اشعل سيجارة . . .

ــ ما رايكما فى ان نحاول معا تأليف قصـة الآن ؟ . . احدنا يبدأ . . والثاني يكمل . . والثالث يستمر . . ثم يسـلم خيوط القصة حيث انتهى الى الأول وهكذا . . الى ان ينهى احدنا القصة ويسدل الستار على فصلها الأخير . . .

ووافق الزميـلان . . واتفقنا فى الراى على انه ما دمت انـا صاحب الفكرة فعلى ان ابدا الحديث . . او التاليف . .

وكنـــا نسير على مهل ونسيم البحر يمسح وجوهنا وقد بدأ الظلام يطرد أمامه حمرة الشفق الباهت الضعيف . .
وبدات القصة وقلت . .

* * *

خرج صاحبنا ـ وهو ليس « البطل » فى هذه القصة ـ خرج ذات مساء يتمشى على شاطىءالبحر فى راس البر لأنه كان يحب ان يخلو بنفسه من حين الى حين . ليفكر فى موضوع يصلح لمقال او يصلح لقصة. فقد كان صاحبنا هذا ممن يكسبون عيشهم من القلم . وبينما هو يتحايل على اشعال سيجارة وقداستدار لنسيمالبحر الذى اطفا له عودين من الثقاب . . . تبينت عيناه فى نور الشـفق الضعيف شبح فتاة تندفع من احدى العشش القريبـة المطلة على البحر . . .

وخيل اليه ان الفتاة تجرى نحوه !

ولكنه كان مخطئا . . فقد توقفتالفتاةعند احد العمد المركزة على امتداد طول الشاطىء والمربوطة اليها اطواق النجــاة .

واسندت الفتاة رأسـها الى العمود وكانت تبكى . . .

وكان هناك بين خط المياه وصف العشش مصـباح غاز . . . وقد تجمع نور المصباح فوق طوق النجاة .

وابصر صاحبنا وجه الفتاة . وكان وجها نحيلاً دقيق التقاطيع عليه مسـحة منجمال. ولكنه جمالحزين.

وانبعث من ناحية العشش صوت ينادى : نجوى ! . . نجوى . . انت فين ؟

وانتفضت الفتاة واجابت :

ـ نعم يا أماه ... هأنذى ...

ووقفت الفتاة تمسح دموعها بسرعة قبل ان تعود الى العشة التى انبعث منها الصوت .

* * *

وهنا توقفت وقلت للزميلين:

ـ والآن من الذى يتناول القصة من بعدى ؟

وقال توفيق الحكيم: الصاوى ... وانا بعده .

وسكت الصاوى قليلا . وصديقنا من الأدباء القليلين الذين يملكون ثروة نفيسة من الالفاظ الحارة التى لا غنى عنها فى وصف وقفات الحب ولوعات العاشقين !

وقال الصاوى :

ـ وتقدم صاحبنا من الفتاة وقد راعه جمالها النحيل الحزين . وهدير الموج يقرع حواسه ... ونسيم الليل يذكى فتوته ! ماذا لو احاط الفتاة بذراعيه ومسح دموعها بشفتيه ...

وانفجر توفيق الحكيم ضاحكا وصاح :

ـ ياشيخ حرام عليك ! عايز تبوس البنت وهى حزينة تبكى ؟

وقلت انا : ان الصاوى يعمل دائما بقاعدة ما قل ودل وهو كما ترى يريد ان ينهى القصة فى موقف واحد !

وضحك الصاوى واقترح ان يتناول توفيق القصة من بعدى . ولكن صديقنا توفيق هز راسه وقال ما معناه انه يعتقد اننى أروى لهما حادثةحقيقية وقعت لي فى راس البر فى يوم ما ولكننى أزعم انها مؤلفة . . .

وصديقنا توفيق الحكيم كما ترون كثير الظنون !

واكدت له انه مخطىء فى ظنه.

وقال : طيب استمر ولو قليلا فى القصة ... قبل ان اتناول

خيوطها من يديك !
واستأنفت الحديث ... ومضيت فى تأليف القصة وقلت :

***

وخطر لصاحبنا أن يقترب من الفتاة ليسألها عن سبب بكائها فقد كانت فى نحو الخامسة عشرة من عمرها أى فى السن التى تجيز لرجل فى مثل سنه ولا حرج عليه أن يواسى مثلها . ولكن...ما شأنه هو ؟ وبأي حق ! ... لعله شجار عائلى ... وعلى كل حال فان هناك امرأة نادت الفتاة ـ ولعلها أمها ـ وقد لبت نجوى ـ هذا هو اسمها ـ النداء .

وهز صاحبنا كتفيه واستأنف سيره ولما عاد الى عشته كان قد نسى الفتاة وبكاءها فلم يذكر شيئا عنها لضيفيه وصديقيه الصاوى وتوفيق الحكيم ...

وتناول الثلاثة عشاءهم مبكرين لانهم كانوا قد اتفقوا على مشاهدة الرواية التى كانت فرقة يوسف وهبي تعرضها على مسرح راس البر ذلك المساء ...

وفى طريقهم الى المسرح ابتاعوا صحف المساء .

واخذوا مقاعدهم فى مقصورة . وكان الستار لم يرفع بعد ...

ونشروا الصحف بين أيديهم وراحوا يلقون نظرات سريعة على ما فيها ...

وصاح صاحبنا : لا حول ولا قوة الا بالله ... ولكن المسكين استراح من عذابه الطويل !

قال الصديقان : من ؟

وقال صاحبهما ـ وقد عرفتم الآن اننى هو : ابراهيم

... ابراهيم عصمت ! الا تذكرانه ؟

وتناول توفيق الحكيم الصحيفة من يدى وهو يقول :

كيف لا اذكره ! ولكن اين الخبر .. ؟

وهنا احسست بيد تشد كتفي برفق ... والتفت فاذا بفتاة جالسة في المقصورة التي الى يسارنا وقد انحنت نحونا قليلا لكي تهمس :

ــ ارجوكم ... استحلفكم الله ... اتركوا الآن هذا الحديث !

واستدارت الفتاة بسرعة كأنها كانت تخشى ان تسمعها السيدة الجالسة معها في المقصورة وكانت تدير ظهرها الينا .

وطوى توفيق الحكيم صحيفة المساء دون ان يقرأ الخبر ...

وتبادلنا النظرات ... ترى من تكون الفتاة ؟ وما شأنها ؟ ..

ولم اقل انا شيئا ... ولكني عرفت الفتاة ... ووجهها الناحل الدقيق وجمالها الحزين .. لقد كانت نفس الفتاة التي رايتها تبكي على شاطىء البحر هذا المساء .

***

ومرة ثانية توقفت عن الحديث وكنا لا نزال نمشي على شاطىء البحر . قلت : والآن جاء دورك ياتوفيق ؟

وقال توفيق : ولكن فرقة يوسف وهبى ليست موجودة في راس البر ... ولا نحن في نيتنا ان نذهب الى المسرح هذا المساء '

قلت : اعرف ذلك .. ولكننا نؤلف قصة .. قصة من نسج الخيال . .

وهز توفيق الحكيم راسـه وقال :

ـ ما زلت أعتقد ان هذه الحادثة وقعت لك حقيقة وتريد الآن أن ترويها لنـا كقصـة . .

ووقف بنا الحديث هنا . . . ولم نتكلم بعدها فى شـأن هذه القصة . . وكان هذا كما قلت ذات مساءمن شهر يوليوسنة١٩٤٤

وهانذا اتناول خيوط القصة من حيث تركتها واكمل الحديث فى شهر اكتوبر سنة ١٩٤٨ . . .

* * *

ولكنى احب ان انبه القارىء الى هذه الحقيقة وهى ان كل ما دار بين الصديقين وبيني فى السطور السابقة قد وقع فعلا وقيل فعلا . . .

وأما الحديث الذى سوف يجرى بينهماوبينى فيما يلي وكذلك العبارات التى سوف اجريها على لسانيهما . . فانه كله تأليف ومن نسج الخيال .

* * *

ورفع الستار . . . واعتدلنا فى جلستنا نرقب التمثيل . . . وكانوا يمثلون رواية الاستعباد . . .

وفجأة « زغدنى » توفيق الحكيم بقوة وقال فى اذنى همسا :

ـ سهاد . . ان سهاد فى المقصورة المجاورة !

واجبته همسا : نعـم . . . لقد عرفتها من جلستها وقبل ان تراها انت !

وكنت ادركت من تكون الفتاة . . من هى نجوى هـذه . . . وعرفت سر بكائها على شاطىء البحر ! . .

انها ابنة ابراهيم عصمت الذى قرات خبر وفاته فى صـحف المساء . . . والتى نادتها عـلى شاطىء البحر هى امها سهاد !.

وعجبت كيف لم أعرف صوت سهاد ... وهى تنادى ابنتها نجوى ! لعله هدير أمواج البحر او لعله مر السنين ..

وانتهى الفصل الأول . ونزل الستار ...

واضيئت الأنوار . .

ومر بالمقاصير احد خدم المقصف الملحق بالمسرح واستدارت سهاد فى جلستها تستوقفه وتطلب منه أن يأتيها بقدح من القهوة..

وهنا وقعت عيناها علينا فابتسمت وحنت رأسها ...

ورددت لها التحية من مقعدى وأنا جالس . وأما صديقنا توفيق الحكيم فقد وقف وانحنى نحو مقصورتها ومد يده يصافحها ويهزها بحرارة ويقول :

ــ والله سلامات .. فين من زمان .. (ثم كأنما تذكر أمرا فقال) .. آه من حق .. البقية فى حياتك .. كلنا لها وآدى حال الدنيا ..

وتجهم وجه المرأة .. ولم تجب على تعزية توفيق بكلمة واحدة .

وشددته بعنف من طرف سترته . ولما جلس قلت له همسا ــ وكان الصاوى يحاول أن يكتم ضحكة حتى لا تسمعه سهاد والفتاة ــ قلت له :

ــ يا اخي ... دائما سارح فى ملكوت ! .. ما هذه الجليطة ؟ ! البقية فى حياتك ايه وزفت ايه ؟ ! .. وهل هذا كلام يقال لسهاد بعد الذى كان بينها وبين ابراهيم ؟

وقال توفيق : صحيح .. آه صحيح .. لا .. لازم اعتذر لها !

وهم بالوقوف مرة أخرى لكى يعتذر اليها ولكننا ــ الصاوى وانا ــ شددناه من سترته فجلس ونحن نزغده بشدة ونقول :

ــ كفايه باه ... جليطه !

* * *

ولم يدر بعدها حديث بينناعن سهاد . كما أنها حرصت علىأن ولينـــا ظهرها طول بقيـــة فصول الرواية بل وحتى فى فترات الاســـتراحة . .

ونزل الستار على الفصل الأخير . . وقمنا نريد الخروج . . ونهضت ســهاد واقفة ومعها ابنتها نجوى . . .

وفى الممر الضيق وقفنا جانبا لكى ندعها تمر هىوابنتها قبلنا . .

وقالت هى : ـ كيف حالك يا أســـتاذ ؟

قلت : بخير . . . وانت ؟

قالت : الحمد لله هل تقيم طويلا فى راس البر ؟

قلت : اننى هنا منذ شهر وساقضى فى راس البر بقية الصيف . . . وانت ؟

قالت : هذه اول مرة أزورفيها رأس البر . . وأقــول لك الحق . . . انهـــا لم تعجبني !

قلت : طبعا . . . لأنها هادئة زيادة عن اللزوم !

وانسابت الى من عينيها نظرة طويلة اعرفهاعنها من قديم**وقالت** :

ـ على كل حال لن تطول اقامتى فيها . . وقد ابرحها فى نهاية الاسبوع مع يوسف بك . . . .

قلت : وهل تنوين العودة الى المسرح ؟

قالت : انا لم اهجر المسرح ولكنى اعطيت نفسىاجازةطويلة. . وانا على موعد مع يوسف لكى نتكلم فى الموضوع . .

ومشينا خلفها وخلف ابنتها الى باب الخروج . .

وحيتنـــا بيدها . . وانصرفنا نحن بعد ان رأيناها تجلس هى وابنتهـــا الى مائدة فى مقصف المسرح . . تنتظر طبعا الاســـتاذ يوسف بك وهبى .

* * *

وقال صديقنا الصاوى ونحن فى طريقنا الى العشة :

ــ يخيل الى انك كنت دائما تعرف عن سهاد وابراهيم أكثر مما يبدو عليك ؟

قلت : هذا صحيح . .

وقال توفيق الحكيم : يالها من امرأة . . . يموت زوجها فى الصباح . . وتذهب الى المسرح فى المساء !

قلت : لانك لا تعرفها . . كما اعرفها أنا !

قال : عرفتها فقط كممثلة . . وأية ممثلة !

قلت : لأن التمثيل فى طبيعتها . .

الصاوى : يبدو من لهجتك انك حانق عليها !

قلت : لأنها نكبت رجلا كان يرجى منه خير كثير . . .

قال : تقصد ابراهيم عصمت ؟

قلت : نعم . . .

وقال توفيق الحكيم : لقد تضاربت الأقوال فى شأنهما ــ أقصد سهاد وابراهيم ــ وأي الاثنين هو الذى خلق صاحبه ونفخ فيه من روحه ! اهى التى جعلت منه مؤلفا مسرحيا قل ان يكون له نظير؟ ام هوالذى جعل منها كوكبا يكسف نوره كل نور ؟

قلت : ان وراء هذا كله قصة طويلة .

وكنا قد وصلنا الى العشة . . وجلسنا كعادتنا فى مقاعدنا الطويلة المريحة على الشرفة . . وبيننا وبين البحر بضعة أمتار . .

وقلت : وانا املأ قدحا للصاوى ومثله لتوفيق الحكيم :

ــ هل تحبان ان تسمعا القصة ؟

قالا : نعم . .

وبدأت أروى قصة ابراهيم وسهاد . . .

* * *

لا اذكر على وجه التحديد كيف واين قابلت ابراهيم اول مرة .
هل كانت مقابلتنا الاولى على السلم المظلم الضيق فى الدار العتيقة ؟
أو كانت امام دكان عبد العـزيز البقال .. لست اذكر . ولكننى
اذكر تماما اننى نسيت ادبي وحملقت فيه عندما وقع بصرى عليه
لاول مرة . ولعلكما تفهمان السبب فقد كان لابراهيم رأس يفرض
الاعجاب والعجب .. كان ابراهيم كمـا تذكران متوسط القـامة
نحيل الجسم عادى الوجه والتقاطيع الى الأنف وما دونه . . .
اما ما فوق الانف . ولكن الا يحسن ان اروى لكما القصة من اولها ؟
ونفث الصاوى دخان سيجاره الهافانا الغليظ الطويل وقال :
ـ لعلك تقصـــد عينيه الواسعتين اللتين غلب فيهما الســواد
البياض .. والخصلة الحمراء الداكنة فى فحمة شعره الأسود البهيم ؟
قلت : نعـــم .
وقال توفيق الحكيم : وانا ايضا دهشت اول مرة رأيته فيها .
واذكر اننى قلت للمرحوم تقلا باشا ـ وكان ابراهيم يعرض عليه
بعض الاوراق ـ اذكر اننى قلت له . . .
وهنا قاطعه **الصاوى قائلا** : ولكن الا نسمع الحكاية اولا ؟
واسرع **توفيق يقول** : نعم ... نعم .. لا مؤاخذة !
واستأنفت الحديث . . .

* * *

كان هذا عام ١٩٢٦ وكنت يومئذ طالبا بمدرسة الحقوق ـ ولم تكن
سميت بعد كلية الحقوق ـ وكنت استأجرت شقة صغيرة بدار
متواضعة فى شـارع الواردى بحى المنيرة . وكان مسكنى المكون
من غرفتين اثنتين يشـغل الطـابق الأول كله ... ولقد مر على
نحو شهر قبل ان اعرف او القى احدا من جيرانى سكان هذه الدار
ـ ولكننى كنت اسمع احيانا وخصوصا فى المساء صوت فتاة تغني

... وكان مصدر الصوت الطابق الاعلى أي الدور الثانى والأخير او « السطوح » كما كان يسميه خادمى عبد السميع .

وكان فى صوت الفتاة شيء ما ! شيء يخطئه الوصف والتحديد !

لم يكن جميلا بالمعنى المفهوم ... ولكنه كان قويا عميقا صافى النبرات . حزينا كالخريف . مبهما كنور الفجر . وكان فيه نداء من الاعماق ... نداء ينفذ الى الاعماق ! وخيل الى أول مرة سمعته انه نداء الأنثى للذكر ... نداء الأنثى التى تطوف فى الغابة تبحث عن اليفها الموعود !

واحيانا اخرى كنت اسمع نفس الصوت ولكن فى صرخات متلاحقة ! صرخات يمزقها الألم والعويل ... واسمع من فوق سقف مسكنى وقع اقدام تجرى وراء أقدام ... وأبوابا تصفق بشدة .. وبكاء يعلوه صراخ .. وصراخا ممزوجا بنحيب ...

وقال لى مرة خادمى عبد السميع وكان يضع أمامى طعام العشاء « هذه ست ام عبده الخياطة تضرب ابنتها حميدة ! »

وهكذا انقضى الشهر الاول فى مسكنى هذا . وقلما مر يوم فيه دون ان اسمع صوت حميده مرتفعا بالغناء او صارخا من الألم مملوءا بالبكاء ! وكنت اعجب من أمر هذه الفتاة التى قسمت حياتها او قسمت لها الحياة بين الغناء والبكاء .. وكنت اعجب اكثر واكثر من قدرتها على نفسها وكيف انها تستطيع ان تمضى ليلتها فى الصراخ والالم والبكاء فاذا اصبحت نسيت ليلتها واستطاعت ان تملأ البيت غناء بصوتها القوى العميق الحزين !

الى ان كان ذات يوم .. وكنت اهم بالخروج الى الشارع ... وبينما أنا اضع يدى على « مزلاج » الباب فتح باب الشقة او « منادر » الدور الارضى كما كان يسميها عبد السميع وبدا أمام ناظرى ابراهيم وقد احاط بذراعه كتف فتاة ... وكانت

الفتاة تبكى .

وعرفت الفتاة من صوت بكائها . وكانت حميدة ... اما الشاب فكنت رايته قبل ذلك مرة او مرتين وان كنت لا اذكر على وجه التحديد متى واين كما سبق أن قلت . وكنت سمعت من خادمى أن اسمه ابراهيم ـ ابراهيم افندى ـ ومهنته « جورنالجى » وانه يعمل بجريدة الاهرام .

ولما عدت الى مسكنى فى المساء قابلنى خادمى عبد السميع بابتسامته وقال : ان ست أم عبده نزلت خصيصا لتدعونى لتناول الشربات ...

قلت : الشربات ؟ ولماذا ؟

وقال الخادم : لان ابنتهـا حميدة خطبت اليوم لابراهيم .

* * *

وهنا توقفت قليلا عن الحديث

وقال توفيق الحكيم : اذن فقد كان ابراهيم حديث العهد بالزواج يوم رايته اول مرة فى مكتب المرحوم الاستاذ داود بركات بجريدة الاهرام ..

سألته : ومتى كان ذلك ؟

قال : بعد عودتى من باريس فى اواخر عام ١٩٢٦ ..

قلت : نعم . وكان ابراهيم لا يزال يعمل بجريدة الاهرام . ولم يكن يومئذ شيئا مذكورا ..

وهنا قال الصاوى : اذن فقد استطاع ابراهيم هذا ان يقفز الى القمة فى عام واحد وبعض عام ؟ لاننى لما عدت من باريس فى اوائل عام ١٩٢٨ كان ابراهيم عصمت مؤلفا مسرحيا يشار اليه بلبنان ..

قلت : نعم .. فى عام واحد ! كما استطاعت حميدة فى هذا

العام الواحد ان تصعد درجات المجد وان تمسى وتصبح فاذابها اميرة الدراما من غير منـــازع ، وكوكب مسرح رمسيس .

قال توفيق : حميدة ؟! تقصد ســهاد !

قلت : نعم لان حميــدة هي سهاد ! . . . لقد راوا ان اسم حميدة ـ حميـــدة بنت ست ام عبده الخياطة ـ ليس بالاسم المسرحى اللائق فاختـــاروا لهــا اسم « سهاد »

* * *

واستانفت الحديث . . .

وكلاكما يا صـــديقى قـدعرف ابراهيم وســهاد . . . وخصوصا سهاد . . . واذا لم تخنى الذاكرة فان الصاوى كتب عنها مرة يشبهها بممثلة فرنسا الخـــالدة « راشيل » ويقول عن ابراهيم انه مؤلف مسرحى ساحر وانه شبيه بســاردو ! واما انت يا توفيق وارجوك ان لا تهز راسك هكذا بشدة كانك تنكر مقدما ما سأقوله ! ـ واما انت فقد جننت حبا بسهاد . . ارجوك ! . لاتقاطعنى ! . . وعلى كل حال فان مجلات ذلك العهد وعلى رأسها الكشكول كانت دائما تشير فى عبـــارات صريحة الى اعجابك بكوكب مسرح رمسيس حتى لقد زعموا فى يوم ما انك تكتب مسرحية خصيصا لها . .

(توفيق الحكيم) : هذا كذب وتشنيع . . .

ـ والآن . . . . اين وقفت بالحديث ! . . آه . . كنت اتكلم عن خطبة حميدة ـ او سهاد ـ لابراهيم . . ولعله يحسن بى ان اصف هنـــا قبل ان امضى فى الرواية ماذا كان شعورى عندما رايت ابراهيم وحميدة اول مرة . . اما ابراهيم فقد وصفتـــه انت يا عزيزى الصـــاوى ادق وصف لان ابراهيم لم يكن فيه الا راســه وعيناه ! . . عينــاه الواسعتان اللتان يغلب سوادهما

البياض .. ورأسه الكبير من فوق عنق نحيل .. وخصلة الشعر الاحمر الداكن وسط شعر راسه الحالك السواداشبه بالجمرة الملتهبة فى ظلمة ليل بهيم ! .. ثم فمه الواسع وشفتاه الغليظتان ! ... واول أثر استقر فى نفسى عند رؤيته ان هذا الرجل يجمع فى نفسه بين النقيضين : بين القسوة والحنان .. ممكن ان يكون قديسا أو شيطانا ... عبقريا أو مجنونا وما ادق الشعرة التى تفصل بين حد العبقرية وحد الجنون ! .. ولكنه لن يكون عاديا ولا رجلا وسطا .. تلك لم تكن طبيعته ! .. فقد كان فى اغوار عينيه قوى زاخرة تتحفز للوثوب!

هكذا رايت ابراهيم أول مرة .. واما حميدة .. فماذا اقول عنها ؟ كان جمالها ـ او بعبارة أدق ـ كانت حلاوتها فى انوثتها الطاغية ! كانت انثى .. انثى بكل ما فى هذه الكلمة من معنى خفى ومعنى صريح .. والنداء الذى تبينته فى صوتها وهى تغنى .. نداء الانثى للذكر .. هذا النداء كان دائما ابدا فى عينيها الزرقاوين .. كانت قمحية اللون .. لون شعرها اسود .. انفها دقيق مرهف الطاقتين .. ممتلئة الصدر قليلا .. بارزة النهدين فى غير جهد ولا كلفة .. وقالت لى مرة : ان اباها كان من ابناء بلدة فارسكور ! .. وهذا يفسر زرقة عينيها بالرغم من سمرة الوجه

ولكن اعجب ما عجبت له من امرها يومئذ هو حبها الشديد للترف .. ولكل ما هو جميل ! .. وكانت امها خياطة كما قلت . وخياطة رخيصة اجرها ريال واحد عن خياطة الثوب او الفستان . وكانت ترسل حميدة الى زبائنها تحمل لهم الثوب الجديد وتقبض الاجر . ولكن حميدة كانت تحب الزهور والعطور والفواكه المجففة والحلوى بأنواعها ... وكانت تهوى السينما وخصوصا الافلام الموسيقية .. ومن هنا قل ان

عادت يوما الى امها تحمل لهـا الاجر كاملا غير منقوص . وكانت امها تنهال عليها ضربا .. وذات يوم خرجت حميدة تحمل عدة فساتين وكان عليها ان تعـود بأجرها وكان جنيها كاملا ... ولكنها اشترت زجاجـة عطر وصندوقا من الحلوى .. وطار الجنيه ... وخشيت حميـدة العاقبـة ــ او كمـا قالت لى بابتسامة وهى تروى لى هذه القصة ذات مساء أمام خطيبها ابراهيم ...

قالت : « وطـار الجنيـه . وخفت ان يطير عقل أمي وتضربنى ضربة اروح فيها .. » ــ وعادت الى الدار وطرقت باب ابراهيم .. وكان هذا قبل ان أسكن اناقى هذه الدار . وقصت عليه الحكاية وفزعت الى مروءته وامسـكت حميدة يد ابراهيم عندما انتهت الى هذه النقطة من حكايتهـا وقالت :

ــ وهكذا عرفت ابراهيم !

ولكنى لم اذكر بعد كيف عرفت ابراهيم .. كنا قد تبادلنا التحية مرتين أو ثلاث مرات .. أمام دكان البقال عبد العزيز أو فى صحن الدار .. وذات مساء صعـد الى في مسكنى يسألنى ان اعيره قاموسا فرنسيا ثم قال وانا اناوله القاموس :

ــ أرى انك تحب القصص المسرحى ...

واشـار بيـده الى بضـعة مجـلدات من قصص مجـلة (الالستراسيون)

قلت : نعم . وانت ؟

وخيل الى انه سكت لحظـة قبل ان يقول :

ــ وانا أيضا ولكن .. ولكن ما قراته منها قليل حتى اليوم .

ثم تقدم خطوتين وراح يجيل بصره فى بعض مجلدات على رف الكتب . ثم تنـاول احـدها وسـألنى :

ـ هـل تعجب بجبرييل دانونزيو ؟ . .

قلت : اعجب بشعره أكثر من مسرحياته !

قال : لقد قرات له مسرحية « المدينة الميتة » وانت طبعـا قرأتها فهى احدى القصص التى يضمها هذا المجلد . مارايك فيها ؟

قلت : تصلح لأن تكون قصيدة لا مسرحية . ثم هى بعـد ذلك قصيدة أوحى بها خيال مريض !

وخيل الى أن عينيه الواسعتين تحدقان فى لاشىء . . وتحدقان طويلا قبل أن يقول :

ـ لا ادرى . لقد كان يعشق شقيقته . . ولقـد انتهى الى ضرورة قتلها لـكى يقتـل فى صدره هذا الحب الدنس ! اظن اننى أستطيع ان افهمه . . !

وضـحكت انا وقلت : لـكى تفهم هذه القصة يجب أن تعرف حياة هذا الشاعر الايطالى . .

قال : حدثنى عنه . .

ثم استدرك وقال :

ـ معذرة . ولكنك مشغول الآن بدروسك . . .

قلت : هو ذلك . ولـكننى سأزورك ذات مساء ونتحـدث معا عن دانونزيو

ثم ناولته مجلد مسرحيات دانونزيو وانا أقول :

ـ تستطيع ان تقرأها . . . وتعيدها الى . .

قال شاكرا : وبعد ان أعيدها تعيرنى سواها ؟

قلت : بكل سرور . . لك ان تستعير من كتبى ما تشاء . . . ثم اضفت وانا اضحك) ماعدا طبعا كتب القانون فما أظنهـا تهمك !

وشكرنى مرة أخرى وانصرف

وادركت انا معنى قوله ان ما قراه من القصص المسرحى قليل .. لم تكن الرغبة فى القراءة والاطلاع هى التى تنقصه .. ولكن المال الذى يشترى به الكتب هو الذى كان ينقصه .

* * *

وكثرت مقابلاتنا بعد ذلك . وكنت ازوره فى مسكنه عند عودتى من الخارج وأتناول معه القهوة التى كان يجيد صنعها . وفى امسيات الخميس كنت أدعوه هو وخطيبته حميدة لمشاهدة السينما او احدى روايات يوسف وهبى ونتناول العشاء عند الحاتى او فى احد مطاعم شارع عماد الدين وكانت حميدة تسر كثيرا بهذه السهرات .. ولكنى كنت آخذ عليها نظراتها الجريئة .. تتفرس فى وجوه من حوالنا .. وذات مرة خيل الى ان عينيها تبتسمان لشاب وسيم المنظر كان يطيل النظر اليها من مائدة قريبة !

وذات مساء بعد أن عدنا من سهرتنا ــ وقد صعدت حميدة الى مسكنها « فوق السطوح » دعوت ابراهيم لتناول قدح من الشاى فى مسكنى ...

وقال ابراهيم : غدا سأسمع كلاما كثيرا من ست ام عبده !

قلت : لماذا ؟

قال : لانها تعترض على خروج حميدة معى وخصوصا فى السهرة !

قلت بابتسامة : ولماذا لا تعجل بالزواج ؟

قال : وهذا هو ما تلح فيه ست ام عبده ...

قلت : وانت ؟

قال : افضل الانتظار قليلا

سألته : ولماذا ؟ ألست واثقا من حبك لها ؟

وهنا انفجر قائلا : حبى ! لو استطعت أن اجمع لها الدنيا وما

فيها فى قبضة يد واحدة لفعلت ...

تم هدأ قليلا وقال : انها كل شيء لى ! .. وانى لاعجب كيف كانت حياتى قبل أن القاها ! .. ولـــكن كيف اتزوج واعيش واسعدها بمرتب ستة جنيهات فى الشهر ! .. أتدرى اننى لم أسدد بعد لعبد العزيز البقــال الجنيـــه الذى كنت أقرضتها اياه ! .. انها لم تقل لك اننى خرجت يومها ورهنت ســاعتى عنــد البقــال واقترضت منه الجنيه ! ...

ثم أسرع يقول وطاقة انفــه ترتجف وقد غاب بياض العينين فى سوادهمــا :

ــ أرجوك أن لا تظن اننى اذكر لك هذا ...

وفهمت انا ماذا يريد ان يقول وقاطعته قائلا :

ــ طبعا لا ...

وأخيرا سألته بعد أن ســاد السكون لحظات :

ــ وما هو عملك فى جريدة الاهرام ؟

وهز كتفيه وقال بمرارة :

ــ مراجعة دفتر المشتركين ... ولقــد حاولت مرارا ان أكتب ...

ثم خبط مكتبى بقبضة يده وهو يقول :

ــ انا عارف انى اقدر أكتب ... اكتب اى حاجـــه ... وخصوصا للمسرح

ولم استطع أن اخفى دهشتى .. ولعله رأى فيها دهشـــة ساخرة لانه قال :

ــ وانت ايضا !

قلت : معذرة ! لا تغضب .ولكن الكتابة وخصــوصا الكتابة للمسرح فن له قواعد وله أصول

وقــذف ابراهيم فى وجهى بهذه العبارة :

ـ الفن والقواعد والاصول ! وعلى يدى اى اســـتاذ درس يوسف وهبى فــن الــكتابة والقواعد والاصول وهو الذى يخرج قصة مسرحية ناجحــة من تاليفه فى كل اسبوع !

وقلت وانا اهدىء ســورة غضبه :

ـ معك حق . . . وهل حاولت الـكتابة فعــلا ؟

قال : نعم . . كتبت مرة قصة قصيرة ودخلت بها على رئيس التحرير الاســتاذ داود بركات فضحك فى وجهى وهو يلقى بها فى سلة المهملات دون ان يقراها ويقول : الاهرام لا تنشر مثــل هذا الكلام الفارغ . . انتبـــه لعملك احســن . . !

سألته : وبعدها ؟

قال وهو يمسح عرق جبينه :

ـ بعــدها ابقيت لنفسى ما اكتبه .

ـ وهــل عنــدك منـــه شىء الآن ؟

قال : نعم . . . مشهد قصير . . حوار بين البطل والبطلة . . واريد ان اجعل منه نواة ابنى حولها قصة مسرحية !

قلت بابتسـامة : ولكن هــذه هى طريقة جديدة . . العــادة جرت على أن يحدد المؤلف موضوع او فــكرة القصـــة . . . ويرسم شـــخصياتها ويحــدد دور كل منهم . . . ثم يبدا . . ولكنك بدات من الوسط اومن النهاية . . وتريد ان تعود الى البــداية . .

قال : ولم لا ؟ . . الحقيقــة انها فــكرة حميدة . .

وضــحكت انا واشترك هو معى فى الضحك وقال :

ـ كنا جالســين معــا ذات مســاء . . .

وهنا تردد قليلا وهو يقول فى شىء من الخجل :

ــ وكنت احدثها عن حبى لها .. وكانت هى تحاورنى فى الحب ومعانيه .. وفى دور الرجل وفى دور المراة ... ثم اقترحت على أن أكتب هذا الحوار ... ولقد كتبت المشهد فعلا .. وطبعا بعد الاضافة والتحوير ..

وقلت : هل استطيع أن اقرا هذا المشهد الذى كتبته ... هذا اذا كنت تقيم وزنا لرايى .

قال : بكل تأكيد وسآتيك به غدا !

❊ ❊ ❊

وفى مساء اليوم التالى جاءنى ابراهيم ومعه حميدة ... واخرج من جيبه بضع أوراق ... ثم مد يده وامسك برهة بيد حميدة وكأنما اراد أن يستمد منها الشجاعة والعون فى هذا الامتحان الذى يؤديه امامى . وشعرت من ارتباكه انه يعلق آمالا كبيرة على رايى فيما كتب !

واحسست ان امامى طفلا وان يكن يكبرنى فى السن بنحو عامين ، واحسست أيضا شيئا من الندم لاننى طلبت منه أن يقرا لى ما كتب ! ماذا أقول اذا لم يعجبنى هذا المشهد التمثيلى ؟ وهل استطيع أن اخفى من وجهى حقيقة رايى فيه ؟ .

واما حميدة فقد وضعت ساقا على ساق ومدت ذراعها فوق مكتبى تدق بأصبعها دقا خفيفا وتنظر الى بهدوء نظرات طويلة متصلة .. ثم تحول عينيها الى ابراهيم وتبتسم ...

وبدا ابراهيم يقرأ ...

(هو وهى واقفان فى شرفة تطل على النيل ...)

وهنا قالت حميدة وهى تضحك :

ــ والحقيقة اننا كنا جالسين على مقعد حجرى على شاطىء النيل امام فندق سمير اميس !

واستانف ابراهيم القراءة . . .

(هى) : لم نتقابل منذ اسبوع

(هو) : نعم . كنت مرهقا بالعمل

(هى) : العمل ؟ او الندم ؟

(هو) : الندم ؟ . . اننى لا افهم !

(هى) : الندم او الخجل . . اختر منهما ما تشاء !

(هو) : ولكنى لا افهم !

(هى) : ولا انا . . !

(هو) : احس انك غاضبة منى !

(هى) : لعل غضبى من نفسى اشد واقوى !

(هو) : ولكنى لا افهم لماذا !

(هى بسخرية) : طبعا ! لان من حقك ايها السيد ان تمنح وتمنع . . وان تعطى وتحرم متى تشاء !

(هو) : قلت لك اننى لا افهم . لم لا تفصحين !

(هى بغضب) : تأخذنى بين ذراعيك . . . وتحرق شفتى بقبلاتك . . . وتعبث يداك بصدرى . . ثم تغيب اسبوعا ولا اراك . . لانك مرهق بالعمل ! . .

(هو) : العمل من اجلك . . من اجل مستقبلنا نحن الاثنين !

(هى ساخرة) : العمل للمستقبل ! . . الحجة التى يسوقها الرجل عندما يسأم الحاضر !

(هو) : الا تثقين بى ؟

(هى) : لقد وثقت بك فى تلك الليلة !

(هو) : والآن ؟

(هى) : والآن صدقت امى ! . .

(هو) :وماذا قالت أمك !

(هى) : كانت تحفظ درسا .. وطالما الحت على ان احفظـه !

(هو) : وما هو الدرس ؟

(هى) : ان الرجل يحرص على المراة التى لا تعطيه الا بقدر معلوم ! .. ويسأم المرأة التى تجزل له فى العطاء!

(هو بسخرية) : وهذا الدرس على يدى اى استاذ تلقته امك ؟

(هى) : على يدى ابى ! .. لقد حرقت نفسها بين ذراعيه ! .. وبعد شهرين اثنين هجرها الى امراة اخرى .. هجرها بعد ان لم يبق عندها شىء تعطيه اياه ! ..

(هو) : وتريدين الآن ؟

(هى) : والآن وددت لو استطيع ان ارد الـزمن القهقرى الى تلك الليلة ..

(هو) : وماذا كنت تفعلين !

(هى تقترب منه) : كنت القى عليك درسا فى الغزل ! درسا فيما يحبه الرجل ! .. ادعك تمسك بيدى هكذا .. وتتحسس بيدك الاخرى ذراعى العارية هكذا .. واصد عنك قليلا .. وقليلاهكذا .. ولكننى فى النهاية اتركك تقبلنى .. مره واحدة .. لا كما تركتك تفعل بى ذلك المســاء ! .. فاذا ما قبلتنى ضحكت فى وجهك .. وانفلت من بين ذراعيك .. وسخرت من قبلتك وقلت لك ان هناك من يجيد القبلة خيرا منك ..وتركتك حائرا تتخبط هل انا اجد او امزح ! .. واى فتــاة انا بين الفتيــات ! .. ليتنى القيت عليك هــذا الدرس فى ذلك

المساء اذن لما كنت هجرتني اسبوعا طويلا !

(هو) : ولكنك تتكلمين كأنني لست اول رجل قبلك؟

(هى) : ولا انا اول فتاة قبلتها !

(هو) : كان يحسن بك ان تخفى عنى هذه الحقيقة .

(هى) : ولكنى اريدك حبيبا يعرف كل شيء . . قبل ان تكون زوجا يجهل كل شيء !

(هو) : قد اغار من الماضى . .

(هى بسخرية) : كنت احسب ان المستقبل وحده هو الذى يشغل بالك !

(هو وقد بدا يغضب) :والآن علام عزمت ؟

(هى وقد احست انها جاوزت الحد) : هل انت غاضب ؟

(هو) : وحزين معا !

(هى) : غاضب وحزين ؟

(هو) : لانى احبك . .

(هى) : اذن دع حبك يتكلم . .

(هو) : ولكنه يتكلم . .

(هى) : لا اسمع شيئا . . .

(هو) : لو اصغى قلبك لسمعت . .

(هى) : اذن قلبك الذى يتكلم ؟

(هو) : دائما . . .

(هى) : وماذا يقول . . ؟

(هو) : يقول الورد اشمه فى أعطافك . . والنسيم احسه فى همساتك . . والليل الرحيم فى شعرك . . واللجة العميقة فى عينيك . . والنار المحرقة فى شفتيك .

(هى) : وقلبك وحده الذى يتكلم ؟

(هو) : الا يكفيك ؟ .. ان القلب كل شىء ..

(هى) : كلا .. فهناك الروح وهناك الجسد ! . . الروح نور . والقلب نار .. والجسد الحطب ! .. فهل رأيت نارا من غير نور .. أو نورا من غير نار ..

(هو) : ولكنى عرفت نارا من غير حطب !

(هى) : او قلبا بلا جسد !.. او جسدا بلا روح ! ..

(يتمشى فى الشرفة . ثم يدير ظهره اليها وهو يقول)

(هو) : لماذا تتحدثين عن الجسد ؟ ..

(هى) : لانى اخشى على النار ان تخبو وعلى النور ان ينطفىء !

(تقترب منه وتضع ذراعيها حول عنقه ..)

(**هو** ـ يأخذها بين ذراعيه وهو يقول) : ولكنى ـ اخاف ان احرقك . .

(**هى** ـ وهى تمسح صدره بصدرها) : احرقنى ..

(هو) : الا تخشين النار ؟

(**هى** ـ مغمضة العينين وشفتاها تبحثان عن فمه): النار لا تخاف النار !

* * *

وطوى ابراهيم أوراقه . . . ورفع عينيه الى وجهى . . . وقال فيما يشبه الهمس :

ـ انه مشهد قصير !

وقالت انا بحرارة : ولكنه رائع ! .. رائع حقا . . .

وقال هو بلهفة : هل اعجبك ؟ . . حقيقة اعجبك ؟

قلت : نعم . . . ـ وترددت قليلا قبل ان أقول ـ ولكنك اذبت

قوى ضخمة فى هذا المشهدالقصير ! واخشى ان تجىء بقية
مواقف القصة ضعيفة هزيلة .. اذا تيسيت الى هذا الحوار !

قال : كلا ! .. لن تكون كذلك ! ... وكل مشهد سيكون
اقوى من سابقه ...

ثم وضع ذراعه حول حميدة وهو يقول بحنان :

- ... ما دامت هى بجانبى !

وضحكت حميده وهى **تقول** :اذن فانا شريكة فى التاليف . . .

(ابراهيم) : ولكنها الحقيقة !. انها مصدر الوحى فالمعانى من
عندها .. والالفاظ من عندى ..

ولمع فى خاطرى ... انها اذن صاحبة هذا الراى القائل « ان
القلب نار والحطب الجسد ! ..وان النار لا تخاف النار ! » ..
يالها من فتاة ! وما تزال بعد فى الثامنة عشرة من عمرها ؟ !

وامتلأ قلبى رحمة ورثاء لهذا الفتى .

واخيرا **قلت** : ومتى تبدا كتابة هذه القصة ؟

قال بحماسة : من الليلة ..

وقلت : ولاى مسرح تنوى تقديمها .

قال : وهل هناك سوى يوسف وهبى ؟

قلت : اصبت ! .. وهل تعرفه ؟

قال : كلا! .. هل تعرفه انت ؟

قلت : نعم وهو صديقى ...

قال بفرح : اذن تقدمنى اليه ؟..اننى اعرف ان ابواب اصحاب
المسارح دائما مغلقة فى وجه المؤلف المبتدىء ... والكاتب المجهول.

قلت : اعدك ! .. ولكنى لست واثقا من ان بين ممثلات مسرح
رمسيس من تستطيع القيام بدور هذه البطلة ...

قال : الا تظن ان فاطمه رشدى . .

قلت : كلا . . فاطمه ممثلةمجيده . . ولكن ألوانها محدودة! وهذا الدور يتطلب فتاة سبقتالعمر والسنين، وتم نضجها وهى بعد دون العشرين من عمرها !..او هكذا فهمت من حوارك . . .

قال : نعم . . . صحيح ! . . وامينه رزق ؟ . .

قلت : تصلح بعدعشر سنوات؟ أما الآن فما تزال طفله تصلح لأدوار الطهر والسذاجة ! . .

قال وهو يبتسم : أكتب القصة اولا . . . وبعدها نبحث عن الممثلة . . . وعلى كل حال فهذهمسالة اعتقد ان يوسفبك وهبى سيكون له فيها الرأي الأخير . .

وكانت حميده تصغى الينا وهى تنقر بأصابع يدها عى سطح مكتبى . .

وقالت حميده : هل أصلح انا لتمثيل هذا الدور ؟ ؟

واحسست انها توجه سؤالهاالي انـا لا الى المؤلف . . . خطيبها . . .

وضحك ابراهيم وصاح : يالها من فكرة !

أما انا فلم اضحك . . .

ومرة اخرى لمع فى خاطرى انهذا من وحيها هى ! . . الم يقل ابراهيم ان المعانى من عندها . . . والالفاظ وحدها من عنده !. . لعلها وصفت نفسها وهى تدرى أو لا تدرى ! . . واعطت صورة من شخصيتها وهى تدرى أو لاتدرى . . والا فمن أين جاء ابراهيم بهذه الصورة لبطلة قصته ؟ . . ام ترى كان وعيه الباطن يملى عليه وصفا لحميدهكما انطبع فيه . . وكان قلمه يجرى وهو لا يدرى انه يصفتلك التى يحبها ! . . .

على اية حال فان الصورة صورة حميده . . . فمن اذن اولى منها بتمثيل « نفسها » ان جاز هذا التعبير !

ولعلهـــا ثوان معـــدودة التي استغرقتها فى التفكير . . . وافقت على صوت حميده وهى تقول :

ـ ولكنك لم تجبنى . . . لماذا تضحك (وفى صـــوتها ســـخرية وغضب) . . . واذا استطعت انت ان تؤلف للمسرح . . . فلماذا انا لا استطيع ان امثل ؟

واسرع ابراهيم يتناول يدها بين راحتيه ويلثمها بحنان ويقول :

ـ لا تغضـــبى . . . فانا لم اضحك لشىء مما دار فى راسك . . . هل اقول لك لماذا ضحكت ؟ (وضـــحك مرة اخرى) . . . ضحكت لان هـــذه أول مرة فيما اعلم . . الزوج يكتب القصة . . والزوجة تمثل دور البطلة !

وكان لا بد أن اقول شيئا . . . فقلت :

ـ اذن تتقاسمان المجد . . .

والتفتت حميده تسالنى :

ـ ولكننى لم اسمع منك ردا على ســـؤالى ! . . هـــل أصلح لتمثيل الدور ؟

وسكت ابراهيم . . .

وقلت انا : اعتقد على كل حال انك تصلحين له خيرا من فاطمـــه رشدى وامينه رزق . . .

وانسابت الى من عينيها نظرة طويلة وهى تقول :

ـ اذن فانت ترى فى فتـــــاة سبقت العمر والسنين وتم نضجها وهى بعد دون العشرين ؟ ! . .

وضحكت انا فى ارتباك وقلت :

ـ لا تحاسبينى على الفاظى . . .

وقال ابراهيم : انكما تتكلمان كانما القصـــــة قد كتبت . . . وقدمت . . . وقبلها يوسف وهبى . . . ولم يبق الا اختيـــــار

المثلة التى تقوم بدور البطلة !

وقالت حميده : ولكنك ستبدأ كتابتها من الليلة . . .

قال : نعــــم

قالت : وأنا سأبدا من الليلة مراجعة دورى . . .

وضحكنا وقال ابراهيم : دورك !

قالت : نعــم . . . أن ما كتبته قد حفظته فعلا عن ظهر قلب . . ومن غير جهد الم تقل أنت انالمعانى من عندى ؟ . . والبــاقى سوف أحفظــه لاننى سأشتركمعك فى كتابته . . .

وخيل الى ان ابراهيم كانيريد أن يقول شيئا . . . ولكنهامسك لكى لا يغضبها .

واخيرا قال : وماذا تقول أمكاذا اشتغلت بالتمثيل ؟

وصاحتهى : ومالأمىوهذا ! . . . الست زوجى . . او ستكون . . . والكلمة لك !

وعاد هو يقول : نعم . . . ولكن يوسف وهبى . . قد يرفض !

وقالت هى : لن يرفض . . . اذا اعجبته القصة . . .

واضفت انا بابتسامة : وخصوصا اذا اعجبه دوره . . .

ووقف الاثنان يريدان الانصراف . . . وقال ابراهيم :

ـ شكرا . . . لقد اضعنا عليك ساعتين . . . والامتحانالسنوى فيما أعلم بعد شهرين . .

قلت : بعد ستة اسابيع . . .

وقالت حميــده : وأين تمضى الصيف ؟

قلت : فى الريف . . .

والتفتت الى ابراهيم تساله : هل تظن انك تســــتطيع كتابة القصة قبل سفره . . .

قال : ساحاول . .

وقلت انا : لا تسرع في كتابتها . المهم ان تكون قوية متماسكة .
ولا تنس ان هذه أول قصة لك . . . وعلى فكرة . . . انا لم أعرف
حتى الآن موضوع القصة أو فكرتها . . .

وتردد ابراهيم قليلا ثم قال :

ـ أن حميده عندها فكرة . . ولكني . . .

واسرعت حميده **تقول** : فكرة جديدة . . ولكنه لا يوافق عليها .

وبدا كأنما ابراهيم يريد أن يغير مجرى الحديث فقال :

ـ لن نتقابل كثيرا في الايام القادمة . . . ستكون أنت منهمكا
في الاستعداد للامتحان . . . وسأكون انا مشغولا بقصتي . . .

قلت : وارجو لك التوفيق . .

وابتسمت حميده **وقالت** :ترجو التوفيق له وحده ؟ . .
وانا . . الا تدعو للممثلة الاولى بالتوفيق !

وضحكنا جميعا . . وانصرف الاثنان . . .

* * *

وجلست الي مكتبي اراجع دروسي . . . ولكن ان هي الا دقائق
حتى فتح الباب . . . ودخلت على حميده . . . وقد عادت وحدها !

ووثبت واقفا : لماذا عدت ؟

قالت وهي تجلس على حافة مكتبي :

ـ اريد ان اتحدث اليك .

قلت : وأين ابراهيم ؟

قالت : تركته يستعد للكتابة ؟

قلت : وهل يعرف انك هنا ؟

قالت : كلا . . . بل يظن انى صعدت الى مسكني ! . . ا ـ
بضحكة ، بينما امي تظن انني ما زلت عند ابراهيم . .

قلت : وانا أمشي الى الباب افتحه :

ـ اذن ارجوك ان تنصرف

قالت : لا تكن طفلا ... اخائف منى ؟

قلت : ولكن ابراهيم ... ماذا يظن اذا عرف انك عدت الى وحدك ؟

قالت : وهل تنوى ان تقول له ؟ حذار ... انه شديد الغيرة ..

قلت : هبى انه عاد الآن لامر ما كما عدت انت ...

قالت بهدوء : فى هذه الحالة اختبىء فى فراشك ...

ثم قامت الى الباب وهى تقول :

ـ والحيطة احسن ...

واغلقت الباب بهدوء وأدارت المفتاح فى القفل !

هذا وانا انظر اليها مشدوها .. وعادت هى الى جلستها فوق طرف المكتب .. واشارت الي ان اجلس فجلست فى مقعدى

وقالت : ماذا تظن فى ؟

قلت : اظن انك جريئة !

قالت : لم اقصد هذا ! .. اريد رايك فى كممثلة !

قلت : لم ار بعد تمثيلك ..

قالت : ولكنك تعرفنى منذ بضعة اشهر ...

قلت : وهل كنت تمثلين فيها !

قالت : دعك من السخرية ...

قلت : ماذا تريدين منى الآ ن !

قالت : أريد ان أعرف رايك فى !

قلت : وماذا يهمك من رايي !

قالت : يهمنى جدا ! الم تقل الليلة اننى اصلح لتمثيل الدور !

قلت : نعم ..

قالت : وهذا ما سرنى منك ...

قلت ساخرا : هل عدت لتشكريني ؟
قالت : عدت لأطلب منك خدمة ..
قلت : اية خدمة ؟
ووثبت واقفة .. وانحنت فوقي وهي تقول :
ــ انت صديق ليوسف وهبي .. أليس كذلك ؟
قلت : وانا اتراجع قليلا في مقعدي حتى لايمس وجهي عنقها :
ــ نعم ..
قالت : اذن تقدمني اليه وتوصيه بي خيرا ..
وراحت يدها تعبث بشعر راسي .. ولما لم اجب قالت :
ــ اريد ان اعمل .. اريد ان اتمرن منذ الآن ..
وفهمت مرادها فقلت : تريدين ان تعملي على المسرح منذ الآن؟
قالت : نعم ...
قلت : وابراهيم .. هل يوافق !
قالت : سوف يوافق !
قلت : ولماذا ؟
قالت : لأن عملي سوف يساعدنا على اتمام الزواج .. والمرتب ألذى ساتناوله من مسرح رمسيس .. مهما كان قليلا ..
قلت : فهمت !.. وهل فاتحت ابراهيم برايك هذا ...
قالت : كلا .. ولكنه كما قلت سوف يوافق .. (واضافت انفاسها على عنقي) .. سوف يوافق لان مرتبه لايكفي لزواجنا .. وهو يريدني .. يريدني .. هل فهمت !
وأزحتها بلطف .. ونهضت واقفا ...
قالت : اذن سوف تجيب رجائي .
قلت : هبي انني قبلت .. ورفض يوسف وهبي ..
قالت : لن يرفض ...

قلت : ان فرقته مزدحمة بالممثلات المبتدئات من امثالك !
قالت : ولكنه لن يرفض بعد أن يرى تمثيلى .
قلت : يلوح لى انك مغرورة ...
قالت : لست مغرورة وانما انا واثقة من نفسي ... هل تود ان اريك ؟..
قلت : تريننى ماذا ؟
قالت : اريك تمثيلى ..
وقبل ان أقول شيئا ... انطلقت تمثـــل نفس المشهد القصير الذى كتبه ابراهيم ..
(**هى**) : لم نتقابل منذ أسبوع !
سكوت ...
(**هى**) : لماذا لا تجيب ؟
(**انا ضاحكا**) : ولكن هذا غير صحيح . فقد تقـابلنا أول امس وامس واليوم ...
(**هى تضحك**) : كلا ... لا تكن سخيفا.. اجب كما اجاب بطل القصة ...
(**انا**) : ولكنى لم احفظ الدور .
(**هى**) : اذن القنك ..
(**انا**) : ارجو ان تستغنى عن خدماتى .. فأنا لا اجيد التمثيل ..
(**هى**) : حقا !.. ومع ذلك يخيل الي انك تجيد التمثيل .. لو تريد !
وهزت كتفيها وانطلقت تمثل دورها.. ودورالبطل معا..
وأنا جالس امام مكتبى انظر اليها .. فى اول الامر بابتسامة وعدم اهتمام !.. ولكن لم تمض دقيقتان حتى أدركت أن امامى

فتاة تعـرف كيف تمثل !.. فتاة لم يلقنها احداصول التمثيل ولا فـن الالقــاء او دقائق مخارج الالفاظ .. ولكنها مع ذلك تمثل لان التمثيل فى دمها وفى طبيعتها ..

ووجدت نفسى انحنى قليلا الى الامام ـ وانا جالس فى مقعدى ـ واتتبع حركاتها واشاراتها .. الى ان وصلت الى الموقف الذى تقول فيه .

(اريد ان القى عليك درسا فى الغزل !.. درسا فيما يحبه الرجل !.)

وكانت كما قلت تمثل الدورين .. ولكنها فى هذا الموقف تقدمت نحوى فقد كان لابد لها من يد تمسكها بيدها .. يد تتناولها وتدور بها على ذراعها تتحسسها ..

ومضت البطلة او حميدة تقول :

(ولكننى فى النهاية اتركك تقبلنى)

(**حميده**) : قبلنى !..

(**انا**) : كلا ..

(**حميده**) : لا تفسد الموقف ..

(**انا**) : قلت لك لا .. لن اقبلك ..

وقبل ان استطيع حركة واحدة انحنت وهى تقول (اذن اقبلك انا !) وقبلتنى على فمى .. وانثنت عنى تضحك وتمشى فى سطور دورها وتقول :

(وتركتك حائرا تتخبط .. هل انا اجد او امزح ! واية فتاة انا بين الفتيات !)

(**انا**) : انت .. انت شيطانة ! والآن اذهبى ..

(**حميده**) : قبل ان اتم تمثيل المشهد ؟ ..

(**انا**) : يكفى هذا .. اذهبى ..

(**حميده**) : لعلك تخاف ختام المشهد !.

(**انا**) : قلت لك اذهبى ..

(**حميده .. ضاحكة**) : وان اطوق عنقك بذراعى.. وامسح صدرك بصدرى واقول لك احرقنى.. وشفتاى تبحثان عن **فمك!**

وتشاغلت باخراج منديلى امسح به عرقى ولم اجب !

وتقدمت منى . وكان صدرها يعلو ويهبط .. ويكاد نداء عينيها يمسك بى ويصرخ !

وقالت : والآن هل تقدمنى ليوسف وهبى وتوصيه خيرا بى.؟

قلت : سأعطيك خطابا له . . . **لاننى مشـــغول** الآن بالاســتعداد للامتحان .. ووقتى لا يتسع ..

قالت : وهو كذلك ..

قلت : وعلى شرط ان يوافق ابراهيم ..

قالت : سوف يوافق ..

قلت : غدا اعد لك الخطاب ..

ومشيت الى الباب افتحه ..

وقالت هى : هل تطردنى ؟

قلت : لقد انتصف الليل او كاد .. واخشى ان تنزل امك لتدعوك من عنـــد ابراهيم فلا تجدك معه ..

قالت : ان امى نائمة الآن ..

ولكنى امسكت بذراعها وسحبتها الى الباب .

وهمست هى ويدى على الباب لأغلقه وراءها :

ــ انت اول رجل يقدم لى خدمة من غير ان يطلب الثمن !

وهمست انا بدورى : وكم رجلا عرفت ؟..

وابتسمت فى وجهى وهى تقول :

ــ سعدت مساء .. لاتنس الخطاب.. ايها الطفل الصغير!

* * *

وتوقفت هنا قليلا عن رواية قصة سهاد وابراهيم لكى اشعل سيجارة

وقال صديقنا توفيق الحكيم وهو يفرغ ما بقى من قدحه :

ــ يا لها من فتاة !.. بل يا لها من امرأة !.. لقد أمعنت فيها النظر هذا المساء فخيل الي أن السنين قد مرت بها مرور النسيم ! .. اهاجت فتنتها وزادتها اشتعالا ! ..

قلت : انها الآن فى تمام نضوج المرأة .. فى الخامسة أو السادسة والثلاثين من عمرها !

وتساءل الصاوى : ولكن الم يقرنوا فى يوم ما اسمها باسم صابر بك صبرى وكيل وزارة المعارف للفنون الجميلة حتى زعموا انه ينوى الاقتران بها بعد ان تطلق من ابراهيم ..

وقال توفيق الحكيم : صحيح . واذكر ان مجلة روزاليوسف نشرت يومئذ مقالا شديدا كان عنوانه اذا صدقتنى الذاكرة (حامى الفنون ليس دائما حامى الاعراض !) .. وكان للمقال ضجة كبيرة !

قلت : نعم . ولكن ابراهيم لم يطلقها ... ولو انه فعل لكانت اكبر الظن قد تزوجت من وكيل الوزارة .. ولما كانت علاقتها بابراهيم قد انتهت بهذه المأساة !.. ولكن الضجة التى قامت عقب الحادث ثم محاكمة ابراهيم .. هذه وتلك أتاحتا للصحافة الاسبوعية فرصة استغلتها الى ابعد حد فنشرت كافة التفصيلات وكانت فضيحة لم تعرف مصر مثلها منذ ربع قرن .. وكان صابر بك صبرى مرشحا يومئذ لدخول وزارة على ماهر باشا التى تالفت فى أواخر صيف ١٩٣٩ ! ولكن رفعته اضطر يومئذ ان يستبعد اسم صابر بك من قائمة أعضاء

وزارته .. كما اضطر صابر بك نفسه ان يقطع علاقته بسهاد لكي يخنق الفضيحة ويضع حدا لاقاويل الناس ...

(**الصاوى**) : وهكذا فقدت سهاد صابر بك صبرى ! وفقد صبرى بك كرسى الوزارة ..

ــ نعم ! والا لكانت سهاد او حميدة بنت ام عبده الخياطة قد اصبحت زوجــــة لصاحب معال ووزير ! ! . . والآن هــل اكمل حديثى او ارجىء البــاقى الى غــد ...

(توفيق الحكيم) : لا .. لا .. استمر .. والليل امامنـا طويل ..

ــ ولكنك عطست مرتين .. واخاف أن يصيبك برد !

وقام توفيق .. ثم عاد وقد لف « فوطة » حول راســـه وشد طرفيها حول عنقه !

واستأنفت الحديث ...

* * *

قلت انى وعدت حميـــدة ان اعطيها خطاب توصية ليوسف وهبى ... ثم سحبتهـــا من ذراعها الى الباب ... وفى هذه المرة اغلقت وراءها الباب بالمفتاح حتى لا تعود . ولكنى اعترف انهــا تركتنى وانا فى حالة غــير طبيعية .

وهنا ضحك الصاوى وتوفيق

قلت : نعم · كنت فى حالة غير طبيعية ·· ولاتنسيا اننى كنت يومئذ فى فورة الشباب ! . ولقد جلست الى مكتبى أحاول ان احصر ذهنى فى قانون تحقيــق الجنايات ولكن ! · · انفــاس حميدة كانت لاتزال تلفح عنقى . ووجدتنى أدور بلســـانى عــلى شفتى ·· امسح أو أتذوق لاأدرى ــ أثر قبلتها فى فمى · · وذلك النداء فى عينيها ·· نداء الانثى للذكر ·· وصدرها الذى كــان

يعلو ويهبط وقد برز منه نهداها في غير جهد ولا كلفه ٠٠ وأخيرا لزحت كتب القـــانون من أمامي واعتمدت رأسي بين يدى أفكر !٠ الا ما كان اسهل ان انال من حميدة ماأشتهى٠٠ ولكنى أنفت!٠ أنفت منهـــا مرة وأنفت مـن نفسي مرتين ! ٠٠ ولو انى كنت أحسست انها تعرض نفسهـــا على عن عاطفة أو مايشبه العاطفة فلربما كنت ضعفت ! .. ولكنني موقن انها تنظر الى جســـدها كسلعة تباع ٠٠ وتبـاع لـكل راغب مادام يدفع الثمـن ! وأنا أكره عمرى سوق الرقيق ! ٠٠ وانفت من نفسي ان اخون ابراهيم ! ان أخـون هـــذا الطفل وان يكن يكبرنى بعامين ٠٠ والذى كان يثق بى ويطمئن الى رأيي وينـــظر الى كأننى شيء كبير!٠ اذن ماذا أفعل؟ ٠٠ لقد أحسست في تلك الليلة ان الغواية قد تكون أقوى من العقـــل وأقوى مـن الضمير ٠٠ والا لما وجد الشيطان شيئا يفعله ! ٠٠ وان حميده قد تعود ! ٠٠ بل لابد ستعود !٠ غدا أو فى ليلة ما ٠٠ لقد جاءت الليلة من أجل ان أقدمها ليوسف وهبى لكى تعمل فى فرقته !٠ وغدا أو بعد غد سوف تعود ـ وفى الليل دائما ـ لـكى أوصى يوسف أن يسند اليها دور كذا فى رواية كيت ! ٠

ثم تعود الى بعدها ، وفى الليل دائما ـ لكى أرجو أصدقائى من النقاد المسرحيين أن يكتبوا عنها وان يذكروها بالخير !

وقمت عن مكتبى ٠٠ ومشيت أذرع غرفتى ! ٠٠ لقد قالت لى الليلة ٠ أنت أول رجل يؤدى لى خدمة من غير أن يطلب الثمن!٠ ولـكن هل أنا قادر دائما ـ أو سأكون قادرا دائما ـ على أن أرفض تناول الثمن ! ٠٠ على أن استقبلها ليلة بعد ليلة ٠٠ وأشيعهـــا الى الباب ٠٠ وأنا أقول كلا ! ٠٠ ثم ماذا اذا هى أصرت٠٠ ومسحت صدرها بصـــدرى وهمست فى فمى « أحرقنى٠٠ وخذ الثمن!٠»

كلا . هذا لن يكون ! . . وامامى امتحان العام ! .. اذن لابد أن اغادر هذه الدار . . وأقيم الاسابيع الباقية على انتهاء العام الدراسى فى أحد «البنسيونات» حيث أستطيع أن أراجع دروسى فى هدوء وأستعد للامتحان .

وارتحت الى هذا الرأى . . وأويت الى فراشى وصوت حميده فى أذنى يقول « وتركتك حائرا تتخبط .. هل أجد أو أمزح ! وأية فتاة أنا بين الفتيات » ! .

أى فتاة أنت بين الفتيات ؟

أنت شيطانة . . شيطانة . شيطانة لها عينان تنساب منهما نظرات .. ولها صـــــدر يعلو ويهبط .. ونهدان بارزان .

الى أن غلبنى النعاس !

* * *

وفى الصباح أعددت الخطاب وقد رجوت فيه « عزيزى يوسف » أن يلحق بفرقة رمسيس حاملة هذا الخطاب وهى فتاة أعتقد انها « خلقت للتمثيل » ــ هذا نص عبارتى كما أذكر ــ وانه يستطيع أن يجعل منها ممثلة ذات شأن كبير اذا هو أولاها عنايته . . الى آخره .

وتركت الخطـاب مع خادمى عبدالسميع . وأوصيته أن لا يعطيه اياها الا اذا طلبته .. وعلى شرط أن يكون ذلك أمام ابراهيم

لاننى كنت حريصا ــ كمـا سبق ان قلت لها ــ على أن يوافق ابراهيم على اشتغالها بالتمثيل .

وغادرت الدار مبـكرا لـكى أبحـث عن غـرفة فى أحـــد « البنسيونات » لاننى كنت عقدت نيتى على أن لا أقضى ليلة أخرى تحت سقف هذه الدار .

ووجدت الغرفة المناسبة بالقرب من ميدان الاسماعيلية أو ميدان

الخديو اسماعيل .

وبينما أنا واقف فى محطـةالترام انتظر اذ اقبل على يحييني الاستاذ احمد عسكر ـ وقدتوفاه الله منذ سنوات وكان يشغـل يومئذ منصب مدير ادارة مسرح رمسيس ·

وركبنا الترام معـا · أنا فى طريقى الى مسكنى فى المنيرة · وهو الى مستشفى قصر العينى لـكي يعود صديقا مريضا ·

وجلسنا نتحدث عن الموسـم المسرحي وقد أشرف على نهايتـه وعن رواية «توسكا» التى أخرجها يوسف وهبى والتى قامت فيها فاطمه رشدى بدور البطولة · وقال احمد عسكر ان يوسف بك قد ندم أشد الندم على اخراج الرواية المذكورة ·

قلت: لماذا ؟ لقد نجحت الرواية وأتت بايراد كبير ·

قال : نحن نسـلم بهذا .. ولكننا خسرنا فاطمة .. وعزيز عيد . . .

ـ فاطمة رشدى ؟

قال : نعم . فان نجاحهـا فى دور توسـكا قد ادار راسها وادار راس زوجها عزيز عيد . وغرور الاثنين اصبح لايطاق .. ولا يمر يوم دون أن يتقدما بطلبات جديدة وشروط جديدة .. ويخبط يوسف بك اليـوم يدا بيد ويقول انه اصبح لا يطيق الاثنين .

. . هـذا وقد أوشك قطار الترام ان يصل الى المحطة التى سأنزل فيها . . وتذكرت فجأة

وقلت لاحمد عسكر :

ـ على فكرة .. لقد اعطيت اليوم فتاة خطاب توصية ليوسف بك

قال ضاحكا : لعلك وجدت لنا الممثلة التى تحل محل فاطمة ؟

قلت : من يدرى ! ..

واسرعت أقول وانا أحييـــهوانزل من الترام :
ـ قل ليوسف ان كل حرف كتبتـه فى الخطاب صحيح .. وان الفتاة ممثلة موهوبة ..

وكانت مقـابلة المصادفة هذهاو هـــذا الحديث القصير بين احمد عسكر وبينى هو السببالاقوى الذى حمل يوسف وهبى على قبـــول حميده فى فرقةرمسيس !.. اما خطابالتوصية فقد كانممكنا ـ كما قال يوسف نفســه فيما بعد لحميده ـ ان اكون كتبتهواعطيته اياها تورطامنى وادبا معهـا .. ولكن رابي الذى ابديتــه لاحمد عسكر هوالذى اثر فيه لانه ـ اى يوسف وهبى ـ كان يعتقـد دائما اننى« افهم فى فن التمثيل » .

ولكننى لم اعرف هذا كله الابعد شهرين .. فقد مر شهران قبل ان القى حميده وابراهيم !

* * *

وفى نفس اليــوم ـ فى ساعةما بعد الغداء ـ حملت حقائبى وغادرت مسكنى الى(البنسيون)وتركت لعبدالسميع مهمةشحن العفش والاثاث البســيط الىبلدتى فى الريف كمـا كنت افعل كل عام . واوصيته ان لايعطى عنوان مسكنى الجديد لالحميدة ولا لابراهيم ! .

واقبلت على مراجعــةدروسى وكنت لا اخرج من «البنسيون» الا نادرا .. لشراء حاجـة ما أو لأتريض مشـــيا الى كوبرى قصر النيل ثم اعود . . وهكذامرت الايام والاسابيع .

وذات يوم قابلتــى وانا عائدالى «البنسيـــون» الاستاذ مصطفى القشاشى صاحب مجلةالصبـــاح وكانت ادارة المجلة يومئذ بالقرب من ميدان الخديواسماعيل وتبادلنا التحية وقال الصديق بابتسامة :

ـ سهاد دى كويسة قوى !

وقلت أنا : سهاد مين ؟

وابتسم صاحب الصباح ومضى يقول كأنه لم يسمع سؤالى :

ـ ويوسف بك بيقــول انه سيكون لهــا مستقبل عظيم ! !

ـ ولكن سهاد دى تبقى مين ؟

وغمز الاستاذ القشاشى بعينه

ـ باه ماتعرفش سهاد ؟

قلت : لا . .

قال : صاحبتك التى ارسلتها بخطاب منك ليوسف بك . .

وبهت . . ومضت ثوان قبل ان اقول :

ـ اسمها سهاد ؟ . . اسمها الآن سهاد ؟ .

قال طبعا اسمها الآن سهاد !

قلت : لقــد اوصيت يوسف حقيقة بفتاة ولكن اسمها حميده

وقال الاستاذ :

ـ حميــــده ؟ . . ربما . . ويظهــر أن يوسف بك اختار لها اسم سهاد . . .

وتذكرت . . . فقلت : وعلى فكرة يا أبو درش . . انها ليست صاحبتى كما تظن بل هى مخطوبة لشاب اعرفه . .

ولكن صاحب الصباح الغراء سكت واكتفى بالابتسام !

* * *

اذن . . فقــــد نالت حميده مناها واصبحت ممثلة فى فرقة رمسيس . .

ويبــدو انها نجحت على قصر عهدها بالتمثيل . او هكذا فهمت من الصــــديق صاحب مجلة « الصباح » .

وكنا فى الثلث الثانى من شهر مايو وكنت قد انقطعت عن قراءة

الصحف والمجلات .. اذ لم يبق على الامتحان سوى ايام معدودات ولكنى ارسلت خادم «البنسيون» فأحضر لى اعداد المجلات التى صدرت طول الاسبوع .. ومضيت اقلب صفحاتها وابحث عن اسم حميده . . أو سهاد !

ولم أحاول ان اسأل نفسى ساعتئذ عن سر هذا الاهتمام !

وقرأت فى مجلة الحسان أن سهاد الممثلة الناشئة التى ظهرت اخيرا على مسرح رمسيس من خريجات الليسيه فرانسيه وابنة طبيب كبير ؟!

وهكذا ! . بدأت دعاية مسرح رمسيس التى يغذيها أحمد عسكر تحت اشراف يوسف بك!

وفى مجلة الكشكول مقال طويل عن سهاد التى التحقت بمسرح رمسيس منذ شهر واحد بمرتب قدره ستة جنيهات والتى رفع مرتبها هذا الاسبوع الى ثمانية جنيهات ! .. ثم طلبت المجلة من قرائها فى ختام المقال أن يتساءلوا معها « لماذا يايوسف بيه ؟ » مع ان فى فرقته ممثلات لم يزد مرتبهن قرشا واحدا منذ عامين ! ..

وبعدها عدد كبير من علامات التعجب والاستفهام تاركة للقراء أن يفهموا منها مايفهمون!

أما مجلة الصباح فقد روت خبر زيادة مرتب سهاد على أنه تقدير لها وللكفاءة التى اظهرتها فى دور « جوبيت » فى رواية الرئيسة .

وقالت مجلة (المسرح) ـ بامضاء شارلى شابلن ـ ان سهاد سيكون لها شأن عظيم فى الفودفيل ! .

اما مجلة روز اليوسف فقد قالت أن خير دور قامت به هذه الممثلة الناشئة هو دور (كاميلا) فى رواية (البئر) . وان تمثيلها فى

الفصل الثالث كان رائعا وانهــاتفـــــوقت على يوسف وهبى تفوقا تاما !!

ثم ذكرت روزاليوسف فىباب الاخبار ان يوسف بك ســوف يسند دور « توسكا » الى سهادومن.المنتظر ان تظهر لاول مرة فى هذا الدور اثنــاء موسم الصيفعلى مسرح الهمبــــــرا فى الاسكندرية ..

ووجدت فى مجلة « الفنون »صورة لسهــاد وقد كتب تحتها ان هــذه اول صورة تنشر لهذهالممثلة التى يقول الاستاذيوسف وهبى انه سيكون لها شان كبير

ووجدتنى ابتسم واتساءل .« ترى ماذا قالت ست ام عبــده الخيــــاطة عند ما رأت صورةابنتها منشورة فى المجلات ؟ .. او ماذا يقول عبد العزيز البقالاذا رأى صـــــورة حميده وقرا المكتوب تحتهــا انها ابنة طبيب كبـير ومتخرجـة فى مدرســة الليسيه فرانسيه ؟ .. حميدهالتى طالمـا وقفت امامــــه فى الصباح بجلباب النوم وفىقدميهاقبقــــاب من خشب وبيدها « سلطنية » تبتاع منه عســلاوطحينة بقرش لطعام الفطور ؟

وطويت المجـــلات ! .. لقدحققت حميده لنفسها ما أرادت

* * *

وجاء الامتحـــان .. ومضىالامتحان ..

وحــــل يوم اعلان النتيجة واسماء الطلبة الناجحين ـ وكنا فى أوائل شهر يونية ـ وذهبتالى جـــريدة الاهرام اسأل عن النتيجــــــة وهل اسمى بينالناجحين ؟

وتركنى الاستــــاذ صالحالبهنساوى المحرر بالجـريدة فى غرفته وذهب يسال هل وصلتكشوف الطلبــــة الناجحين فى امتحان مدرسة الحقوق .

وبينما أنا فى الانتظار دخل ابراهيم .

واحسست انه سر حقيقة لرؤيتى فقد اقبل على يحيينى بحرارة ويقول :

واخيرا ! .. هل جئت تزورنى ؟ . .

وابتسمت وقلت : يمكن ان تقول هذا .. ولكنى اعترف انى جئت للسؤال عن نتيجة الامتحان ؟ .

قال : خيرا ان شاء الله ؟

قلت : هذا ما أرجوه! .. وانت كيف حالك ؟ .. والمسرحية ؟

وتردد لسانى فى السؤال عن خطيبته حميده !

قال : الحمد لله ! . .

وسكت قليلا قبل أن يقول :

ــ طبعا عرفت ان حميده التحقت بمسرح رمسيس ؟ .

قلت : نعم .. مما قرأته اخيرا فى بعض المجلات .

ثم اضفت بابتسامة :

ــ ويظهر انها كانت على حق فى ثقتها بنفسها وفى مواهبها واستعدادها للتمثيل . فقد وجدت شبه اجماع بين النقاد على اطرائها .. والاعجاب بتمثيلها

وهز ابراهيم راسه وقال :نعم انها ممثلة موهوبة ما فى ذلك شك .. (ثم ابتسم بمرارة وهو يقول) ولكنها لاتقنع بهذا !

سألته ماذا يعنى ؟

ولكنه لم يجب على سؤالى بل **قال** : ماذا تفعل هذا المساء ؟

قلت : لا شىء على وجه التحديد .

قال : هل تقبل دعوتى للعشاء ؟ . .

وابتسم حياء وهو يقول :

ــ اظن اننا نستطيع الآن ان نرد لك شيئا من دينك الكبير . .

وندعوك لتناول العشاء ولو مرة واحدة ! ..

قلت : يسرني جدا ان امضي السهرة معكما ..

قال وهو ينظر الى ساعته : ان حميده عندها الآن حفلة «ماتنيه» وسوف تمر بي وتنتظرني كعادتها في بار اللواء الساعة التاسعة والنصف .

وهنا دخل الاستاذ صالح البهنساوى يصيح : مبروك ! . نجحت يا استاذ ..

وقال ابراهيم وهو يهز يدي مهنئا ..

ـ اذن من حسن حظنا ان نحتفل بنجاحك الليلة حول مائدة العشاء ..

واستأذنت وخرجت لكي أرسل الى أهلي برقية بنجاحي في الامتحان . ثم اعود الى بار اللواء امام جريدة الاهرام وانتظر ابراهيم .

وكان يجلس حول مائدة اخرى قريبة مني الدكتور حسين (بك) هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة والاستاذ حفني محمود (بك) عضو الهيئة الوفدية في ذلك الوقت والاديب الكبير المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري والمرحوم الاستاذ سليمان فوزى صاحب مجلة الكشكول .

وكانوا يتحدثون عن استقالة المستشار مستر كرشو عضو هيئة محكمة الجنايات التي كانت قد اصدرت حكمها ببراءة احمد ماهر والنقراشي وحسن كامل الشيشيني من تهمة الاغتيال .

وقد استقال مستر كرشو الانجليزى احتجاجا على الحكم ببراءة (المرحوم) احمد ماهر .

وفي هذا كان يدور الحديث عندما وقفت سيارة تاكسي ونزلت منها فتاة رشيقة .

ونهض حفنــــى بك محمود يحييها ويمــد اليها يده ويدعوها للجلوس ..

ووقف الحاضرون تحية لها . ولعل وقوفهم ــ وقــد احاطوا بها ــ هو الذى حال دون رؤيتها اياى ..

وكانت الفتاة حميده أو . . سهاد ! ..

واخذت الفتاة مجلسها بينهم وقال الاستاذ عبد العزيز البشرى

ــ كنت الوم سليمان (يقصد الاستاذ سليمـــان فوزى) على مانشرته الكشكول عنك فى عددها الاخير ؟ .

واسرع صــــاحب الكشكول يعتذر ويقول : ان الخبر لم يمر عليه والا لمــا اجاز نشره!

وضحــك الدكتور هيكل بك وقال :

ــ هــــذه دائما حجة رئيس التحرير عند مايواجه المجنى عليه!

واشتركت سهاد فى الضحك وقالت :

ــ ولكنى بالعكس أود ان اشكر سليمان بيه ..

وظن القوم انها تسخر ولكنها قالت :

ــ ان الاستاذ يوسف وهبى يقول دائما (افضل ان يشتمنى الناقد فى صفحة كاملة خيرا من أن يمدحنــى فى سطور قليلة) .. وانا من رأى يوسف بيه !

وانسابت من عينيهــا نظرة طويلة ــ نظــرة اعرفها جيدا ــ نحو صاحب الكشكول وارتبــك المرحوم سليمان فوزى ولكنــه ابتسم وقال :

ــ واذا مدحتك فى صفحة كاملة؟

اجابت : اشكره مرتين !

قال : موعدنا اذن العدد القادم

واسرع الاستاذ الشيخ البشرى يقول :

ـ وانا الذى ساكتب المقال .. والتفت الى الدكتور هيكل بك يسأله :

ـ والسياسة الاسبوعية الاتكتب شيئا عن سهاد ؟ .

واجاب الدكتور هيكل بك :

ـ سوف اطلب من ناقدناالفنى الاستاذ محمود كامل ان يشاهد تمثيلها ويكتب عنها .

(سهاد) : اذن قل لهان يحضر يوم الاربعاء القادم .. فسأقوم لاول مرة بدور البطلة فى رواية« التاج » .

. . . .

ولقد حرصت ان اصف ياصديقى لكما هذه الجلسة لكى اعطيكما صورة عن سهاد فى اول عهدها بالتمثيل .. وكيف انها استطاعت وفى شهرين اثنين واثناء جلوسها فى بار اللواء فى انتظار ابراهيم .. ان تعقد روابط الود والصداقة مع طائفة من كبار الصحفيين والادباء ورجال السياسة وان تجعلهم يحرصون على ودها وعلى خدمتها ! .. ولست ادرى ـ وانا لا احب أن اظلمها ! ـ لست ادرى هل تقاضوا منها الثمن .. أو انها قالت لكل منهم كما قالت لى ذات ليلة ـ (انت اول رجل يؤدى لى خدمة من غير ان يطلب الثمن) ! .. لست ادرى ! . . ولكننى اعرف انها كانت مستعدة دائما لان تدفع الثمن ! .. لانها كانت تريد أن تحقق مطامعها وان تصل ! .. وها هى ذى فى طريق الوصول ! ..

بل وفى شهرين اثنين .. حققت ماتعجز عنه الكثيرات !. انها سرعة تقطع الانفاس !

* * *

ورفعت حميده راسها وهى ترى ابراهيم يخرج من باب

جريدة الاهرام ..

واتجه ابراهيم مباشرة الى .. وهنا فقط التفتت حميدة وراتنى ورفعت يدها بحركة رشيقة وقالت :

ــ هالو ! ..

هــكذا .. هــالو ! .. ولا اقل دهشة .. ولا اى اثر لاقل انفعــــال بدا على وجهها ! . . كانما نسيت تماما اننا لم نتقابل منذ شهـــــرين ! .. بل كانما نسيت تماما آخر مقابلة لنا .. وكيف كانت .. وكيف انتهت !

وقلت انا .. هالو ! ..

ووقفت اسحب مقعدا ليجلس فيه ابراهيم !

* * *

وغاظنى ان حميده ظلت جالسة بين أصحابها كانها لم تر خطيبها ابراهيم . ولكنى لم اقل شيئا .

وقال ابراهيم : ــ وكانمــــا ادرك مايدور براسى : ــ

ــ لقد كنت اعترضت فى اول الامر على جلوسهـــا مع هؤلاء السادة وامثالهم ، ولكنى انتهيت الى انها على حق .

وسكت انا ولم أقل شيئـــا .

وهز كتفيه وقال :

ــ فى هذا البلد الكفاءة وحدها لاتكفى .. ان لم تجد سندا من النفوذ واصحاب النفــوذ . (ثم اضاف وهـــو يبتسم) .. الم نلجأ اليك ، حميــدة ، وانا ، لكى تقدمنــا الى يوسف وهبى؟ . وهاهى ذى حميدة قد استطاعت بفضل معارفها واصدقائها هؤلاء ان تجعــل صحافة البلد تكتب عنها كمـــا تكتب عن شهيرات الممثلات ..

ثم ضحــك ــ وكانت ضحكته لاتخلو من مرارة ــ وهو يقول :

ــ بل لقد توسط حفنى بك محمود فى شانى عند الاستاذ داود بركات فزادوا مرتبى جنيهين ابتداء من هذا الشهر .

قلت : مبروك .

قال : شكرا . .

ثم ضحك مرة اخرى وهو يقول :

ــ ولكنى اخاف يوما يقول فيه عنى الناس اذا مررت امامهم « هذا ابراهيم عصمت زوج الممثلة سهاد » ! . . .

وتجاهلت المعنى الذى رمى اليه وقلت :

ــ الا يرضيك نجاحها ؟

قال : انت تعرف ان حميدة هى عندى كل شىء . . ولكن نجاحها يخيفنى !

قلت : لماذا ؟

قال (وقد اطرق براسه) :

ــ اخاف ان ياتى يوم ترانى فيه شيئا قليلا !

واشاح بوجهه عنى . .

وقبل ان اقول شيئا . . رايت حميدة ــ او سهاد ــ تقف وتستأذن من أصحابها وتقبل علينا . . واخلى ابراهيم مقعده لها ودخل المقهى ليحضر مقعدا آخر .

وقالت هى من غير مقدمة : الى هذا الحد كنت تخافنى ؟

قلت : اخافك ؟

قالت : نعم . . . حتى لقد تسللت هاربا دون ان تترك وراءك عنوان مسكنك الجديد ؟

قلت : لعلى اشفقت عليك من نفسك . . .

قالت : او اشفقت على نفسك منى ! .

قلت : الامر سواء . .

وهنا عاد ابراهيم . وقالت هى :

ــ كنت اعاتبه على انه ترك المنزل ،ولم يترك وراءه عنوان مسكنه الجديد ...

وابتسم ابراهيم وقال : لعله خاف أن نقطع عليه مراجعته لدروسه .. ولا تنسى اننا اضعنا عليه ساعتين فى تلك الليلة ...

وكدت اقول ... بل ثلاث ساعات فقد عادت حميدة وحدها ايها الطفل المسكين !!

ومضى ابراهيم يقول :

ــ ولكن الم يكن يحسن بك ان تشكريه قبل أن تعاتبيه ؟

قالت : اشكره ؟

قال : نعم ... فلولاه لما الحقك يوسف وهبى بفرقته .

قالت : هذا صحيح ...

وقلت انا : يسعدنى اننى استطعت ان اؤدى لك خدمة ..

وقالت هى بابتسامة لم تخل من سخرية : وارجو ان تكون الاخيرة ... فلن اثقل عليك بعد اليوم !

قلت : الحمد لله على انك لم تعودى بحاجة الى !

قالت : الحمد لله !

وقال ابراهيم : هل هنأته على نجاحه فى الامتحان ؟

وقالت : لم يقل لى شيئا عن نجاحه .. ولكنه لم يهنئنى انا على نجاحى !

قلت : لعلى احتفظ بهذه التهنئة ليوم تمثلين فيه دور البطولة فى مسرحية ابراهيم .

وهنا قال ابراهيم : اخشى ان يطول انتظارها لهذه التهنئة !

ونظرت اليه حميدة وقالت :كنت اظن انك قد اقتنعت برايى .

وأجابها ابراهيم : هذا حديث طويل .. ولعل ضيفنا قد جاع !

والتفت اليها يقول :

ـ سوف نحتفل بنجاحه حول مائدة العشاء .. هلم بنا !

وقالت حميدة وهى تتكىء على ذراعه بدلال : ومتى نحتفل بنجاحك انت ؟

قال : عندما اتم كتابة القصة ؟

قالت بضجر : ولكن بمكنك أيها العنيد أن تنتهى منها فى يوم واحد لو تريد ؟

قال : هذا اذا وافقتك على رأيك ... ولكن سوف نتكلم فى هذا الموضوع حول مائدة العشاء

وقام ابراهيم يبحث عن سيارة تاكسى ..

وقالت لى حميدة همسا و نحن نتبعه :

ـ هل انت حاقد على ؟

قلت : انا ؟ .. كلا ... لماذا ؟

قالت : لعلى اخطأت اذ قلت اننى لن اطلب منك خدمة اخرى ؟

وتوقفت قليلا عن السير وقلت :

ـ ترى ما هى الخدمة الجديدة التى تنوين أن تطلبيها منى ؟

وجذبتنى برفق من ذراعى وهى تقول ساخرة :

ـ لا تخف ! فلن اعرض عليك الثمن ! . كل ما اطلبه منك هو أن تنضم الى فى الراى !

قلت : اى راى ؟

قالت : سترى ...

* * *

وسألتهما ونحن فى السيارة : متى يتم القران ؟

قال ابراهيم : ان حميدة ترى أن تؤجله الى ما بعدالصيف !
وقلت : ولماذا الى ما بعـد الصيف ؟ .
قالت هى : لاننى سـأمضى فصل الصيف فى الاسـكندرية مع الفرقة .. فلا معنى لزواجنا الآن مادام عمل ابراهيم سوف يضطره للبقاء فى القاهرة .

* * *

وحول مائدة العشاء فى مطعم « باريزيانا » قال ابراهيم :
ــ لقد سألتنى ذات مرة عن موضوع القصة التى اكتبها وعن فـكرتها ...
قلت : نعم ... واذكر انك قلت ان حميدة عندها فكرة ..
وقالت حميـدة : وكان ابراهيم يعارض فيها .
وقاطعها قائلا : ولا ازال إعارض .
(حميدة) : ولكنك منـذ يومين اثنين وافقتنى على رايى .
وامسـك المسـكين بيدها و قال :
ــ هـذا صحيح .. ولـكن عنـدما اخـلو بنفسى واتخيل الموقف والمشـهد الاخير ... والحوار الذى يدور بين بطـلى القصـة .. عندها تثور رجولتى ...
(حميدة) : رجولتك ؟ !
(ابراهيم) : نعم رجولتى ... بل وكل غريزة ورثها الذكر من قديم الازل ! .. نعم الذكر ولا اقول الرجـل .. بل كل ذكر ... انسـانا كان او حيوانا ...
(حميدة) : ولـكن ما دخل رجولتـك ؟ .. انك ياصاحبى تخلط بين شخصيتك كما تحسها وبين فنـك كمؤلف يكتب ويرسم صورا من الحياة !
(ابراهيم) : ولـكن الاثر الفنى سواء اكان لوحة ام قصة

ام قصيدة يحمل دائما طابع خالقه اى طابع الفنان ...

(حميدة) : الطابع شيء ... والشخصية او الاخلاق شيء آخر .. والا فهل تزعم ان عطيلا يعكس شخصية شكسبير .. وروميو قطعة من شخصية شكسبير .. وشيلوك صورة من اخلاق المؤلف شكسبير .. والملك لير .. وماكبث وهملت ؟ .. هذه الشخصيات المتناقضة المختلفة الالوان المتضاربة الاخلاق اممكن ان يقال عنها جميعها انها ترسم صورة او صورا من شخصية شكسبير وعقلية شكسبير ونفسية شكسبير ؟! .. هذه دعوى لم يقل بها احد .. (ثم اضافت ضاحكة) : ولو كانت كل قصة مسرحية تعد كما تزعم قطعة من شخصية مؤلفها ومن نفسيته لكان المؤلف يوسف وهبى اكبر قاتل سفاح يطالب حبل المشنقة بعنقه الغليظ .. وهو مع ذلك بشهادة اصدقائه وخصومه رجل هادىء مسالم وديع !

وضحكت انا فقد كان منطقها محبوكا وان كان خيل إلى ان فيه ثغرة ما ! ..

* * *

واخيرا قلت لابراهيم :

ولكننى لم افهم حتى الآن سبب الخلاف .

قال ابراهيم وهو يبتسم :

ـ الخص لك راى حميدة فى كلمتين .. آدم هو المسئول دائما عن اخطاء حواء ! . فلولا ضعف آدم لما اخطأت حواء ...

وضحكت انا وقلت : ولكن الثعبان هو الذى اغوى حواء بالمعصية !

وصاحت حميدة : لان آدم كان اضعف من الثعبان والا لاستطاع ان يغرى حواء بالطاعة والايمان .. ولكنه تركها على

هواها فأغواها الثعبان

وقال ابراهيم ساخرا : تركهاعلى هواها بعدان حذرها وبصرها بسوء العاقبة . وبعد أن اعطته كلمة أن لاتقرب شجرة التفاح .

وهزت حميدة كتفيها وهي تقول :

ـ وهل لامراة كلمة ؟ ... انكم معشر الرجـال تناقضون انفسكم .. تسمون المراة الجنس الضعيف ولكنكم لا تصفحون عن ضعفها ! ... تسمونها الجنس الضعيف ولكنكم لا تسمحون لها ان تضعف ...

(**ابراهيم**) : قد نصفح عنها مرة .. ولكننا لا نصفح مرتين !

(**حميدة**) : ولكنكم تغفرون للرجل مرة ومرتين وثلاث مرات ... ومع ذلك فان الرجل هو الجنس القوى .. اليس كذلك ؟ اهذا منطق الحياة عنـدكم ؟ تغفـرون للقوى ... وتأبون الرحمة على الضعيف !

وهز ابراهيم راسـه اسـفا كانما قـد يئس من مناقشتها واقناعها والتفت الى يقول :

ـ هذا هو اس الخلاف بيني وبينها ... ان المسرحية التى اكتبها تعالج امر العـلاقة بين الرجل والمراة .. او بين (هو وهى) ـ وهذا هو الاسم الذى اخترته للقصة ـ وكيف تتطور هذه العلاقة وكيف تتفاعل عناصرها ... مع عناصر الوسط والبيئة والاخلاق والظروف ! .. وقد حاولت ان اعرض عرضـا عادلا نزيها لزيجات هذا العصر ومآسـيها . واى نصيب من المسئولية يقع على الرجل ... واى نصيب يقع على المراة ؟ .. ولـكن حميدة تريد ان تقـذف الاتهام كله فى وجه الرجل ... وان تلقى المسئوليـة كلها على راس الرجل ... (ثم سـكت قليلا .. قبل ان يقول) وليتها تقف فى رايها عند هذا الحد ..

والا لما تعذر التوفيق بين رايها ورايى .. ولكنها تريد أن تعاقب الرجل على ماتسميه اهماله .. وضعفه فتدفع المراة الى احضان عشيق بعد عشيق .. ثم تجعل المراة تواجه زوجها بما كان منها .. وتعترف وتقذف فى وجهه بعارها وعاره .. وتقول له ما خلاصته : « انت المسئول أولا وأخيرا » !

والتفت الى ابراهيم يسألنى :

ــ قل لى بالله ماذا تفعل انت لو قدرلك أن تكون هذا الرجل ؟ .. بل ماذا يفعل اى رجل اذا واجهته امراة بهذا الاعتراف وهذا الاتهام ؟

قلت : اخنقها بيدى ... و هذا قليل !

قال ابراهيم : وقد تقتلها ثم تقتل نفسك ! او قد تلطمها وتركلها ثم تطلقها وتطردها من دارك وهذا اقل القليل ! .. ولكن لا هذا ولا ذاك ؟ ... حميدة ترى غير هذا الراى ! حميدة تريد من الرجل ان ينتهى به الامر فيعترف لهذه الزوجة الزانية بانه هو المخطىء وانه هو وحده المسئول . ثم يتوسل اليها وهو يجثو امامها أن تبقى وتستأنف الحياة معه ..

قلت بدهشة : تستأنف الحياة معه ؟

قال بسخرية ومرارة : نعم . لان حميدة تريد من الزوجة بطلة القصة ــ بعد ان خانت زوجها مرة ومرارا ــ تريد منها ان تانف من العيش مع هذا الزوج الابله الضعيف .. وتهم بمغادرة الدار .

قلت : والزوج يتوسل اليها ان تبقى ؟!

قال : نعم . ولكنها ترفض ان تبقى معه (واطلق ضحكة عالية ثم قال) : .. ثم اتدرى ما هو الختام ؟ .. ختام القصة كما تريد حميدة ؟

قلت : كلا ...

قال : يقتل الزوج نفسه ! ... لا بسبب العار الذى لطخ اسمه ! .. وانما يقتل نفسه لأنه لايزال يحب زوجته ! .. ولان زوجته هذه قد هجرته ! ولان حياته بعدها لا تساوى عناء الحياة !

وكانت حميدة تصغى الى زوجها وقد زمت شفتيها ... ومدت ذراعها على المائدة تنقر بأصابعها نقرا خفيفا .

والتفتت الى بعد ان انتهى ابراهيم من حديثه ا

ــ ما رايك ؟

وقلت : لا شك ان الفكرة جديدة .. على المسرح المصرى !

وصاح ابراهيم : ... على المسرح المصرى ؟ بل وعلى كل مسرح !!

قالت حميدة : وهل فرض عليك أن تكتب كمايكتب سواك ؟ وان تفكر كما يفكر سواك ! وان تقدم للمسرح صورا قديمة وآراء قديمة ؟ ... وحلولا قديمة معروفة لمشاكل قديمة معروفة ؟ .. اين اذن الجديد والتجديد ؟ ...

وقال ابراهيم : اى جديد واى تجديد ! .. الامر كماقلت امر غرائز ابدية فى صدر الذكر ! غرائز لا تخضع لحكم تطور العصر ولا لحكم التجديد ! ..

وقلت انا : ان الخدم يجمعون المقاعد .. ولم يبق سوانا فى المطعم ...

وقام ابراهيم ليدفع الحساب ...

وقالت حميده : لم تكشف عن رايك صراحة فى ختام القصة ؟

قلت : لا اريد ان اغضبك !..

قالت : اذن فلست من رايى

قلت مطلقا ..

قالت : اذن كنت تقتلنى ؟

قلت : اقتلك .. لماذا ؟

قالت : .. اذا احببتنى !

فابتسمت انا **وقلت** : نعم .اذااحببتك وتزوجتك وخنتنى .. كنت اقتلك !..

قالت : ولكن ماهى الخيانة ؟

قلت : الحنث فى الحب او فىالوفاء . .

قالت : ولكنى اعرف اناسا وفوا من غير حب !.. واناسا خانوا وهم يحبون ! .. اعرفامراة تصدق فى يمينها اذا اقسمت براس زوجها . وهىمعذلك تخونه فى كل يوم ! واعرف امراة تكره زوجها ولا تطيق أنتلمسها يده ولكنها مع ذلك لم تخنه حتى اليوم !

قلت : اذن ماهى الخيانةعندك ؟..

قالت : قل لى أولاماهوالحب؟أقل لك ما هى الخيانة !

سالتها : وهل تؤمنينبالحب ؟

قالت : نعم . .

قلت : والخيانة ؟

قالت : اية امراة لم تخنصاحبها ؟ !

ضحكت وقلت امك ..

ودهشت هى **وقالت** : امى ؟

قلت : نعم . امك .. حواء !ولعل اول فضيلة فيها انها المراة الوحيدة التى لم تخن صاحبها !

ضحكت **وقالت** : فضيلة ولانضل لها فيها ! .

قلت : لماذا ؟

قالت : لم يكن هناك رجل آخر تخون آدم معه ! .
واقبـل ابراهيم علينا ونحن نضحك وقال :
ـ علام تضحكان ؟
قلت : كنا نتحـدث عن آدم وحواء !..

* * *

وقالت حميده ونحن فى طريق العودة :
ـ ولكننا لم نتفق على راى فى شأن ختام القصة ؟
وتململ ابراهيم وقال :
ـ لن تقنعينى برايك ! انك تريدين منـى ان ادافع عن المراة الزانية ! ..
قالت : كلا . لااسألك دفاعا عن المراة .. ولكنـى اطلب منك ان تهاجم وتتهم ضعف الرجـل واثرة الرجل ..
قال : سوف يرجمنى الجمهور بالطوب والحجارة .
قالت : كما رجـم المصلحين من قبلك ! ..
وصاح ابراهيم : مرة اخرى لن تقنعينى برأيك .
وصاحت هى : ولكنك منـذ يومين اثنين اقتنعت .. وكتبت فعلا ختـام القصة ومشهدها الاخير ! ..
قال : نعم .. ولكنى لما خلوت بنفسى ...
وصاحت هى فيه : اذن بربك لا تخل بنفسك ! .. اين هـذا المشهد ؟
قال : فى درج مكتبى بالجريدة
قالت : اذن نمر بالاهرام ...وتحضره .. وسوف نقرؤه معا. الليلة .. وننتهى الى قرار لاننـا سوف نسافر الى الاسـكندرية بعد اسبوع وانا اريد ان تقرأ القصة ليوسف بك قبل سفره .

* * *

واستوقفنا العربة امام جريدةالاهرام . . وذهب ابراهيم ليحضر ختام القصة من درج مكتبه :

وقلت لحميده :

ـ ولكن ما سر هذا الالحاح من جانبك ؟ هل انت من انصار الخيانة الزوجية ؟

ضحكت **وقالت** : ربما !

قلت : ومع ذلك فانت صاحبة الراى « الروح نور والقلب نـار والجسد الحطب » ؟

قالت : ولم لا ! القلب شيء . . والجسد شيء آخر !

قلت : معنى هذا ؟

قالت : الحطب من عندى . . والنار من عنده هو !

ثم ضحكت وقالت :

ـ كلا . لست من انصار الخيانة . . ولكنى اؤمن بالواقع . . واؤمن كذلك بالتجديد ! والواقع كما نعرفه وان كنا لا نجرؤ على اعـلانه . . هو ان هنـاك ازواجا عديدين يعرفون خيانة زوجاتهم ويسكتون ! لماذا يسكتون ؟ . . هذا ما اريد بيانه فى هذه القصـة !

وقال ابراهيم وهـو يجلس بيننا فى العربة :

ـ ختام القصة فى جيبى . . فالى اين نذهب ؟

قلت : الى غرفتى فى البنسيون . .

وصاحت **حميـدة** هكذا . . تدلنا على مسكنك الجديد ؟

ضحكت **وقلت** : لا خوف . . فأنا اسافر غـدا او بعد غد الى الريف ! . .

* * *

وتسللنا الى غرفتى . . واجلست ابراهيم امام مكتبى واضات الى يساره المصباح الكهربائى . . . وتناولت مقعدا جلست فيه الى

جانبه . واما حميده فقداختارتان تتمـــدد فوق المقعد الطويل « الشيزلونج » الموضـوع فى مواجهة الفراش . .

وقال ابراهيم وهو يخرج منجيبه بضع اوراق ويضعها امامه فوق المكتب :

ــ هذا هو ختام القصـــة ومشهدها الاخير كما كتبته مساء امس الاول وأحب ان اقول كمـاقلت فى مرة سابقــة ان لحميدة نصيبا كبيرا فيه . . واماالقســمالاخيرمن هذا المشهدفانه كلهمن وحيها . ولا فضل لى فيه بل ولاأطلب لنفسى اي فضل فيه !

وضحكت حميــده ضـحكة خفيفة وقالت :

ــ شكرا . . .

والتفت ابراهيم الى ومضى يقول :

ــ وقبل ان اقراه الآن امامكاعيد ماسبق ان قلته وهو اننى ارفض ان ادافــع عن خيــانة الزوجية . .

(حميدة): هذا رايك !. . ولنترك الآن الحــكم لصديقنا وسنرى رأيه ماذا يكون . . .

وبدأ ابراهيم يقــرأ . . .

* * *

المنظر غرفة نوم ــ ادراج مفتوحة ــ وقطع من الثيـاب ملقاة على الفراش والمقعد وهنا وهناك . . .

« هى » واقفة وسـط الغرفة بملابس الخروج ومن فوقها معطف ــ وامامهــا على ارض الحجرة حقيبـــة متوسطة الحجم ــ وعلى مائدة الزينة حقيبة صغيرة

تتلفت حولها . . . ثم تقف ساهمة كانما تراجعنفسها فى امرها . . . واخــيرا تمشى الى زر الجرس وتضـغط عليه . . وتقف تنتظر . . .

تسمع دقا خفيفا على الباب ..

(هى) : ادخل ...

(يفتح الباب ويدخل زوجها)

(هى) : ... انت ! ... كنت اطلب احد الخدم .

(هو) : الخدم ناموا .. !ولكن .. ماذا ؟.. لم تخلعى ملابسك ؟ ...

(يتلفت حوله ويرى الادراج المفتوحةوالثياب المبعثرة هنا وهناك ... ثم يرى الحقيبة الموضوعة على أرض الغرفة) .. وهذا ... ما معنى هذا كله ؟ .. وهذه الحقيبة ؟

(هى) : انى اغادر الدار ... أتركك .

(هو : تتركينني ... لماذا ؟

(هى) : لقد احتملت فى حياتى معك فوقما يحتمل البشر ... والليلة عزمت على ان انهى كل شىء .. كل علاقة .. وان اتركك !

(هو) : ولكن لماذا ؟ هل جننت ؟ الست سعيدة فى حياتك هنا ؟ .. انك تخرجين متى تشائين .. وتعودين متى تشائين ... (وبلهجة حزينة) لقد كففت منذ سنوات عن التدخل فى شئونك الخاصة ...

(**هى** ــ تضغط على اسنانهالكى تحبسمافى صدرها): ... من مصلحتك انت إن تقطع هنا الحديث ! .. صدقنى من أجل الماضى وحده وذكراه البعيدة .. اوثر ان لا انفجر !

(هو) : تنفجرين ؟ .. اهذا جزاء الحسنىوالمعروف؟

(**هى** وشفتاها ترتحفانغضبا) :

ـ الحسنى والمعروف ! .. نقطع هذا الحديث ! . . لقد عزمت على ان اهجرك !

(هو) : ولـكنى زوجك . . .

(هى) : العصمة بيدك . . وتستطيع دائما انتحتفظ بهذا اللقب ان كنت تجد فيه ما يشرفك . . .

(هو) : حذار . . لقد بدات أغضب !

(هى بسخرية) : بدا يغضب ! . . وافرحتاه ! . . بدا يغضب . . اخيرا !

(هو يتمالك نفسه ويقول بصوت هادىء) : اجلسى . . اهدئي . . ان اعصابك متعبة . . هـذه السهرات . وهذه الحفلات المتوالية قد انهكت اعصـابك . . أجلسى قليلا ولنتكلم بهدوء

(يتقدم منها لكى يأخذ بذراعها)

(هى ـ ترجع الى الوراء وهى تصيح) :

ـ كلا . . . كلا . . . لا تقربنى !

(هو ـ بدهشة) : ماذا جرى ؟ . . . الى هـذا الحد تنفرين مني ؟ ! . . . (ثم يهز كتفيـه . . .) ولكن ما من حب يدوم سـبع سنوات . . . على الاقل كنت أعتقـد ان حبنـا الاول . . .

(هى ـ تنفجر وتنطلق الالفاظ من فمها كالرصاص) :

الحب ؟ . . تحـدثنى عن الحب ؟ . . الا حـدثتنى عن الكراهيـة . . عن المقت ! . . كلا . . بل سـلنى ما هو الاحتقار ! . . فالمقت فيه معنى من معانى التقدير . . . وانا . . انا احتقرك . . أحتقرك . . احتقرك !

(يتراجـع هو خطوة الى الوراء كأن كلماتهـا لطمات

هوت على صدغيه)

(وتمضى هى تقول ..)

(هى) : احتقرك ـ كما يحتقرك جميع من يعرفونك ! ولكن التمساح استعار جلده من جلدك ! .. تمشى بين الناس ولا تحس شيئا ! .. تمشى مزهوا مرفوع الراس كأنما انت ! ! لست انت ! . . والليلة . . .. هذه الليلة فقط .. ونحن فى مينا هاوس .. هل احسست شيئا ! .. مررنا بجماعة ورفعت يدك بالتحية .. فهل رد تحيتك احد ؟ .. واحد منهم فقط هو الذى حنى راسه وابتسم ! .. ولكن انحناءة الراس والابتسامه لم تكونا لك .. بل لى .. لى انا ؟ وقدنالتنى كما نالنى سواه!! كلا .. كلا .. لم انته ! ولن انتهى ولو طال الليل الى يوم الدين ! ..

(يتراخى هو فى المقعد الكبير وراسه متدل فوق صدره)

(وتمضى هى فى ثورتها وانفاسها تتلاحق ..)

(هى) : بالله . . كم تعذبت ! . .

(تقترب منه وتنحنى فوقه وكانها تريدان لا تفوته كلمة واحدة مما تقول)

(هى) : وهل لاحظت الليلة .. غمزات النساء .. وابتسامات الرجال .. كلما مررنا بجماعة .. وهمسهم المسموع .. « هذا هو . وهذه هى ! . » هل احسست؟ وهل سألت نفسك لماذا ؟ ..

(هو يرفع يديه فجأة ويلطمها على وجهها فترتد عنه خطوة ... ويثب واقفا ويهوى على وجهها بلطمة اخرى)

(هى) : وقد حاولت ان تدرأ لطماته .. **وترفع يديها**

عن وجهها وتنظر اليهما وقد سال الدم من فمها)

(هو) : اخرجي ! . .

(هي) : . . واخيرا افاق الرجل من سباته الطويل ! . .

(هو) : اخرجي . . .

(هي ــ وهي تمسح الدم عن فمها بيدها)

هذه لطمتك الثانية . . اما لطمتك الاولى فكانت منذ ست سنوات . . يوم كنت لاازال احبك !

(هو) : عمرك ما احببتني !

(هي ــ تلقي عليه نظرة طويلة . وكانما تحدث نفسها) :

عمري ما احببته ! ! . . **(اليه)**

. . . كلا ! . . . لاني عبدتك ! كانت عاطفتي اقوى من الحب . . نعم . . عبدتك . . أول عام لزواجنا ــ وفي العام الثاني تلمست لك الاعذار ــ ولكني في العام الثالث بدأت التمس الاعذار . . لنفسي . . ولشبابي . . ولوحدتي . . ولكن اتذكر اللطمة الاولى وكانت بعد شهور قليلة من زواجنا . . كنت في تلك الليلة واقفة هنا . . في غرفة نومي . . غرفة العرس . . انتظر عودتك من السفر . . وكانت اسفارك لا تنقطع . . . تارة في الريف تشرف على جني القطن . . . وتارة في الاسكندرية لتعجل بشحن آلة حديثة للري ابتعتها . . وتارة في طنطا لمقابلة مفتش الري . . ومرة في دسوق لمعاينة قطعة من الارض معروضة للبيع . . ومرة في اجا لمحاسبة المستاجرين . . ويوما في زفتى لأن وباء فشا بين مواشيك . . ويوما هنا ويوما هناك . . وعروسك ــ انا ــ تنتظر ! . .

(يمشى هو الى النافذة ويزيح السجف ويقف امامها يحدق فى ظلمة الليل . .)

(هى) : فى تلك الليلة .. ليلة لطمتنى لاول مرة . . كنت واقفة حيث تقف انت الآن .. بجوار النافذة . . اترقب انوار سيارتك . . وعودتك بعد غياب اسبوع ! وكنت قد نثرت حولى فى هذه الغرفة .. على الفراش .. وعلى المقعد الطويل .. وهنا .. وهناك .. كنت قد نثرت ثياب العرس .. التى كنت اعددتها من اجلك ! .. هذه قمصان النوم .. ذات الالوان التى كنت تحبها .. سوف البسها لك ! . وهذا معطف واسع من الحرير . . . ارتديه فوق قميص النوم اثناء تناول طعام الافطار معك .. على الشرفة .. وهذا الشال الفه حول عنقى عندما نسير معا فى الحديقة نشم الزهر فى انفاس الليل .. وهذا الثوب سوف ارتديه حين اجلس فى السيارة بجانبك وننطلق معا الى الصحراء . . وهذا الثوب للصباح . . وهذا الثوب للسهرة . . وهذه العطور التى تحبها .. اعددتها لفراشك .. لفراشنا ! . . نعم .. نثرت حولى ثياب العرس ووقفت انتظر عودتك ودخولك على لاقول لك .. (انظر ! .. هذه الثياب كلها اعددتها لك .. ومن اجلك . . ولكن غيابك طال ! . . اهجت ياحبيبى شهيتى للحب .. ثم تتركنى جائعة؟ . . متى تستقر الى جانبى ياحبيبى لكى البس هذه الثياب لك) .. نعم . هذاما كنت سأقوله لك ! . . واخيرا وصلت . . وهرعت انا الى هذا الباب استقبلك .. ولكنك دخلت على . متجهم الوجه .. والقيت نظرة على

الثياب . . ثيـــاب العرس المنثورة حولى ! . . وقطبت حاجبيك . . وقلت ما هذا ؟ . . قلتها بغضب وضـــيق صـــدر . . ! واحسـست لحظتها بظلمك لى . ونسيت ما كنت سأقوله ! . . ولاول مرة صعد الدم الى راسى . . وغضبت !. . وصحت فى وجهك : ان غيابك طال . . وانك تهملنى . . وان هذه الحياة لا تعجبنى ! . . .

(تسكت لحظة ثم ..) ولطمتنى انت على وجهى !. نعم . . لطمتنى . . اولطمت حبى فقد كنت يومئذ لا ازال احبك . . آه لو كنت اخذتنى بين ذراعيـــك وقبلتنى . . وهمست فى اذنى بكلمة حلوة . . لكنت بكيت على صدرك وسألتك ان تصفح عنى ! . ولكنك لطمتنى . . وخرجت وصفقت وراءك الباب ! . . وتركتنى وحدى !. تركتنى بين ثياب عرسى المنثورة حولى وقـــد بدت امامى كأنهـــا زهور فى مقبرة ! . . نعم . . فى تلك الليلة حفـــرت انت بيدك قبر حبى لك ! . . يالسخرية القدر ! . . لطمتنى يوم كنت احبك ! . وقبلتنى ليلة خنتك ! . . نعم . . قبلتنى ليلة خنتك لاول مرة ! . . اتذكر ؟ . . كلا . انك لا تذكر . . لانك لا تعرف !. نعم ! . . اخف وجهك بين يديك . . وجهك الذى اصبح بلون الرماد ! . . كلا . لن تخيفنى بنظراتك هذه . . لن تخيفنى لانى احتقرك . . وسأمضى بالخنجر فى يدى ادور به فى احشائك . .

(هو) : يا عاهرة !

(هى) : زوجتك !

(هو) : اقتلك . . .

(هى) : كلا . . لن تقتلنى لانك تخشى الفضيحة . . .

لانك جبان !

(هو) : اذن خنتني !

(هي – بضحكة عالية) : خنتك !.. تسألني اذا كنت خنتك !.. كنت اظن انك حزرت من زمن !... ولكن الآلهة القادرة على كل شيء ... تقر بعجزها وأن لا حيلة لها امام الابله والمأفون ! . .

(هو) : ومتى خنتني !. ومع من !.. اجيبي ...

(هي) : مهلا .. مهلا .!.. مع من !.. يمكنك ان تبدأ بحرف الالف ... وانتمشى فى الحروف كلهــا الى الياء !..

(هو بصوت مكتوم) : اول مرة !.. متى كان ذلك؟.

(هي) : اخـــيرا اثرت فضولك !.. كان ذلك ليــلة قبلتني وسألتني الصفح عن اهمالك لى !.. اتذكر ؟! .. اتذكر يوم كنا سنحتفل بعيد زواجنــا الثاني !.. وافقت انا فى الصباح ولم اجدك الى جانبى ... وقال لى خادمك انك سافرت الى ضيعتك... وانك ستعود فى المساء وناولني خطابا منك ! . . واقبل اصدقاؤنا فى المساء .. وانتظرناك طويلا ولكنك لم تعد .. واقبلت صــديقاتى يواسينني ... وكن سمعن عن كثرة اسفارك وعن اهمالك لى .. ولكنني تجلدت امامهـــن ورحت التمس لك الاعذار ! .. بيد ان تجلدى لم يقنع احدا . . لقد كانت المرارة فى فمى . . والخيبة فى وجهى .. والوحدة تثقل كتفى . . وجـرح كبريائى يقطــر من عينى ! . . الا صدقنى – او لا تصدق فما عاد يهم ! – لاشيء يثير المرأة مثل جرح الكبرياء ! . . ولقد جرحت كبريائى فى تلك

الليلة . . وكنت قبلها قـد جرحت حبى ! . . وتركنى المدعوون قبيل الفجر . . وعنـد الباب وقف احدهم ــ كلا . لن اذكر اسمه ــ وهمس «ماأجملك وماأشهاك!» . . ماأجملنى وما اشهانى ! . . انا التى يتركنى زوجى الى الريف ليلة عيد زواجنا لكى يشرف على دق طلمبة جديدة للمياه ! . . وطلب منى ان القاه . . وقبلت !. . كنت يئست منك ! كانت كأس صبرى قد فاضت ! . . عامان طويلان . . من الوحدة والجوع ! . . نعم . . الجوع . . كنت جائعة للحب . . وكنت بدات افقـد الثقة فى نفسى . . فى جمالى . . فى شبابى . . وتملكنى الخوف من ان الحب لن يـكون من نصيبى . . والا فلماذا انت ــ يا زوجى وحبيبى ــ لمـاذا مللتنى وزهدت فى واعرضت عنى كأننى لا اساوى فى نظرك جاموسة نفقت او طلمبة للمياه ! . . .

(تسكت قليلا لتسترد انفاسها كانما الذكرى اهاجت اعماقها النائمـة . . اما هو فقد بدا عليه انه تهدم ! . . يعود الى مقعده وقد تهدلت كتفاه . . واغمض عينيه . . ولون وجهه كالرماد)

(هى) : ولو انك كنت قد عدت فى الصباح !. من يدرى !. ولكنك لم تعد . . بل حتى لم تتكلم بالتليفون ! . . لكى تقول مثلا . . عيد سعيد يازوجتى ! . كلا ! كنت مشغولا بطلمبة المياه ! . واقبل المساء . . ولم تعـد . . . وذهبت اليه ! . وامضيت معه ساعات . . وكان ما لا بد ان يكون! لم يكن عن حب . . كلا . . ما جرى لم يكن عن حب . . لا منى . . ولا منه ! . كان متعة له . وعزاء لى . . كنت

اطلب العزاء .. ووجـــدت عنده العزاء ! . فقد أعاد الى الثقة فى نفسى .. وأننى ما زلت شابة وجميلة ومشتهاة ! وعدت الى هنا لأجـــدك فى انتظارى ! .. ولم تســـألنى انت اين كنت ؟ .. ولا لماذا انا مضطربة مصفرة الوجـــه زائغة العينين !.. الا ما اثقل الخطـــوة الاولى ! . . وما اسهل واسرع ما بعدها من خطوات . . لم تسألنى عن شيء من هذا .. بل رحت تقص على انباء ضيعتك وأن جاموسة نفقت .. وحمارا ضاع ..ثم قبلتنى واعتذرت عن سفرك يوم عيد زواجنا بأنك كنت مضطرا للاشراف بنفسك على تركيب طلمبة الميـــاه التى تروى فى اليـــوم الواحد كذا فدانا ! .. آه .. تلك القبلة . قبلتـــك يوم خنتك ! .. اللطمة جرحت حبى ! . والقبلة حركت فى صدرى ما يشبه الشفقة ..والشفقة أم الاحتقار ! ..آه لو شاء القدر ان تكون القبلة اولا .. واللطمة اخيرا .. آه لو كنت قبلتنى يوم جرحت حبى . ولطمتنى يوم خنتك .. اذن لتغيرت الحيـــاة لى ولك ! ..

(هو ــ كانما يقولها لنفسه) : نعم .. اخطات اولا . . واخيرا !

(هى ــ تقترب منـــه) : اتذكر يوم قلت لك ــ وكنا لا نزال فى العام الاول من زواجنـــا ــ لا تتركنى طـــويلا وحدى ! . فهززت كتفيك وقلت ما الحيلة واعمـــالك كثيرة ! .. اتذكر ! ..

(هو يحنى راسه ان نعم .. يذكر)

(هى) : اتذكر يوم عدت من ســـفر طويل وبكيت انا على صدرك وقلت لك ان اهمالك يجرحنى ويقتل حبى !

(هو) : نعم .. اذكر !

(هى) : اتذكر يوم عدت من سفر طويل دام شـهرا واكثر .. وقلت لك انني اقاسى من وحدتى هما كبيرا..

(هو) : نعـم ...

(هى) ... وقلت لك يومئذ حذار ! .. ان حبى وحده هو الذى يبقينى لك ! فاذا مات حبى .. لم يبق هناك ما يبقينى ! .. اتذكر ؟ .. مالك لا تجيب ؟ ! .. نعم . تذكر ! .. وتذكر انك ضـحكت فى وجهى وقلت اننى مجنونة !

(هو ـ بصوت مختنق) كنت أعمل واكدح من اجلنا ... من أجلك !

(هى ـ سـاخرة) : او كمـا قلت مرة ... من اجل المستقبل ؟ !

(هو) : نعم . المستقبل !

(هى ـ بمرارة) : وها نحن كـلانا .. نقف الليلة فيه ! .. نقف فى هـذا المستقبل .. الذى اشتريته بحاضرى وحاضرك !

(هو) : المـال كان من اجلك ! . .

(هى) : من اجلى ؟ ! .. ومن اجلى رفضت أن تصغى لدموعى .. لتوسلاتى . . لحبى ؟ ! .. أيهـا الرجـل لا تكذب .. ونحن وقوف عند باب لا لقاء بعـده ! .. ان حياتك سلسلة من الزيف والـكذب .. ولـكن تكذب الآن ؟ .. أما تسـتطيع أن تكون صريحا معى كما كنت صريحة معك ؟ .. اما تستطيع ان يـكون لك مثـل شجاعتى .. انا .. كما دعوتنى .. انا العـاهرة ! ..

هل تعز عليك شجاعة العاهرة !؟

(هو) : يكفى ...

(هى ــ وكانما تفكر لنفسها وتقول لنفسها) :

ولو كان لنا بنت او ولد .. فلربما استطعت أن افهم ..
لماذا تحرص على جمع المال ...

(هو) : انت لا تفهمين !

(هى) : ربما ! ولكنى افهم انك تركتنى ليلة عيدى من اجل جاموسة نفقت .. وحمار سرق!.. اليس كذلك ؟.. واخيرا جاء اليوم الذى خنتك فيه !.. وبعدها سكت عنك ... وكففت عن لومك وتذكيرك بحقى عليك كزوجة ... وبواجبك نحوى كزوج !.. وسررت انت لانى امسكت عن تقريعك !.. وتركتك تقيم وترحل كما تشاء .. وتغيب وتعود كما تشاء .. وتركتنى انت ــ كما قلت الليلة ــ حرة اغدو واروح كما اشاء .. واختار اصدقائى وعشاقى كما اشاء !.. وانفصم كل مابيننا .. ولم يبق لنا الا اللقب ! انت زوجى .. وانا زوجتك !.. ولكن انا .. انا العاهرة كما اسميتنى .. لم اعد اطيق هزء الناس بى وبك !.. واحتقار الناس لى ولك !.. من اجل هذا اتركك!.. لا الى دار صديق او عشيق كما قد تظن .. كلا . فقد سئمت العيش الدنس !..

(تنهار قواها فجاة . وتجر قدميها الى الحقيبة الصغيرة الموضوعة فوق مائدة الزينة وتخرج منها منديلا تمسح به دموعها)

(هى ــ تمضى فى حديثها بصوت متقطع) نعم ...

سأترك هذا البلد الى بلد لا يعرفني فيه احد ...
الى يوم ينساني فيه الناس وانسى الماضي وما فيه !..
والله يتولاني برحمته ...

(هي تمشي الى الباب ...

اما هو فكان يصغي اليها وكأنما شاخ عشر سنوات ! .. وفجاة ينهض واقفا ويمشي نحوها ..)

هو) : كلا .. كلا .. لا تتركيني !

هي) : وداعا .. ايها الحب .. والكره معا !..

هو) : كلا .. لا تتركيني ...

هي) : دعني .. لم يبق شيء بيننا !

هو) : كل شيء يبقى بيننا لو تشائين ..

هي) : هيهات ...

(هو ينطلق يبكي .. وقد جثا على ركبتيه امامها)

هي) : ارجوك ... ارجوك بالله لا تبك ..
لاتبك .. ان صوت شهيقك لطمات تهوي بها على وجهي)

(ثم تخفي وجهها بيديها حتى لا تراه يبكي وينتحب)

هو) : ابقي .. ابقي معي .. لا تتركيني ..
اخطأت فسامحيني .. نستأنف الحياة معا .. ابقي
.. اني احبك ! نعم .. ما زلت احبك !

(هي ـ بصوت عميق حزين) :

ـ صدقني لو كان بيدي ان ابعث الموتى ...
لبعثت حبي لك !.. ولكن .. هنا ...

(ثم تنظر اليه وهو جاث امامها يبكي)

ـ لم يبق لك هنا .. في صدري .. سوى
الاحتقار !.. والله يرحمك .. ويرحمني !..

(تسير نحو الباب ... ولكنه يتعلق بذيل ثوبها ...)

(**هو**) : لا تتركيني .. لا تتركيني ..

(**هي**) : وداعا ...

(هو يخرج من جيبه مسدسا وهو لايزال ممسكا بذيل ثوبها ..

(هي ــ وقد اخفت وجهها بيديها) لا.. لا..لا..

(يطلق النار في راسه ! ... وينتشر رشاش الدم على ثوبها ويديها)

(تجثو على ركبتيها امام جثته ... وتبكي !)

وانتهى ابراهيم من تلاوة ختام القصة.. وتشاغل بجمع اوراقه .. ودون ان ينظر الي قال :

ــ ارايت ! ؟

ونفضت حميدة غبار سيجارة كانت تدخنها واستوت جالسة في المقعد الطويل وقالت :

ــ ما رايك ؟

وحرت جوابا !.. كمتفرج واقولها صراحة كانت عواطفي مع البطلة لا مع البطل .. معها هي لا معه هو ! ربما لان ابراهيم ــ وحميده الى جانبه تلهمه او كما قال هو .. المعاني من عندها والالفاظ من عنده ــ ربما لان ابراهيم أجرى على لسان البطلة كل ما يمكن ان يقال في باب الدفاع .. ولم يدع للبطل فرصة يقول فيها شيئا كثيرا !.. وكانت النتيجة ان هذا المشهد النهائي او ختام القصة .. هو انتصار للبطلة وحميدة اذن على حق !.. ولكن ...

واخيرا قلت :

ـ لا رايكما ولا رايى يقدم او يؤخر .. لماذا لا تتركان الحكم للرجل الذى سوف يتحمل مسئوليه هذه القصة ... اقصد يوسف وهبى !.. ان شاء قبلها واخرجها كما هى.. وان شاء اشار عليك يا ابراهيم بتعديل كذا او كيت !

ووثبت حميده واقفة تقول :

ـ اوافق !

وقال ابراهيم وهو يضع اوراقه فى جيبه :

ـ لا بأس !

وذهبت معهما الى الباب اشيعهما ..

وسألنى ابراهيم :

ـ تسافر غدا ؟

قلت : باذن الله .. أو بعد غد اذا لم يكف غد لشراء ما احتاج اليه

ومد يده يصافحنى ويقول بحرارة ، شكرا.. شكرا جزيلا

وقالت حميده : ومتى نراك .. بعد الصيف ؟

قلت : نعم .. وربما قبل ذلك اذا زرت الاسكندرية !

وانسابت الي من عينيها نظرة طويلة ... وانا اقفل وراءهما الباب

وفى الصباح ـ وبينما كنت اعد حقائبى ـ دخل الخادم يقول ان سيدة شابة تطلب مقابلتى.. وحزرت طبعا من هى!

واعترف لكما اننى كنت أتوقع هذه الزيارة .. او لعلى كنت ارجوها .. لماذا .. لا ادرى !.

ودخلت حميده تحيينى وتعتذر عن هذه الزيارة المفاجئة وتقول انها حرصت على ان ترانى قبل سفرى لانها تريد ان تستشيرنى ـ كصديق ـ فى امر هام .

وجلست فى مقعد وكان يبدو عليها انهاحقيقة مشغولةالبال

وقالت : هل انت صديق ابراهيم ؟

ودهشت لسؤالها ولكنى قلت : ولم لا اكون صديقا لكما انتما معا ؟

ــ اذن يمكننى ان اثق فى صداقتك لى ؟

قلت : طبعا ..

قالت : وانك تخلص النصح فيما جئت اسألك الراى فيه ؟

قلت : طبعا ...

وسكتت قليلا .. ثم قالت :

ــ ان ابراهيم يخيفنى ..

قلت : ماذا ؟

قالت : يخيفنى .. احيانا اخاف منه !.

ضحكت وقلت : انت تخافين من ابراهيم ؟ لعل العكس هو الصحيح .. فانت تفعلين به ما تشائين .. وتملين عليه ارادتك كما تشائين ..

قالت : ... ولكنه مع ذلك يخيفنى !..

قلت : لماذا ؟

قالت : احيانا عندما اخلو به .. يجلس صامتا .. مطبق الشفتين : ولكنى اشعر كأنما هناك حديث خفى يدور بين راسه وصدره !.. حديث لا تعكسه عيناه .. ولا تنطق به شفتاه .. ولكنى اراه فى تقلصات عضلات وجهه.. وفى رعشة طاقتى انفه .. وفى اصابع يديه !.. واسأله انا «ما بك ؟» فيخفى وجهه بين يديه!.. وهو يقول همسا (احبك.. احبك) !

وسكتت حميده برهة ثم قالت :

ــ مثل هذا الحب يخيفنى !.. هذا حب لايعرف الصفح

.. ولا يعرف السلوى ولا النسيان !.. واقول لك صراحة انني اخاف من هذا الحب . ولاآمن على نفسي من ابراهيم !

وقلت انا : انك تبالغين !

قالت : كلا !.. ان ابراهيم شـــاذ .. غريب الاطوار .. ولهذا جئت اسألك هل تنصح لي بالزواج منه ؟

قلت : ياله من سؤال ! ٠٠ الى هذا الحد ؟ ٠٠ كنت أعتقد أن زواجكما أمر مقرر ٠

قالت : نعم ولكني ٠ ٠

ولاول مرة رأيت على وجـه حميده مايشبه الحيرة والخوف معا ٠ ٠

قلت : ولكنك ماذا

قالت : هل تظن ان ابراهيم مجنون ؟

وسكتت ! ٠ ٠ وسكت أنا أيضا ٠ ووجدتني بالرغم مني أعود بالذاكرة الى أول يوم قابلت فيه ابراهيم والاثر الذى تركه يومئذ في نفسي ٠٠ وكيف انى رأيت فيـــه شـخصا قد يكون عبقريا ٠٠ او مجنونا ٠٠ ولكنه لن يكون وسطا عاديا ٠٠ فقـد كانت في اغوار عينيه قوى تتحفز للوثوب !

ومضت حميدة تقول ٠

ــ ليله امس بعد أن تركناك ٠٠ اقترح ابراهيم أن نذهب الى الجزيرة ونطوف بها قليلا أو نجلس على شاطىء النيل ٠ ٠ قبل أن نعود الى البيت وكنت متعبه ولكني وافقته لانى لم أرد أن أغضبه ٠٠ وخصوصا بعـد المناقشـــة الطويلة التى دارت بينه وبيني بشأن ختام القصة! ٠٠ وذهبنـــا الى الجزيرة ٠ ٠ وجلسنا على شاطىء النيل ٠ ٠ وبعد لحظات نهض واقفا ينمسى دون أن يقول شيئا ٠٠ وظننت أنا انه ذهب لحاجة ما ٠٠ أو

لعله أراد أن يتريض قليلا على قدميه ٠٠ ولكنه لم يعد !

ودهشت أنا وسألتها : كيف لم يعد ؟

قالت : لم يعد ! ٠٠ انتظرت ربع ساعة ٠ نصف ساعة ٠ ساعة ٠ ولما لم يعد ٠٠ خفت أن يكون شيء ما ٠٠ حادث ماوقع له ٠٠ ورحت أبحث فى ظلمة الليل ٠٠ وأناديه ٠٠ وأخيرا ولحسن الحظ وجدت عربة فركبتها وعدت الى البيت !

وسكتت لحظة قبل أن تقول ٠٠

٠٠٠ ووجدت ابراهيم ينتظرنى وقد ترك باب غرفته مفتوحا لكى يرانى عند دخولى ! ٠ ٠ أتدرى ماذا قال ؟ ٠٠ صاح يسألنى : « أين كنت حتى الآن ؟ » ـ وظننت انه يمزح ٠ وان مزاحه ثقيل ! ٠ اذ كيف يتركنى وحدى على شاطىء النيل فى مثل هذه الساعة من الليل ثم يسألنى « أين كنت » ؟ ٠٠ ولكن نظرة منى الى وجهه أوقفت الكلمات على شفتى ! ٠ ٠ كان وجهه شاحبا ٠ ٠ وعيناه بلون الدم ! وظننت انه مريض ٠٠ فتقدمت منه ووضعت يدى على جبينه ٠٠ هل هو محموم ؟ ٠٠ ولكن جبينه كان باردا ٠٠ بل كان قطعة من الجليد ! ٠ هذا وهو يعيد سؤاله « أين كنت حتى الآن » ؟ ٠ وأحسست خوفا شديدا ٠٠ ولكنى انحنيت فوقه وقلت : « كنت معك ! .. كنت انتظرك ٠٠ لماذا تركتنى على شاطىء النيل وعدت وحدك الى البيت ؟ » ورفع رأسه الى ٠٠ وخيل الى انه يريد أن يقول شيئا ٠٠ ثم رفع يده الى جبينه يمسحه ٠٠ كأنما يريد أن يتذكر ٠٠ وأخيرا نهض واقفا وأخذنى بين ذراعيه وقبلنى ٠٠ وكان يبكى ! ٠ ٠

وسكتت حميده مرة أخرى ٠٠ ولما لم أقل شيئا سألتنى :

ـ ماذا تظن فى هذا كله ؟ ٠٠

ولم أجب ! ٠٠ ماذا أقول ؟ الامر حقيقة غريب ٠ ٠

وأخيرا قلت : لعله متعب ٠٠ لقد أذاب أعصابه فى كتابة هذه المسرحية

ولكنها هزت راسها ! . وشعرت انا كذلك أن تفسيرى ضعيف غير مقنع !

وقالت هى : من أجل هذا اسألك هل تنصحنى بالزواج من ابراهيم ؟

وحرت جوابا ٠٠ وأخيرا قلت:

ـ على كل حال لماذا تتعجلين القرار وزواجكما لايتم الا فى آخر الصيف كما فهمت منكما الليلة ؟ ٠٠

وسكتت قليلا .. ثم قالت : اصبت !

ثم مدت يدها وتناولت سيجارة من صندوق سجايرى ٠ ٠ ٠ وقالت وأنا أشعل لها السيجارة :

ـ خيل الى أمس انك كنت متحفظا فى ابداء رأيك ؟

قلت : اى رأى ؟

قالت : رأيك فى ختام القصة !

قلت : المشهد من الوجهة الفنية ٠٠ المسرحية ٠٠ جيد وأكثر من جيد ٠ ولكننى من رأى ابراهيم

وقالت :ولماذا لم تقل هذا ليلة أمس ؟

قلت : لعلى لم أشأ أن أغضبك؟

وانحنت حميده نحوى وقالت : حقا ؟ ..

واسرعت انا اقول .. قبل ان اتورط معها فيما لاخير فيه ..

ـ ولكن عندى اعتراض بسيط ٠ ٠

قالت : وما هو ؟

قلت : فى ختام الموقف ... عندما يخرج الزوج مسدسه من جيبه ٠٠ وقبل أن يطلق النار على رأسه ٠٠ تصيح الزوجة ٠٠٠

« لا ‥ لا ‥ لا ‥ »

قالت : نعم

قلت : هل « لا ‥ لا ‥ لا »‥ معناها (لاتفعل ! لاتقتـل نفسك) ‥ أو ان الزوجة ظنت انه أخرج المسدس ليقتلها هى فخافت وصاحت ‥ « لا ‥ لا ‥ »

قالت : هو ذلك ! ‥ لقـد خافت أن يقتلها ‥ وهذا هو المعنى الذى سوف أؤديه اذا مثلت الدور !

قلت : ولماذا تأبين عـلى هذه الزوجة أن يكون فى قلبها قطرة واحدة من الرحمة بهذا الرجـل الذى أحبته عامين ‥ بهذا الزوج التعس المسكين ! ‥ لماذا لاتدعينها تقول (لا ‥ لا ‥ لا ‥) رحمة به واشفاقا عليه وقد أحست انه سيقتل نفسه ؟ ‥ ثم لاتنسى انه لما هددها بالقتل هزأت منـه وقالت انه لن يجسر على قتلهـا لانه يخاف الفضيحة ‥ فـكيف اذن يسبق الى خاطرها انه يريد أن يقتلها هى ؟

وقالت حميده : معقول ‥

قلت : ثم أخشى ان يســأل النقاد مؤلف القصة لماذا يدخـل زوج على زوجته ليلا وفى غرفـة نومهـا وهـو يحمل مسدسا فى جيبه ؟ ‥

قالت بابتسامة : أصبت ‥ وماالذى تقترحه أيهـا المؤلف الكبير ؟

وضحكت أنا وقلت : المؤلف الكبير يفكر فى نهاية أخرى ‥

قالت : وماهى ؟

قلت : سوف أكتبهـا وأبعث بها الى ابراهيم ‥

قالت : ولماذا لاتبعث بهـا الى أنا ؟ ‥

ثم أمسكت بيدى وقالت وهى تضحك :

ـ تصور ! ٠٠ ابراهيم يقدم القصة ليوسف وهبي ٠٠ ويوسف يعجب بالقصة ويقبلها كما هي ٠٠ ثم أتقدم أنا وأشير الى الاخطاء الفنية التي أشرت اليها انت .. وأقدم لهما علاجا لهذه الاخطاء ٠

وضحكت أنا وقلت : كم أنت طموحة !

قالت : اذن تعدني أن تكتب الى ٠٠ بالعلاج !

قلت : نعم ٠ ٠

قالت : أكتب الى على فندق سان ستفانو ٠ ٠

قلت : فندق سان ستفانو ؟ ٠٠ ولكن ممثلات فرقة رمسيس ينزلن عادة على حساب الفرقة في فندق ريش ٠٠ أو قنال السويس

قالت : ولكنني سأنزل في سان ستفانو ؟

سألتها : على حساب الفرقة ؟

قالت : طبعا لا ٠٠

قلت : على حسابك انت ٠ ٠ ومرتبك عشرة جنيهات ؟

فضحكت في وجهي وقالت :

ـ ألم أقل لك انك طفل صغير ؟ ٠ ولكن قل لي لماذا لاتكتب أنت للمسرح ؟

فضحكت وقلت : تنقصني الملهمة ٠٠ مصدر الالهام !

قالت : وهي تضع يديها فوق كتفي ٠ ٠

ـ ينقصك حميده ؟

قلت : كلا ٠٠ ان حميده نار ٠٠ وأنا أخاف النار !

قالت : قد تكون النار بردا وسلاما ٠٠

قلت : على ابراهيم ! . او ارجو ان تكون كذلك !.. وانا لست ابراهيم ! . .

وضحكت هي ٠٠ وهزتني قليلا بيديها وهي تقول ٠٠

ـ انت تثير فضولي ! ٠٠ أو لعل برودك هو الذي يثيرني ٠

وقلت انا : شكرا ٠٠ ولكن هذا رأيك !

قالت : ورأى الناس ؟

قلت : لم أسألهم بعد

قالت : ورأيك أنت فى نفسك ؟

ابتسمت وقلت : قد تعرفينه فى يوم ما ! والآن هل تردين على السؤال الذى وجهته اليك ٠ ٠ ذات ليلة منذ شهرين ؟

قالت : طبعا وماهو ٠٠ اننى لاأذكر ٠

قلت : وأن لاتغضبى ؟

ابتسمت وقالت : سأجتهد أن لاأغضب ٠ ٠

قلت : كم رجلا عرفت فى حياتك ؟

وضحكت طويلا قبل أن تقول :

ـ هل هى الغيرة التى أوحت بهذا السؤال ؟

قلت : كلا ٠٠ بل ٠٠ الفضول

قالت وهى لاتزال تبتسم :

ـ اذن فأنت ضعيف الذاكرة

ـ لماذا ؟

ـ لانك نسيت ماقلته أنا أمس على لسان الزوجة ـ لسان (هى) وهى تقول لزوجها (تستطيع أن تبدأ بحرف الالف وتمشى فى الحروف كلها الى الياء ٠) هـذا ظننت انها الغيرة التى اوحت بسؤالك !

قلت وانا انظر فى عينيها :

ـ وهكذا عرفت الحياة ؟!

قالت : نعم .. عرفتها وانا بعد فى الثانية عشرة من عمرى ! عرفتها على أفواه وفى أحضان الآباء والابناء والازواج .. آباء وابناء وازواج السيدات والآنسات اللاتى كنت أحمل لهن ثيابهن

الجـــديدة واجمع منهن الاجر واعود به الى امى ! .. اتدرى ؟
وسكتت لحظـــة ولأول مرةرايت فى عينيها ما يشبهالخجل .
اتدرى ان اول رجل قبلنى فى فمى كان شيخا جاوز الستـين
.. وقد اعطانى يومئذ خمســةقروش .. (وضحـكت بمرارة
وهى تقـــول ..) وهكذا بعتقبلتىالعذراء بخمسين مليما ! .
ومدت يدها تقول :
ـ والآن الى الملتقـــى ..يا ابرد من عرفت !
قلت : وما حيلتى وليسعندىنار .. !
قالت ـ وانا اشيعها الى بابالخروج .. (النار بين يديك !)
ثم اضافت قبل اناقولشيئا :
ـ ولا تنس ان تبعث الى بالتعديل الذى تراه فى ختام المشهد الاخير !..
قلت : سافعل .. الى الملتقى!
وكانت **هـذه آخر** مرة اخلوفيها بحميده التى اشتهرت فيما بعد باسم سهاد ! .

❋ ❋ ❋

وهنـــا قال الصاوى : الآنفهمت من اين لحميـده خبرتها بالحيـــاة وما يجرى فى بيوتالناس ! ..
وقال توفيق الحكيم : نعـــم ولكننى لمافهم بعد ـ وهىالفتاة الفقيرة التى لم تنل من العلم الا قليلا ـ من أين لها العلم بالفرق بين الطابع والشخصية ؟.. ومناين لها العلم بشكسبير وقصص شكسبير ؟ .
قلت : كنت اظـن انك حزرتمن سيـــاق الحديث ! .. لقد عرفتمـــا انها ذكية .. شديدةالذكاء وذات شخصيـــة مطاوعة سهلة التكييف . .ولقد رايتمـاكيف استطاعت فى شهرين أثنين

ان تجالس الصحفيين والساسةوالادباء فى بار اللواء وان تفهم مايقال امامها وان تشترك معهم فى الحديث .. وكيف تختار ثيابها وتبدو انيقة رشيقة .. فهل كثير عليها ــ بعد ان امضت شهرين فى مسرح رمسيس والحديث يدور فيه كما يدور فى كل مسرح عن كتاب القصة قديما وحديثا .. وعن فن القصة المسرحية .. والفرق بين شكسبير وراسين وكورنيل . . وساردو وبرنشتين وهنرى باتاى .. الى آخره ! .. هل كثير على حميده ان تلتقط هذه الشذرات من هنا وهنا وان تعيها وان تعرف كيف تستعملها وترددها عند اللزوم ! وكيف تستغل علمها القليل وتغطى به جهلها الكبير وبين ممثلات اليوم كثيرات مثل سهاد ! .. ان بواب مسرح رمسيس نفسه يستطيع لكثرة ماسمعه ان يعدلك على اصابع يديه القصص التى كتبها شكسبير . . فمابالك بالاساتذة يوسف وهبى وفتوح نشاطي واحمد علام ومختار عثمان .. وكل منهم كما أعلم حريص على ان يستعرض ثقافته الفنية امام الممثلين والممثلات وخصوصا امام فتاة فاتنة مثل سهاد ! .

وهز صديقنا توفيق راسه كعادته وقال : صحيح !

واستانفت الحديث ..

* * *

وسافرت الى الريف حيث أمضيت شهور الصيف . ولم انس ان ابعث لحميدة ــ على فندق سان ستفانو ــ بالتعديل الذى رايت اجراءه فى الموقف الاخير من ختام القصة .. وقد اخذ يوسف وهبى فعلا برايي ــ او براى سهاد ! ــ لانها قدمت التعديل كانه من وحيها وتفكيرها .. ولقد رأيتما انتما القصة واظن انكما توافقان على ان ختامها كما كتبته كان خيرا من

الختام الذى كتبه ابراهيم .. وكانت تصل الى المجلات المسرحية فى الريف ولقد عرفت مما كانت تنشره الكثير من اخبار سهاد .. وهى اخبار لم تكن تسرنى — ولا أدرى لماذا — ولا اظن انها كانت تسر ابراهيم . . ومنها مثلا مقال طويل قراته فى مجلة الفنون وكان المقال بامضاء صاحب المجلة المرحوم الاستاذ كمال الحلى .. وفيه وصف لحفلة أقامها حفنى محمود بك بمناسبة تولية شقيقه المرحوم محمد محمود باشا منصب الوزارة لأول مرة فى وزارة الائتلاف الذى كان يراسها عدلى يكن باشا رحمه الله . . وقالت المجلة — وهى تذكر اسماء المدعوين — ان مطربا ناشئا اسمه محمد عبد الوهاب جاء الى الحفلة فى صحبة أمير الشعراء شوقى بك .. وغنى فيها .. وان الممثلة سهاد القت مونولوجا.. وان الممثلة المذكورة كانت تتولى ملء الكؤوس للمدعوين.. ثم ذكر كاتب المقال كيف ان سهاد هذه جلست بعدها فى ركن مع المطرب الناشيء الذى اسمه محمد عبد الوهاب الى ان احتج على هذه (الخلوة) — وقد وضعت المجلة كلمة الخلوة بين قوسين — الى ان احتج عليها الدكتور محجوب ثابت وصاحب الحفلة حفنى بك محمود . . الى آخر هذه التفصيلات !.. ولكن العمزة الحقيقية هى تلك التى ختم بها المرحوم الاستاذ كمال الحلى مقاله . . فقد قال فى نهاية المقال مامعناه (ان هذه الحفلة لم تقم فى الحقيقة ابتهاجا بتولى محمد محمود باشا منصب الوزارة لان معاليه دخل الوزارة فى ٨ يونية اى منذ ستة اسابيع.. لكن شقيقه حفنى بك لم يفكر فى اقامة حفلة الابتهاج هذه الا بعد نجاح الممثلة سهاد فى دور توسكا !! . . ونستطيع اذن ان نقول ان الحفلة اقيمت لسهاد وتكريما لسهاد)

هذا خبر واحد من بين الاخبار الكثيرة التى كانت تنشرها المجلات المسرحية عن سهاد . .

ثم قرات فى اوائل شهر سبتمبر ان فرقة رمسيس تعود قريبا الى القاهرة لكى تستعد للموسم القادم وان بين الروايات التى ستخرجها رواية (هو وهى) ومؤلفها موظف صغير بجريدة الاهرام !

ومن هذا الخبر عرفت ان ابراهيم قرا القصة للاستاذ يوسف وهبى وان يوسف قبلها منه ؟

* * *

وهنا سالنى الصاوى : ولكن الم يكتب لك ابراهيم أثناء اقامتك فى الريف ؟

قلت : كلا .. ولكن حميدة هى التى كتبت الى مرة واحدة ولولا سؤالك هذا لكنت نسيت ان اذكر لكما امر هذا الخطاب . وكان من اقصر الخطابات التى تلقيتها فى حياتى فقد كان من سطرين اثنين وهما (شكرا كثيرا فقد وصلنى تعديل المشهد الختامى وهو رائع) .. ثم الامضاء ! ..

وبعدها فى سطر آخر ..(ماقولك يا ابرد من عرفت اذا قدمت لك من عندى النار والحطب معا ؟)

ضحك الصاوى وقال : وهل رددت على خطابها ؟

قلت : كلا .. وفى اواخر شهر سبتمبر قرات فى جميع المجلات المسرحية خبر عقد قران الممثلة سهاد على الاستاذ ابراهيم عصمت مؤلف مسرحية (هو وهى) . وارسلت يومئذ برقيتين للتهنئة احداهما باسم سهاد على مسرح رمسيس والاخرى لابراهيم بجريدة الاهرام .

وعدت الى القاهرة فى الاسبوع الاول من اكتوبر لابدا العام

الدراسى الجديد .. واخترت مسكنى فى الجيزة لاكون بالقرب من مدرسة الحقوق .. ومضت الاسابيع دون ان اسعى لمقابلة ابراهيم .. وان شئتما الحقيقة.. تعمدت ان لا اقابل ابراهيم حتى لا أقابل سهاد !

وفى أوائل شهر يناير غطيت جدران القاهرة بالاعلانات الكبيرة ذات الاثنى عشر فرخا فى ثلاثة الوان عن درة الموسم «هو وهى» ... وان يوسف بك وهبى تلميذ كيانتونى وبطل التمثيل فى عالم الشرق يقوم بالدور الاول فى الرواية . .

وتحت هذا وببنط اصغر قليلا وضعوا اسم سهاد .. « تلميذة يوسف بك وهبى عميد التمثيل »

ومثلت الرواية . وكانت ليلة لاتنسى .. واستقبل الجمهور القصة بالتصفيق الحاد والهتاف! ووقف المؤلف ابراهيم بين الكواليس وهو يعجب ـ كما قال لى فيما بعد ـ كيف يصفق هذا الجمهور الذى تسعون فى المائة منه من الرجال .. كيف يصفق وكيف أن صوتا واحدا لم يرتفع بالاحتجاج ! ..

وسألته أنا : وسررت طبعا ؟

قال : كلا ..

قلت : لماذا ؟

. فسكت قليلا ثم قال :

ـ لاننى اضطررت بعدها ان اعترف لحميدة بانها كانت اصدق نظرا منى واكثر فهما للحياة !

* * *

ولكن اذا كان الجمهور قد استقبل القصة بالاعجاب .. فان النقاد المسرحيين أو بعضهم استقبلوا (هو وهى) بكثير من النقد اللاذع المرير .. وعلى راس هؤلاء صديقنا (المرحوم) الاستاذ

عبد القادر المازنى الذى كتب مقالا شغل نحو صفحة كاملة من جريدة الاتحاد التى كان يراس يومئذ تحريرها وجعل عنوان مقاله أمذبحة الاخلاق على مسرح رمسيس ! كاتب ناشىء يدافع عن زنا الزوجات ! ، . . ومضى الاستاذ الاديب يستعرض القصص التى اخرجها مسرح رمسيس ويجد فى كل منها «مذبحة للاخلاق» فقال مثلا عن رواية غادة الكاميليا التى كان قد اخرجها يوسف وهبى منذ ثلاثة اعوام انها « قصة تعلم شبابنا الخنوثة والميوعة وتشيد بفضائل انصاف الحرائر والعاهرات » !!

ثم تساءل صديقنا المازنى فى ختام مقاله عما تنوى الحكومة ان تتخذه من اجراءات لوضع حد لهذه الاباحية وهذه الفوضى الاخلاقية التى يدعو لها ويدق طبولها مسرح رمسيس ! . . وختم الاستاذ مقاله بابداء اسفه على ان يكون على راس ادارة المطبوعات رجل طيب ضعيف . وقال ان هذه الفوضى الاخلاقية على مسارح التمثيل تقتضى ان يكون المشرف على ادارة المطبوعات والقصص والاغانى رجلا حازما يعرف ربه ويرعى حرمة الدين والاخلاق ! . .

وكان مدير المطبوعات وقتئذ هو الرجل الطيب حقيقة الاستاذ عبد الرحمن جميعى ! .

وذكرت احدى الصحف الوفدية ان النائب المحترم الشيخ مصطفى القاياتى ينوى ان يقدم سؤالا لمعالى وزير الداخلية عن « هذه الرواية الخليعة التى تمثل على مسرح رمسيس » ! . .

ثم لم تلبث ان نزلت الى الميدان الآنسة سيزا نبراوى . . وبعدها الآنسة منيرة ثابت . فقد نشرت الاهرام مقالا للآنسة سيزا نبراوى دافعت فيه عن حرية الراى وقالت ان من ايات

نهضتنا المباركة ان يقوم كتاب احرار ينددون بظلم الرجال للنساء .. وان الاستاذ المازني يحاول عبثا ان يرجع عقارب الساعة الى الوراء !

أما الآنسة منيرة ثابت فقد نشرت فى مجلتها (الامل) مقالا عنوانه (عهد الشلت والحريم والاغوات قد مضى وفات) ! ! .

وشغلت الصحافة بين يومية واسبوعية نحو اسبوعين بهذه المسرحية .. مابين حامل ومدافع وناقد ومحبذ وكان من جراء هذه الضجة ان تضاعف الاقبال على مسرح رمسيس .. حتى بيعت الالواج والمقاعد مقدما لمدة ستة اسابيع !! ..

ثم كان ان نشرت مجلة روزاليوسف خبرا قصيرا .. ولكنه فى الواقع نقطة التحول فى هذه القصة قصة ابراهيم وسهاد . قالت المجلة فى صفحة الاخبار المسرحية ان المؤلف الحقيقى لرواية (هو وهى) التى احدثت هذه الضجة ليس الاستاذ ابراهيم عصمت كما تقول الاعلانات .. وانما هى زوجته الممثلة سهاد لان المعانى والمواقف من عندها .. ولم يكن لزوجها سوى صياغة الالفاظ ! كما ان يوسف بك وهبى يقول ان سهاد عدلت فى ختام القصة كماكان كتبه زوجها الاستاذ ابراهيم عصمت ! ..

وتستطيعان ان تحزرا كما حزرت يومئذ المصدر الذى استقت منه روز اليوسف هذا الخبر .. او الذى اشاع هذا الخبر حتى وصل الى المجلة المذكورة ! كان سهاد طبعا ! وحبها للشهرة .. حتى ولو وصلت الى مناها على حساب زوجها ابراهيم !

ولكننى اشفقت ان يظن ابراهيم اننى مصدر الخبر خصوصا انه كان يعلم بصداقتى لروز اليوسف ومحرريها ...

وخصوصا ـ مرة اخرى ـ انني كنت الوحيـــــد على ما اعتقد الذى قال ابراهيـــم امامه : ان المعانى من عند حميدة والالفاظ من عندى) .. فهل يتهم زوجته؟او يتهمنـى انا ؟ .. أم تراه يهز كتفيه ولا يبالى بالخبر المذكور ؟ !

وسعيت الى مقابلته . وحول مائدة العشاء فى مطعم (شلستينو) المعروف الآن بمطعـم وبار سان جيمس جلسنـــا نتحدث .. ورايت انا ان لا افتــــح باب الحـديث فى الخبر الذى نشرته روز اليوسف .

وبدا ابراهيم الحديث ! ولقد بداه بموضوع لم يخطر لى ببال .

قال : اتدرى ان حميدة كانت مترددة فى الزواج منى ؟

وتظاهرت انا بالدهشــــــة وسألته لمـاذا ؟

قال : بحجــــة ان واجباتها الزوجية قد تحول دون بلوغها المجـد الذى تشـتهيه فى عالم التمثيل ! ..

قلت : ولكن الزواج تم والحمدلله . .

فتنهد وقال : نعم .. والفضل للاســـتاذ يوسف وهبى الذى اقنعهـا بأن مستقبلها مضمون فى عالم المسرح اذا هى تزوجت من مؤلف مسرحى ناجح مثلى !

ثم ضحك بمرارة وهو يقول :

ـ مؤلف مسرحى ناجح !! ..

وكررهـــا مرتين قبـــل ان يسألنى :

ـ هل قرات عدد روزاليوسف الاخير ؟ ..

قلت : نعم .. واؤكد لك اننى لست مصدر الخبر ..

وقاطعنى قائلا : اعرف هذا ؟

وادركت لحظتها من عينيه ،وقد غاب منهمـــا البياض فى السـواد ، انه حزر ماكنت حزرته انا .. وادرك ان مصـــدر الخبر

هو زوجته سهاد ! لانه قال بعد سكوت قصير ..

ـ اتذكر ليلة أن تقابلنا فى جريدة الاهرام وقد جئت تسأل عن نتيجة الامتحان ؟

قلت : نعم

قال : الم أقل لك ليلتها ان حميدة لاتقنع بأن تكون ممثلة موهوبة ؟ ..

وسكت أنا ! ماذا أقول ؟

ومضى ابراهيم يقول : لقد دفع لى يوسف وهبى مائة جنيه فى قصتى .. وقال وهو يناولنى المبلغ ويبتسم (خمسون جنيها لك وخمسون جنيها لسهاد) ! . ولم اقل اناشيئا !..

ولكنى ذهبت الى حميدة فى غرفتها بالمسرح وناولتها الخمسين جنيها ! ..

وقالت هى ما هذا ؟ فأعدت عليها ماقاله يوسف بك ! .. وضحكت وهى تضع المبلغ فى حقيبة يدها وتقول (لقد كان ولا شك يمزح معك !.. ولكنه مزاح مقبول !)

وكان لابد ان اقول هناشيئا.. فقلت :

ـ ان حميدة زوجتك على كل حال .. ثم انت تحبها .

وتنهد وهو يقول :

ـ نعم .. احبها وهى تعلم انى احبها .. وانها كل شىء لى!

وقلت انا ـ غفر الله لى !قلت :

ـ وحميدة ايضا تحبك يا ابراهيم ! .

وأجابنى على الفور :

ـ نعم . اعرف انها تحبنى .

ووجدتنى بالرغم منى انظر فى عينيه ! هل هو يؤمن حقيقة بما يقول ؟ او هى كبرياء الرجل تأبى عليه ان يعترف بالحقيقة

.. حتى ولو بينه وبين نفسه ؟

ولكننى رايت فى عينيه ايمان الطفل البرىء

كان ابراهيم يؤمن بأن حميدة تحبه كما يحبها هو !

وافقت من تفكيرى على صوته وهو يقول :

ـ نعم انها كل شىء عندى .. ولكنى وددت لو تقف بمطامعها عند حد معقول ! (ثم هز كتفيه وقال كأنما يلتمس لها الاعذار) ... ولكنها ماتزال صغيرة السن .. وسوف تعلمها الايام !

وجرى لحظتها فى خاطرى انه اذا كان بين الاثنين من سوف تعلمه الايام فهو ابراهيم ! .. اما حميدة فقد سبقت عمرها والاعوام وعرفت من الايام أضعاف اضعاف ماتعلمه ابراهيم ! ..

ودخل قاعة الطعام فى تلك اللحظة (المرحوم) الاستاذ انطون الجميل بك الذى تولى فيما بعد رئاسة تحرير جريدة الاهرام ومعه (المرحوم) الاستاذ الشيخ عبدالعزيز البشرى وبعض رواد بار اللواء .. واقبل الاستاذ الجميل بك علينا ووقفنا نحييه :

وقال : مبروك يا ابراهيم افندى بلغنى ان روايتك نجحت وانك تنوى ان تستقيل من عملك فى الاهرام ؟

واجاب ابراهيم : غير صحيح يا سعادة البيه !

وقال انطون بك : اصبت .. اكتب للمسرح ان شئت ولكن لاتترك عملك فى الاهرام .. لان الادب يا ابراهيم افندى وخصوصا فى مصر عمل غير مضمون العيش ! ..

* * *

وقال ابراهيم ونحن فى طريقنا الى (قهوة الفن) التى كانت تواجه مسرح رمسيس ، قال انه بدأ يكتب مسرحية جديدة .. ثم سكت قليلا قبل ان يقول :

ـ ولكنها ستكون هذه المرة من تاليفي انا وحـــدى ! المعانى من عندى . والالفاظ من عندى وكل شيء من عندى ! ..

ثم كأنما خجل من هذه الفورة ومن هذا الاعتراف الخبىء لانه استدرك واضاف :

ـ لانني اريد ان تتفرغ سهاد لعملها على المسرح !

واستـــأذنت منه لكى ادرك آخر ترام الى الجيزة وتركتـه فى قهوة الفن ينتظر ريثما تنتهى سهاد من عملها فى مسرح رمسيس

❋ ❋ ❋

وقـد أحسست ساعتها ان فورة ابراهيـــم هذه تنم عن اعتــــراف خبىء .. والآن اسألكما كما سألت نفسى فى تلك الليلة هـل كان ابراهيم قد بدا يشعر انه ـ الى جانب زوجته ـ لم يعد شيئـا مذكورا ؟ .. قال لى ذات مــرة انه يخشى ان يجىء اليوم الذى يقول فيـه الناس اذ راوه : « هذا ابراهيـم عصمت زوج الممثلة سهاد » . اى ان كــل نصيبه من اهتمام الناس وتقديرهم له هو انه زوج ممثلة شهـــيرة فهل أحس ابراهيـم فى تلك الليلة ان ماكان يخشاه قد وقع او امسى وشيك الوقوع !؟ .

لقد رأى زوجته تصعد خطفا درجات الشهرة .. ورآها وقد اصبحت حــديث الصحف والمجلات . . ولقد كان يعزيه عن هذا وذاك بل ويرضيه ويرد عليه ثقتـه فى نفسـه لو انه قرا ثناء او اعجابا بمؤلف القصة ـ اى بشخصه هو ـ ولكن يوسف وهبى حص حميـدة بخمسين جنيها اى بنصف ثمن القصـة .. لانها شريكة فى التاليف !

ومجلة ... اليوسف تقول ان الفضل فى تاليف المسرحية لزوجة المؤلف اى سهـاد .. وسوف ينتشر الخبر طبعـا وتتنـاوله

الصحف والمجلات !

ولكن لعل اقسى ما كان يعانيه ابراهيم فى دخيلة نفسه هو علمه بأن الخبر صحيح ! .. وانه يوم قال : (ان المعـــانى من عندها والالفـاظ من عندى) انما كان يقول حقا وصدقا !

فى تلك الليلة .. هــل بدا الزوج يغار من زوجته ؟.. ومن هنا كانت الفورة لحظة قال : (فى هـــذه المرة ستكون القصة من تاليفى انا وحدى !)

وفى هــذا اعتراف خبىء بأنه يغار ولم يعـد يطيق ان تكون سهاد شريكة له فى التاليف . .او أن ينسب اليها اى فضل فى التاليف ... او أن شهرتهـــا كمؤلفة تزاحم شهرته كمؤلف على صفحات الجرائد والمجلات .

هــل جلس ابراهيم فى تلك الليلة يسأل نفسه ماذا دهاه ؟

هـــذا ودون أن يجسر على تحليل شعوره ليرى هل هو يغار من زوجته الممثلة .. أو من المؤلفة « سهاد » !

اوترى ابراهيم أحس وادرك ليلتها انه يغـار من سهاد ! . . من زوجته ! من حميدة التى كان يحبها ويعـــدها كل شىء له فى الحياة ؟ .

انها تكون مأساة لا سابقة ولا شبيه لها فى دنيا الادب والتمثيل!

* * *

وكنت كما قلت اســكن فى الجيزة وهى تبعد كثيرا عن شارع عماد الدين ولهذا السبب كنت لا انزل الى القاهرة الا قليلا ... كما أن مسرحيــة (هو وهى) ظلت تمثل على مسرح رمسيس نحو ثلاثة اشــهر باستمرار . فلم يكن هناك اذن جديد اذهب لاراه ولكننى كنت مواظبا على قراءة الصحف التى تهتم بالمسرح واخبار الممثلين والممثلات ... ومنها علمت ان يوسف وهبى بك

ضاعف مرتب سهاد تقـــديرا لنجاحها فى مسرحية (هو وهى) ثم لم يلبث أن رفع مرتبها الى اربعين جنيها فى الشهر بعـد خروج ممثـلة رمسيس الاولى السيدة فاطمة رشدى .. وان سهاد استأجرت شقة فى احدى عمارات الخديو القريبة من مسرح رمسيس .. وانها تتشبه بكبيرات الممثلات فى فرنســا لانهـا « فتحت صالونها » تســتقبل فيه رجال السياســة والادباء والصحفيين .

وكنت اقرا كذلك بين السطور ــ وبين اخبار بعض المجلات ــ غمزا مكشوفا صريحا ... بل وطعنا فى سير سهاد ويكفى ان اذكر لكما خبرا واحدا ما زلت اذكره وكانت قد نشرته مجلة الكرباج وخلاصة الخبر ان ممثلة شهيرة ترى فى هذه الايام دائما فى صحبة احد الشبان الوارثين . فهــل عند زوجها خبر بما هناك ؟ .. ثم طلبت الكرباج من قرائها ان يحزروا من (هو) الزوج ومن (هى) الزوجة ؟!

ووضعت هــو وهى بين قوسين ! . والاشارة صريحـــة والمعنى مكشوف !

وكنت اعجب!. ترى ماذا يقول ابراهيم فى هذا وكيف يسكت على هذه الحملات .. الى ان قابلت يوسف وهبى ذات يوم فى ميدان السباق .. ووقفنا نتحدث عــن الموســم المسرحى .. وسألته انا :

ــ ماسر هذه الحملات القاســية ضــد ســهاد فى بعض المجلات ؟

وابتسم يوسف وقال : من حسن حظ سهاد ان ابراهيم زوجها يعتقد ان هذه حمــلات مغرضة وان سببها الغيرة وانها موعز بها من فاطمــة رشــدى وزينب صدقى وعزيزة امير !

قلت : اذن .. ؟

قال : هل تعرف المثل السائر ان الزوج آخر من يعرف الحقيقة ؟

ابتسمت وقلت : وصاحب المسرح ؟

قال : اول من يعرف الحقيقة ..

قلت : والحقيقة ؟

فابتسم وقال : الحقيقة دائما أقوى من الخيال .. اقصد خيال محررى الصحف والمجلات ! ...

ولم ادهش لانى كنت أعرف حميدة التى باعت قبلتها العذراء وهى بعد فى سن الثانية عشرة .. باعتهابخمسة قروش !

ولكنى اسفت وحزنت من أجل ابراهيم ! . ودعوت الله أن يديم عليه هذه النعمة ! نعمة الغفلة وان يبقى عليه اعتقاده فى ان سر هذه الحملات هو غيرة الممثلات من زوجته سهاد !

❋ ❋ ❋

والآن يحسن بى ان أوجز فى الحديث والا لما كفتنى هذه الليلة حتى ولا ليلتان اذا انا حرصت على ان اروى لكما كل التفصيلات فى قصة سهاد وابراهيم ...

قبل نهاية الموسم المسرحى ، اخرج مسرح رمسيس المسرحية الثانية لابراهيم وهى (انفاس الليل) وكانت فى جملتها صفحة قوية من الشعر المنثور ... ولعل ابدع موقف فيها كان موقف سلمى ـ وقد قامت بتمثيله سهاد ـ وهى تناجى حبيبها وتقول (اتذكر ليلة تهدل شعرى وتراخيت بين ذراعيك واستحى البدر ان يفضح سرى وسرك ، فتوارى وراء الغمام) .

ونجحت الرواية نجاحا كبيرا .. وافاض النقاد فى الكتابة عن فن ابراهيم عصمت . واعلنوا انه مؤلف مسرحى ينحو فى

بناء قصصه نحوا جديدا لم يسبقه اليه احد !

وكتب الاستاذ ابراهيم المازنى يثنى خير الثناء على القصه ويقول ان الاستاذ ابراهيم عصمت صاحب « مدرسه الاخلاق » التى اخرجها يوسف وهبى فى مستهل هذا الموسم قد عاد الى صوابه ودينه والحمد لله !

واغتبطت انا كثيرا بنجاح ابراهيم وكتبت اليه اهنئه واعتذر من عدم مقابلتى له شخصيا بسبب قرب امتحان الليسانس !

وجاءنى منه خطاب يشكرنى فيه ويقول انه بدا يكتب المسرحيه الثالثة وعنوانها « دمع ودم » وأنها تعالج الغيرة بين الازواج !

وفى آخر الخطاب ـ وبخط حميدة او سهاد ـ هذه السطور « ان انفاس الليل قد نحجت حقيقة ولكن هل تستطيع ان تؤكد لابراهيم ان نجاحها يرقى الى مستوى نجاح « هو وهى » ؟ .. ان ابراهيم يريد ان ينفرد للمرة الثانية بكتابة قصته الجديدة فهل توافق ؟ »

ولم ارد عليها وامضيت الامتحان وحصلت على اجازة الليسانس وسافرت الى الريف ولم اعد الى القاهرة الا فى شهر فبراير سنة ١٩٢٨ لابدأ حياة جديدة، لقد عينت فى وظيفة حكومية ..

وكانت فرقة رمسيس تمثل يومئذ ـ وبنجاح منقطع النظير ـ مسرحية « دمع ودم » او القصة الثالثة لابراهيم وكانت السيدة زينب صدقى تقوم بدور البطلة .. لان سهاد اعتذرت من عدم تمثيل الدور بأنها متعبة ! .. وكانت سهاد فى الشهر الاول من حملها .

وصدقها ابراهيم وقبل منها هذا العذر .. ولكن يوسف وهبى اكد لى ـ ليلة شهدت القصة وزرته اثناء فترة الاستراحة فى حجرته داخل المسرح ـ ان سهاد كانت قد اعلنته وقبل ان

يبدأ حملها انها لن تمثل فى اية رواية لابراهيم الا اذا اشتركت هى معه فى التأليف . وقال يوسف: انه اخفى طبعا هذه الحقيقة على ابراهيم !

والتقيت وانا اغادر المسرح بابراهيم وسألته عن صحة حميدة فقال انها بخير وكان يبدو عليه انه مغتبط بنجاحه . ولكن فرحه بالمولود المنتظر كان يفوق بكثير اغتباطه بنجاح قصته الثالثة !

وقال ان حميدة دعت لتناول العشاء غدا الاستاذين سليمان نجيب وعباس علام وانها تسر كثيرا لو اننى قبلت الدعوة الى هذا العشاء .

ولكنى اعتذرت بأننى مرتبط غدا بموعد ما .

* * *

وفى شهر ابريل أخرج مسرح رمسيس قصة (بريد الريف) وهى كوميديا خفيفة محبوكة التركيب

تأليف الممثلة سهاد والكاتب المسرحى عباس علام .

وفى نفس الشهر مثلت جمعية انصار التمثيل على مسرح الاوبرا مسرحية (حلال وحرام)

تأليف الممثلة سهاد والاستاذ الاديب سليمان نجيب .

ونجحت القصتان وأفاضت المجلات فى الحديث عن سهاد وقالت «الكشكول» ان لمصر ان تفخر بأنها أنجبت أول امرأة تنبغ فى فنين معا وهما التأليف المسرحى والتمثيل !

وتورطت مجلة الصباح وقالت عن سهاد : انها تجلس اليوم على عرشين . . عرش التأليف المسرحى وعرش التمثيل وأعادت الى ذاكرة قرائها ان سهاد هى المؤلفة الحقيقية لقصة (هو وهى) أول قصة كتبها زوجها الاستاذ ابراهيم عصمت

وأعترف لكما انني أشفقت يومئذ من مقابلة ابراهيم ٠٠حتى لاأنظر الى عينيه وقد غاب منهما البياض فى السواد ! ٠٠ بل حرصت على أن لاأقابله فى تلك الايام !

وهكذا بدأ الصراع الخفى ٠٠والصراع السافر بين الزوج والزوجة

* * *

ومضت شهور لم أسمع فيها شيئا من اخبار ابراهيم وسهاد اما سهاد فقد كانت احتجبت فى مسكنها بسبب حملها . وكفت المجلات عن نشر اخبارها . . ولكن ابراهيم ماذا يفعل ؟

الى أن كان شهر اكتوبر ١٩٢٨ ... وافتتح رمسيس موسمه التمثيلى بمسرحية (قلوب فى الرماد) للاستاذ ابراهيم عصمت . وهى قصة كئيبة احسست وانا أشاهدها أول ليلة انها من وحى خيال مضطرب محموم !

وفشلت القصة فشلا ذريعا . واضطر يوسف وهبى ان يقف تمثيلها بعد اسبوع !

وفى شهر نوفمبر وضعت سهاد بنتا ... وهى الفتاة التى شاهدتماها هذه الليلة فى مسرح راس البر وكنت رأيتها انا قبل ذلك بساعتين تبكى وحدها على شاطىء البحر !

وكان لابد ان اذهب واهنىء ابراهيم وسهاد ، وزرتهما لأول مرة فى مسكنهما الجديد ووجدت قاعة الجلوس ـ او الصالون ـ غاصة بالزائرين والمهنئين . .

واقبل ابراهيم يصافحنى . وكان شاحب اللون زائغ النظرات واحسست ـ ولا ادرى كيف أو لماذا ـ احسست انه كان يشعر بانه غريب فى داره . . غريب بين هؤلاء الزائرين الذين جاءوا ليهنئوا سهاد . . لا ليهنئوه هو !

وقد اخذني جانبا وقال وهو يحاول الابتسام : « هلم بنا نخرج ... انني اختنق هنا »

سألته : وتترك ضيوفك ؟

قال : ليسوا ضيوفي .. بل انا احس كأني اثقل عليهم بوجودي !

وقضينا معا نحو ساعة في قهوة البودجا .. ولم يبتسم الا عند ما سألته عن الاسم الذي اختاره لابنته فقد اشرق وجهه وهو يقول : نجوى ! اليس اسما ظريفا ؟

ثم لم يلبث ان استغرق في صمت طويل

واخيرا سألته : ماذا بك يا ابراهيم ؟

وقد ندمت لفوري على سؤالي هذا وادركت اني قد فتحت بابا كان اولى أن يظل مغلقا . فقد نظر الى طويلا ثم قال :

ـ لماذا تحاول أن تخفي عني الحقيقة ؟ لماذا لا تقول لي في وجهي انني فشلت ؟

قلت : فشلت ؟ كيف ... امن اجل قصة واحدة تنكر على نفسك نجاح ثلاث قصص ؟

فحنى راسه وقال : بل فشلت!.. فشلت !.. وسوف افشل في كل قصة اكتبها بعد الآن ...

ثم انتفض فجأة وصاح في وجهي :

لماذا ؟ .. لماذا ؟ .. سلها لماذا لا تقنع بأن تظل ممثلة ؟

قلت : وما شأن حميدة بهذا؟.. بل لماذا تقول انك ستفشل في كل قصة تكتبها ؟

قال : هذا ما احسه ! ... لقد استطعت أن اكتب قصتين ناجحتين .. وهي الى جانبي .. ولكنني لا استطيع أن اكتب بعد اليوم وهي ليست بجانبي !

ولم افهم فقلت : كيف ... ليست بجانبك ؟ ...

قال : نعم . لقد تركتنى ... ولم تبق بجانبى .. ومضت فى طريقها تؤلف وتوحى لهذا وذاك ... المعانى من عندها والالفاظ من عنده ! .. عمرهاما رضيت بالوقوف خلفى .. او قنعت بالوقوف بجانبى .. كلا . بل ارادت دائما ان تتقدمنى وان تسير امامى ! .. دائما امامى ! اتذكر ؟ .. اتذكر ليلة عدنا معك الى غرفتك فى البنسيون لاقرأ لك ختام قصتى الاولى (هو وهى) ؟ .. اتذكر المناقشة التى قامت بينهاوبينى ؟ وكيف كانت تزيح كلامى بحركة من يدها كأنه دخان فى الهواء .. لا وزن له ولا قيمة ؟ .. اتذكر كيف راحت تسخر أمامك من حجتى .. ومن رجولتى .. وتلقى على درسا فى الفرق بين طابع الفنان وشخصيته ؟ .. ثم تتحدانى ، الم اعترف لها منذ ليلتين اثنتين بصحة رايها واننى اقتنعت ؟ .. وكان هذا حقا .. ولكن بينها وبينى ! ..

(ثم مسح جبينه بيده وكان يتصبب عرقا) وقال : كيف افسر لك ؟.. اننى لا احسن التعبير عما فى صدرى !..

وسكت ابراهيم قليلا وقد تدلى راسه فوق صدره ... ثم قال همسا كأنما يحدث نفسه :

ـ فى تلك الليلة اقترحت عليها ان نتمشى قليلا فى الجزيرة .. على شاطىء النيل .. فقد كنت احس ان فى راسى بركانا يوشك ان ينفجر . واننى اريد هواء .. هواء شديدا باردا يلطم وجهى لأفيق ! .. وجلسنا على شاطىء النيل .. ولكن دوى البركان ظل فى سمعى .. وزمجرة العاصفة هنا .. توشك ان تشق صدرى وتنطلق ! ... وفجاة تملكنى خوف شديد ! .. ولا ادرى بعدئذ ماذا فعلت .. ولكن حميدة قالت انى

تركتها وحدها على شاطىءالنيل وعدت وحدى الى البيت !

ورفع راسه وسالنى بصوت خافت :

ـ قل لى .. هل تظن انى مجنون ؟ ...

وشددت ابتسامة الى شفتى وقلت بلهجة قوية :

ـ انت ؟ انك تمزح ! ... كل ما فى الامر انك متعب ... اعصابك مكدودة !

وادار راسه وعاد الى صمته !

« هل تظن اننى مجنون ؟ »

نفس السؤال الذى القتهعلى حميدة يوم زارتنى فىالبنسيون قبل سفرى الى الريف !

هل ابراهيم مجنون ؟ ... ما سبب هذا الخوف الشديد الذىسطا عليه فجاة وهوجالس بجانبها فى تلك الليلة على شاطىء النيل ؟ . ثم الخوف من ماذا ؟ ... هل أحس ابراهيم انه يوشك ان يمد يده اليها بسوء ؟ .. ولكن لماذا ؟

ونظرت اليه فاذا بوجهه قد شحب .. وعينيه بلون الدم .. وكانما هناك حديث صامت يدور بين راسه وصدره .. او كما قالت حميدة مرة : (حديث لا تعكسه عيناه ... ولا تنطق به شفتاه ولكن يبدو فى رعشة طاقتى انفه .. وفى اصابع يديه) !

واستدار الى فجأة **وقال** :

ـ ليتنى مضيت فى رايي الى النهاية !

قلت : اى راى يا صديقى ؟

قال : رايى فى ختام القصة ! .. ولكنى ضعفت امامها .. ولن انسى هذا الضعف .. ولن اغفر لنفسى هذه الخاتمة .

ثم نهض واقفا وحيانى بحركة من يده ومشى الى باب الخروج !

* * *

وبقيت وحدى ساعة أواكثر اسأل نفسي : ماسر ابراهيم ؟ .. ولكنني لم أنل جوابا على سؤالى الا بعد قرابة اربعة اعوام ... ومن حديثى مع احـد الاطبـاء الذين تولوا علاج هذا المسكين !

كان ابراهيم يحب حميـدة حبا دونه كل حب . فقد كانت له ـ كما قال مرارا ـ كل شيء فى الحياة ! .. ولكنه كان شديد الاعتزاز بشخصيته وبرجولته . ..

كان فى حاجة الى روح شقيقة تشجعه .. ولكن دون أن تملى عليه ! .. تمشي وراءه لا امامه ! .. أو تقف الى جانبه دون ان يكسف نورها نوره .. او تطغى شخصيتها على شخصيته ! .. ولم تكن حميدة ـ كما عرفناها ـ بالتى ترضى بالمشى وراءه .. أو تقنع بالوقوف الى جانبه !

وكان ابراهيم يعانى من جراء هذا صراعا عنيفا بين حبه الذى يضعفه وشخصيته التى تأبى ان تذل ! .. ولكن حبه ظل دائما الاقوى ما دام الامـر محصـورا بينها وبينه ! .. ومن هنا كان فى كل مرة يسلم لحميدة برايها ويقتنع او يقول لهـا انه اقتنع ! بل لم يكن يتردد بسبب حبـه لها من أن ينسب لها كل فضل ... مادام هو المتفضل عليهـا بهذا الفضل ! ... ويقول لهـا تفضلى امامى .. مادام هو الذى يسمح لها بأن تسير امامه . أما أن تنتزع هى بيدها هذا الفضل وتدعيه لنفسها امام الناس ! .. اما ان تسير امامه كان هذا حق لها ... لا فضل منه عليها فهنا .. وتثور شخصية ابراهيم !!

كان يعلم فى دخيلة نفسه ان حميدة اكثر ذكاء منه واسـلم منطقا واقوى حجة واعرف منه بالحياة ... وكان لا يحرجه ولا يجرحه أن يسلم لها بهذا كله . ولكن بينها وبينه ! .. اما ان تعلن على الناس وامام النـاس انها الاقوى .. وانها الاكثر ذكاء

.. والاحكم منطقا .. وانهـا مصدر وحيه والهامه ... وان المعاني من عندها والالفاظ من عنده .. فمنا وتثور رجولته وتثور كبرياؤه . . وينشب في صدره هذا الصراع العنيف بين حبه وشخصيته !

ومن هنا تفهمان لماذا رضي ان يقول لي في اول عهدنا بالمعرفة ان حميدة صاحبة الفضل وان المعاني من عندها والالفاظ من عنده ! .. رضي ان يقولها لانه كان المتفضل عليها بهذا الفضل !

ولكنه غضب وثار عند ما انتزعت لنفسها هذا الفضل واذاعته حتى نشرته الصحف والمجلات ! .. وهكذا اعلنت على الملأ تفوقها عليه .. وانه ـ ابراهيم ـ ليس بجانبها شيئا مذكورا ! ...

ومن هنا تفهمان كذلك ، لماذا سلم لها برايها في ختام القصه واقتنع ولكن بينها وبينه ! ... ولكنه غضب عندما ناقشته امامي والزمته الحجة والدليل !

والآن اسألكما هل هذه هي الغيرة ؟ ... كلا وهنا العجب .. بل هي الحب ! الحب العنيف ! .. او هكذا يزعم الطبيب الذي تحدثت اليه ! فهو يزعم ان الحب هو الرغبة في الاستئثار بمن تحب .. والاستئثار فيه معنى السيادة ، وانه بقدر ما يكون الحب قويا عنيفا ، يكون الحرص على الاستئثار بمن تحب قويا وعنيفا ! .. وتكون الرغبة في السيادة قوية وعنيفة !

ومن هنا كانت المأساة في حب ابراهيم لسهاد !

ولعل هذا الدرس الذي تلقيته من الطبيب الفاضل يصلح ان يكون موعظة وعبرة لكثيرات من زوجات هـذه الايام ومنهن من تحرص دائما ـ اذا ضمها وزوجها مجلس واحد ـ ان تتفوق عليه في الحجة والحديث .. وان تعلن سلطانها وسيادتها عليه

امام الحاضرين !

ومضت الايام تلو الايام والشهور تلو الشهور . . دون ان اسمع حديثا عن ابراهيم وسهاد . . . اللهم الا ما كانت تنشره المجلات الاسبوعية عن سهاد واخبارها « الخاصة » وهى لا تخرج فى لونها عما سبق أن أشرت اليه ! . . أو عن نجاحها فى دور كذا او دور كيت . . واذكر ان مجلة المصور نشرت لها حديثا دار بينها وبين رئيس تحرير الزميلة وهو صديقنا الاستاذ فكرى اباظه وقد افضت فى حديثها برأيها فى الازياء وبعض الساسة وكبار الادباء . . ومع الحديث صورة لسهاد وقد حملت طفلتها نجوى بين يديها ، وتحت الصورة هذه العبارة : « ام فاضلة . . . وممثلة نابغة ومؤلفة مسرحية مجيدة ! »

واين ابراهيم ؟ . . لم يعد شيئا يذكر فى حياة سهاد ! . . لقد حطم القلم لان كبرياءه ابت عليه ان ينافس زوجته فى ميدان واحد ! . . . او لعله اشفق ان تتفوق عليه فى هذا الميدان !!

وانطوى على نفسه . . . وقسم حياته بين طفلته نجوى وبين عمله فى جريدة الاهرام .

ولكنه — وهنا العجب مرة اخرى — ظل مؤمنا بحب سهاد وانها زوجة أمينة وفية ! . . . وان الذين تلقاهم من السادة الرجال . . . والذين تستقبلهم فى صالونها من الساسة والادباء وكبار الموظفين ، انما تلقاهم وتستقبلهم لانها طموح . . او كما قال لى مرة . . لانها لا تقتنع بأن تظل ممثلة موهوبة ! . . بل هى تطمع فى ان تكون كل شىء !

* * *

وذات يوم ، وكنت اسير فى شارع الموسكى ، التقيت بابراهيم وجها لوجه وكان قد مضى نحو عام منذ افتراقنا فى قهوة

البودجا بشارع عماد الدين .

التقينا وجها لوجه .. ومددت يدى أصافحه ! وبدا على وجهه كأنما هو لا يعرفنى ! ولكنه ـ وبحركة اعرفها ـ رفع يده الى جبينه يمسحه ويقول :

ـ معذرة . لقد ضعف بصرى فى الاسابيع الاخيرة !

ووقفت اتحدث معه واسأله عن احواله .. وعن حميدة والطفلة نجوى ولكننى احسست انه يريد أن يختصر الحديث .

ومد يده الى وصافحنى وسار فى طريقه .. ووقفت انا أرقب ظهره الذى انحنى قليلا .. وكأنما لم نتقابل منذ عام واحد .. بل افترقنا منذ عشرة اعوام !

ومرت الايام والشهور . . وافتتح مسرح رمسيس موسمه التمثيلى بمسرحية (انصاف الرجال) من تأليف سهاد والاستاذ حسن البارودى الممثل بفرقة رمسيس ! .. والقصة كوميديا ساخرة لولا انها ختمت بمأساة ! ولعلكما تذكران أن أبطال القصة من الرجال كانت أسماؤهم (زوزو وفوفو وسونه) بدلا من عزيز وفهمى وحسين !

وأسماء البطلات كذلك (زوزو وفوفو وسونه) وعرفت المؤلفة الساخرة كيف تستغل هذا التشابه بين أسماء شخصيات القصة من الرجال والنساء وكيف تطلق ذنبها تلسع وتلدغ وتنفث سمها فى غير رحمة . . هازئة ضاحكة بانصاف الرجال !

وقامت ضجة دونها الضجة التى اثارتها قصة (هو وهى) . ومرة اخرى سن الاستاذ المازنى قلمه وكتب تحت نفس العنوان (مذبحة الاخلاق) ونقد المسرحية نقدا قاسيا عنيفا ثم ختم مقاله بغمزة دامية اذ قال (ولعل الممثلة سهاد تكتب لنا قريبا قصة عن « انصاف الحرائر » حتى يستوى الميزان !)

وذهب مندوب مجلة المصــوريسأل ابراهيم ـ وكان فى مكتبه بجريدة الاهرام ــرأيهفىمسرحيةزوجتـــه ولكن ابراهيم رفض ان يجيب !

وهناسألهمندوبالمجلة: لماذا انقطععنالكتابةوالتأليفللمسرح؟!

ووثب ابراهيم من مقعــده وقبض على عنق الزميلالمسكين . . وكاد يعصره بيديه لولا ان انقذه الجالسون .

واستدعى الاستاذ داود بركات ابراهيم وعنفه بشدة وهدده بالفصل من عمله ان عاد الى مثلها . . .

وقامت المجلات الاسبوعيةعلىساق واحدة بحكم التضـــامن الصحفى وحملت حملة شــعواءعلى ابراهيم عصمت واســـمته احداها « المؤلف سابقا » . . . وقالت اخرى « المؤلف الفاشل » وثالثة كتبتتقول:انه المؤلفالذىلم يستطع انيصمد امام زوجته فى ميدان التأليف !

اما مجلة الكرباج فقد ختمتحملتها بهذه العبارة . . (ويكفى فى وصف ابراهيم عصمت انيقالفيه انه الرجل الذى يعيش عالة على زوجته ... دون ان يعنىبسؤال زوجته من اين تنفقين !)

ومضت المجلات الاسبوعية فىحملتها قاسية عنيفة ... ورأى صديقنا الطيب القلب فكرىأباظهأن مجلة المصور هى السبب فيما حدث ولو عن غير قصد،فسعىلمقابلة ابراهيم لـكى يتفق معـه على مقابلة يجمعه فيها بمحررىالمجلات المذكورة ويســوى الامر بينهم وبينه ...

وكنت كما قلت قد انقطعت تماما عن مقابلة ابراهيم ، وانكنت استطيع ان اتصور حالته فى تلكالايام ، ولذلك لم ادهش عندما سمعت بالخبر . .

كان ابراهيم جالسا فى بوفيه مسرح رمسيس عندما تقدم منه

الاستاذ فكرى اباظه وحياه بلطف وجلس فى مقعد بجواره ثم بدا
يقول انه رئيس تحرير المصور وانه هو الذى كان قد اوفد اليه
احد المحررين ليسأله ..

ولم يترك ابراهيم صديقنا فكرى يتم عبارته .. بل وثب واقفا
واطبق بيديه على عنق الصديق الزميل !

* * *

وفى تلك الليلة نصح الاستاذ يوسف وهبى لسهاد بأن تعرض
زوجها على الاطباء الاخصائيين .

وبعد ذلك ببضعة ايام دخل ابراهيم مستشفى الامراض
العقلية . وكنا يومئذ فى ربيع عام ١٩٣٢

وانصافا لحميده اقول انها قامت بكافة نفقاته فى المستشفى
وتكفلت بأجور الاطباء ...

وقال الاطباء ان ابراهيم ضحية من ضحايا الكبت .. ولقد
ذكرت لكما طرفا من حديث احدهم معى وأنا لست طبيبا . كما
انني لم ادرس علم النفس . ولهذا لا أستطيع، وبعد هذه السنوات،
ان اشرح لكما مرض ابراهيم كما حدثنى عنه الطبيب المذكور .
وكل ما اذكره الآن ومجردا من الاصطلاحات العلمية والتعبيرات
الطبية ، ان ابراهيم ظل سنوات وهو يعانى من هذا الكبت . من
هذا الصراع الخبىء فى نفسه . الى ان اختل توازن قواه العقلية تحت
ثقل هذا الضغط العنيف .. او هذا الكبت العنيف . وانه كان
ممكنا جدا لولا لطف الله ... ان ينفجر وان يقدم فى ثورته على
ارتكاب اية جريمة او اى عمل من اعمال العنف .

وقال الاطباء بعد عام ونصف عام : ان ابراهيم كاد يشفى
تماما .. وانه استعاد هدوءه . وانهم — اذا وافقت زوجته —
يسمحون بخروجه من المستشفى ولكنهم ينصحون فى هذه الحالة

بأن يحيا ابراهيم حياة هادئة وان يتجنب كل ما يثير الانفعالات .

ولكن سهاد قالت: انها لاتستطيع فى ظروفها الحاضرة أن تضمن مثل هذه الحياة الهادئة لزوجها وانها تفضل والحالة هذه أن يبقى ابراهيم فى المستشفى الى ان يشفى تماما !

ولبث المسكين فى مستشفى الأمراض العقلية اربعة اعوام . . وغادره فى مارس سنة ١٩٣٧ وكنت انا قد سافرت الى أوروبا فى رحلة لم اعد منها الا فى اواخر الصيف . ولهذا لا اعرف تماما ماذا جرى لابراهيم بعد خروجه من المستشفى ولا ماذا فعل ولا كيف استقبلته زوجته . . اوكيف استأنف حياته معها بعد غيبة اربعة أعوام . كل ما اعرفه فى هذا الشأن قد سمعته بعد عودتى ومن افواه الرواة هنا . . وهناك .

* * *

وكان الاستاذ يوسف وهبى قد انصرف قبل ذلك عن التمثيل الى السينما وحل فرقته المعروفة باسم فرقة رمسيس . . وعرض على سهاد ان تعمل معه . . وكان عرضه سخيا ولكنها رفضت وفضلت ان تواصل العمل على مسرح التمثيل . . ولم تمض اسابيع على حل فرقة رمسيس حتى اعلنت الصحف عن تأليف « فرقة سهاد » . . .

وبدات الفرقة الجديدة عملها فى موسم ١٩٣٥ — على مسرح حديقة الازبكية وصادفت نجاحا كبيرا .

واشترت سهاد سيارتين . . وفى عام ١٩٣٦ ابتاعت « فيللا » انيقة خلف الكنيسة الانجليزية فى شارع القصر العينى . .

وفى نفس هذا العام تحدثت المجالس عن علاقتها بسعادة صابر بك صبرى وكيل وزارة المعارف للفنون الجميلة . ثم لم يلبث ان انتقل حديث المجالس الى صفحات المجلات !

ولما اعلنت الصحف ان فرقة سهاد قد خصها وحدها الفنان من اربعة الآلاف جنيه المخصصة لاعانة الفرق التمثيلية ... قامت ضجة كبيرة ونشرت مجلة «روزاليوسف» مقالها الذى اشرت اليه انت ياتوفيق فى اول الحديث .. وعنوانه (حامى الفنون ليس دائما حامى الاعراض)

اما الاستاذ نجيب الريحانى فقد ارسل الى الصحف (خطابا مفتوحا الى الراى العام)

وكانت ضجة .. ورشاش يتطاير هنا وهناك . . وقالت مجلة غاب عنى اسمها ــ ولعلها دائما مجلة الكرباج ــ ان قرينة احد اصحاب السعادة وكلاء الوزارات تركت بيت الزوجية لانها تطلب الطلاق من زوجها بسبب علاقته باحدى الممثلات !

ولكن صابر بك صبرى مضى فى علاقته بسهاد . وكثيرا ما كان العارفون يرون سيارته واقفة امام «فيللا» سهاد .

وكان هذا هو الموقف يوم غادرت انا مصر الى اوروبا . وبعد سفرى ببضعة اسابيع خرج ابراهيم من المستشفى وما ارويه هنا سمعته كما قلت من افواه الرواة .

وجد ابراهيم امام باب المستشفى سيارة فاخرة تنتظره .. وقيل له انها سيارة زوجته سهاد !

وسارت به السيارة الى المسكن الجديد الانيق .. الدار التى اشترتها زوجته او فيللا سهاد !

وبعد ايام قليلة ذهب ابراهيم الى جريدة الاهرام لكى يستأنف عمله فيها .. وقابلوه بعطف كبير ولكنهم افهموه فى عبارات مؤدبة كيسة ان وظيفته قد ملئت .. ثم ناولوه « شيكا » بقيمة المكافاة التى قدروها له عن سنوات خدمته فى الاهرام. وكانت مكافاة سخية ..

وعاد ابراهيم الى .. فيللا سهاد وكان يمضى وقتـه فى القراءة ولا يخرج من الدار الا قليلا .

وسمعت من الاستاذ احمد علام ــ وكان يتردد على الدار وصاحبتها من وقت لآخر لانه كان يقوم وقتئذ بأدوار الفتى الاول فى فرقة سهاد ــ سمعت منه انه دخل مرة على ابراهيم فى غرفته ــ لان سهاد كانت قد افردت له غرفة خاصـة ــ فوجده يكتب ..

وهنا يقول احمد علام : وحييته وقلت (مبروك. ياأستاذ. هل بدأت تكتب لنا مسرحية جديدة ؟)

ورفع ابراهيم رأسه والتفت الى علام واجاب بهدوء :

ــ كلا . بل اكتب خطابات للصحف والمجلات أقول فيها اننى خـرجت منذ شهر من مستشفى المجاذيب !

وسألت أنا الاستاذ علام :

ــ وماذا فهمت من هذا ؟

قال : فهمت ان الاستاذ ابراهيم عصمت ساءه ان لا تكتب الصحف عن مغادرته المستشفى وعودته الى الحياة العادية . والواقع ان صحيفة او مجلة واحدة لم تذكره بكلمة واحدة !

وهززت أنا راسى ولم اقل شيئا !

واننى اسألكما هل كان المرض قد بدأ فعلا يعاود ابراهيم وبعد شهر واحد من خروجه من المستشفى ؟!..

هذه سيارة سهاد !

وهذه فيللا سهاد !

وهذه فرقة سهاد للتمثيل !

ثم فصله من عمله فى جريدة الاهرام !

واغفال الصحف والمجلات امره .

وشعوره بانه لا شىء .. وان سهاد كل شىء !

هل هذا كله اطلق سلسلة من الانفعالات فى صدره . فكان ذلك الصراع العنيف ؟

ثم نقطة اخرى هل تراه افاق اخيرا وادرك ان حميده ليست كما كان يعتقد الزوجة المحبة الامينة الوفية ؟ .. وهل السنوات الاربع التى امضاها فى المستشفى ازالت الغشاوة عن عينيه .. فلما خرج كان مستعدا لان يرى ويفهم .. ويحكم .. بمنطق الظاهر ومنطق الواقع . . لا كما كان الامر قبلا . . بوحى الحب ووحى الثقة العمياء ؟

لا اعرف ! ولكنى اعرف اننى لما عدت الى مصر فى اواخر صيف سنة ١٩٣٧ كان ابراهيم قد غادر دار زوجته وعاد الى مسكنه القديم فى شارع الواردى ... ولكنه كان يتردد كل يوم على «فيللا سهاد» ليرى ابنته نجوى وكانت يومئذ فى التاسعة من عمرها .. كما كان يصحبها احيانا الى السينما ودور التمثيل .

ولكن ابراهيم ــ كما ثبت من تحقيق النيابة ــ لم يذهب ولا مرة واحدة الى مسرح حديقة الازبكية لمشاهدة تمثيل « فرقة سهاد » .. الا ليلة الحادثة !

كذلك ثبت فى محضر التحقيق ان سهاد كانت توسطت له عند احمد عبود باشا من اجل وظيفة لا بأس بها فى شركة ثورنيكروفت وبمرتب شهرى قدره خمسة عشر جنيها .. ولكن ابراهيم رفض !.

من اين اذن كان يعيش ؟

سئل ابراهيم فى هذا فقال :عشت اربعة شهور عالة على زوجتى (وهذا هو نص الفاظه كما جاءت فى محضر التحقيق

م انتقلت بعدها الى شـــقتى القديمه . . ولقد كفتنى مكافأة جريده الاهرام ... الشهور الباقية .

يقصد الشهور الباقيـــة التى قضاها حرا مطلق السراح قبل القبض عليه !

سئل : ماذا كنت تعمل طول هذه الشهور ؟

قال : لا شيء

ـ ولماذا لم تقبل وظيــــفة الثورنيكروفت ؟

رفض ان يجيب !

ولقد بذل النائب المحقق كل جهد فى التحقيق لـكى يحمـل ابراهيم على ان يتكلم عن علاقته بزوجته فى الشهور الاخيرة ... ولماذا ترك دارها « فيللا سهاد »؟ ولكن ابراهيم رفض ان يجيب

وكان هم المحقق ان يصل الى السبب الحقيقى لارتكاب الجريمة .. ولكن ابراهيم كان يجيب فى كل مرة يسأل فيها عن السبب:

ـ لا شيء سوى ختام القصة!.. كان الختام خطأ .. واردت تصحيح الخطأ !

سألوه : وماذا كنت تعنى عندما صحت .. (وانا .. انا .. اى ذنب جنيت !) ..

ولكنه رفض ان يجيب ...

اما حميدة او سهاد فقد جاء فى اقوالها ما يأتى :

كنت جالسة فى قاعة الجلوس مع صديق (عرف فيما بعد من شهادة الخدم ان الصديق المذكور كان صابر بك صــبرى) ... عندما دخل ابراهيم وكان قــد حضر كعادته ليرى نجوى . ولكن نجوى كانت يومئذ مريضة فى الفراش .. وقمت معه الى غرفة نجوى وتركته معها .. ولما عدت كان صديقى قد غادر الدار .. جلست فى الصالون .. وبعد نحو ربع ساعة عاد ابراهيم ..

وجلس فى مواجهتى فى مقعدكبير وسألنى هل استدعيت طبيبا ليعود نجوى ؟ وقبل أن اجيبه.. مد يده وتناول منديلى من فوق مائدة صغيرة كانت الىجانبى .. ونظر فى المنديل طويلا ثم سألنى (ما هذا الاحمر ؟).

وبغت لسؤاله ولكنى قلت (احمر شفايف) .

قال : (ولماذا مسحت الاحمر عن شفتيك ؟)

وضقت صدرا بسؤاله **فقلت** : وهل حرام ان امسح شفتى .. ولماذا صنعت اذن المناديل ؟)

ولكنه وقف وهو **يقول** : (.. المراة لاتزيل احمر شفتيها الا قبل القبلة .. او بعدها) ورمى المنديل فى وجهى وخرج.

.. وكانت الساعة فى نحو الرابعة بعد الظهر !.

* * *

وثبت من اقوال الخدم ان ابراهيم عاد الى فيللا سهاد فى حوالى الساعة الثامنة مساء وسأل عن زوجته فقيل له انها ذهبت الى المسرح .. فدخل ليرى ابنته ووجدها نائمة . ووقف أمام سريرها بضع دقائق ثم خرج ..

ولقد حاولت النيابة العمومية ان تعرف أين وكيف امضى ابراهيم هذه الساعات الاربع التى انقضت بين خروجه من دار زوجته وقد رماها فى وجهها بمنديلها .. وبين عودته فى المساء يسال عنها ؟..

ولكن ابراهيم رفض أن يتكلم...

لقد شهد عبد العزيز البقال انه رأى ابراهيم يدخل مسكنه قبيل الغروب ... ولكنه لم يره وهو يغادره ! ..

ترى هل ذهب ابراهيم وجلس فى غرفته يستعيد ذكرى جلساته هنا ــ فى هذه الغرفة ــ مع حميدة ؟

أم ذهب الى شاطىء النيل امام فندق سميراميس وجلس على المقعد الحجرى واستعادذكرى جلسته معها وحديثه عن الحب وهو الحديث الذى اوحى اليها أن تجعل منه نواة مسرحية يكتبها ابراهيم ؟

أم تراه عاد بالذاكرة الى كل خبر كان قد قرأه عن زوجته فى المجلات المسرحية منذ عشرة اعوام .. الى الغمزات المكشوفة التى كان يعتقد ــ أو التى اوحت حميدة اليه أن يعتقد ــ انها حملات ظالمة اوحت بها غيرة فاطمة رشدى وزينب صدقى وعزيزة أمير ؟

وهل التوت شفتاه ساعتئذ فى ابتسامة ساخرة صفراء عندما ادرك انه كان العاشق المخدوع... والزوج المخدوع ..والكاتب المخدوع أولا واخيرا ؟..

ثم أليس عجبا ما بعده عجب ان يظل ابراهيم احد عشر عاما وهو لا يحس ولا يرى ولا يدرك شيئا عن حقيقة حميدة ... غارقا فى لجة حبه الاعمى ...حتى يشاء القدر ان تقع عيناه مصادفة على منديل ملوث بأحمر الشفاه .. فاذا به يفيق ويفهم ويدرك كل شىء !..

ولكن ابراهيم ظل هو ابراهيم حتى النهاية !

أطبق فاه .. وبالرغم من الحاح المحقق ومن الاسئلة الكثيرة التى أمطره بها فانه رفض أن يتهم زوجته فى شرفها .. أو يخدش عرضها بكلمة واحدة ! ..لا رحمة بها .. ولا رحمة بنفسه كلا ! ربما رحمة بابنته نجوى ! .

ولكن مامن شك فى أن كبرياءه أبت عليه أن يتهم حميده .. وهكذا يعترف ويعلن انه كان حبيبا مخدوعا وزوجا مخدوعا .

وهكذا، وكما قلت، ظل ابراهيم هو ابراهيم .. حتى النهاية !

* * *

. الآن اقص عليكما ما حدث في ذلك المساء ·· وأنت ياتوفيق تذكر طبعا ماحدث··أما صديقنا الصاوى فكان غائبا يومئذ في باريس ·

كانت فرقة سهاد تمثل في تلك الليلة مسرحية (هو وهى) باذن خاص من الاستاذ يوسف وهبى ولحساب جمعية تحرير المرأة · ·

ومضت الروايه الى نهايتها··· ووصلنا الى المشهد الاخير اى المشهد الذى أدخلت عليه أنا بعض التحوير ثم أرسلته الى سهاد كما قلت لكما على فندق سان ستفانو · وكان ذلك في مثل هذه الايام منذ ثمانية عشر عاما . الا ما اسرع مرور الزمن !

ويبدأ الحوار بين الزوج والزوجة ·· بين هو وهى·· وكان الاستاذ احمد علام يمثل دور الزوج ·· « هو »

واعترف الزوج بأنه هو المخطىء ·· والمسئول ··وراح يستعطف زوجته ويرجوها أن تبقى وأن لاتتركه ·· وانه مازال يحبها ··والزوجة ترفض ويمشي المشهد هكذا ··

(**هى** – بصوت عميق حزين) : صدقنى لو كان بيدى ان أبعث الموتى .. لبعثت حبى لك !..

ولكن هنا ·· ·(وهى تضع يدها على صدرها)··
هنا ·· لم يبق لك عندى سوى ·· الاحتقار ·· والله يتولاك برحمته ··· ويرحمنى أنا أيضا !

(تسير الى الباب · ·ولكنه ينهض ويقف في وجهها وقد مد يده يستمهلها ويرجوها ··)

(**هو**) : مهلا ·· مهلا··· هلا جلست قليلا ·· هنا .. كلا ! . ليكن ما تريدين .. قضى الامر كما تقولين

ولكن .. لى رجاء .. رجاء اخير

..اجلسى .. اجلسى هنا دقيقة واحدة ·· او دقيقتين هكذا ··

(وقد اخذ بذراعها فى رفق وقادها الى المقعد امام مائدة التواليت ··)

يعز على أن أغمض عينى على خروجك من هذه الغرفة · غرفة حبنا ·· كلا ليس هذا ما اقصد . . دقيقة واحدة ·· أو دقيقتين ·· انه الرجاء الاخير ·· رجاء من لارجاء له ·· سأخرج أنا ·· وأتركك أنت هنا · وأمشى الى الباب ·· وانت تخلعين معطفك ·· هكذا · وتحلين جدائل شعرك ·· لتتهدل على كتفيك . . . هكذا ·· كما كنت تفعلين أيام حبنا ·· وأنا واقف أنظر ·· وأنتظر ·· كأنك تتأهبين للنوم ·· للفراش· هذا هو المشهد الذى أود أن أغمض عينى عليه ·· هكذا ·· هكذا ·· وأنا أمشى الى الباب · الباب الذى لالقاء بعده··فاذا ماخرجت·· وغبت عن عينيك · · فاصلحى من شأنك · · ·واجمعى جدائل شعرك ·· واحملى حقيبتك . . واتركى الدار ·· وقولى وداعا· وداعا أيها القبر !

(يتراجع الى الباب خطوة ·· خطوة ·· وهو ينظر اليها وقد تهدل شعرها فوق كتفيها . . فحنت راسها تبكى فى سكون ·· ويخرج ويغلق وراءه الباب . . وتفيق هى على صوت الباب وهو يغلق·· وترفع رأسها ·· ويبدو على وجهها ان خاطرا ما دار براسها . . وتنهض واقفة ·· وقد بدا الخوف على وجهها ·· لقد

خرج الى الموت ·· خرج لينتحر . .)

هي ـ بصوت يكاد يكون همسا فى الاول . . ثم يعلو رويدا وهى تجرى الى الباب ··

ـ لا ·· لا ·· لا ·· لا ··

(واذ هى تدرك الباب تسمع طلقة النار ·· تخفى وجهها بيديها ·· وتهوى ببطء على الارض مغشيا عليها) .

❋ ❋ ❋

هذا هو ختام المشهد الاخير كما كتبته وكما مثل فى كل مرة مثلت فيها هذه المسرحية ··

وبلغ المشهد غايته ·· وخرج الزوج ومرت فترة التمثيل الصامت ·· ثم أسرعت (هى) الى الباب ·· وهى تقول : لا ·· لا ·· لا ··

وفجأة دوت طلقتان .. وان كان قد خيل لجمهور المتفرجين انهما طلقة واحدة ومعهما صوت رجل يصيح ·· (غلط ·· غلط ·· هذا الختام غلط ! وأنا ·· أنا ·· أى ذنب جنيته)

وكانت سهاد قد هوت على ركبتيها وامسكت صدرها بيدها .

ورأى المتفرجون احمد علام عائدا يجرى الى المسرح ويركع الى جانب سهاد ويصيح : الاسعاف .. اطلبوا الاسعاف .. أليس هنا طبيب ؟

وقد حدث هذا كله فى اقل من خمس ثوان .. وافاق جمهور القاعة على صوت حركة عنيفة . ورأوا رجلا فى لوج رقم ٢ واقفا ولا يزال المسدس بيده وقد أطبق عليه بعض المتفرجين .

وكان الرجل طبعا ابراهيم !

❋ ❋ ❋

وكان التحقيق . ولم تقدم القضية الى محكمة الجنايات الا فى شهر اكتوبر ١٩٣٩ لان حميدة (المجنى عليها) ظلت فى المستشفى نحو ثمانية شهور

وكانت حالتها فى اول الامر خطيرة جدا . . بين الحياة والموت فقد اخترقت الرصاصة احدى رئتيها . . ولم يسمح الاطباء بسؤالها الا بعد زوال الخطر

اما النيابة فكانت ترى ان الباعث على ارتكاب الجريمة هو الغيرة . . الغيرة الظالمة العمياء – كما قال وكيل النيابة فى مرافعته – اذ لم يكن هناك ما يبرر هذه الغيرة . فالمجنى عليها ممثلة وهى بحكم عملها تستقبل الكثيرين من الاصدقاء ومن كرام الناس . وزوجها كان يعلم هذا وكان راضيا به ايام كان يعاشرها . . والزائر الذى وجده المتهم جالسا مع المجنى عليها يوم ارتكاب الجريمة رجل كريم . وصداقته بالمجنى عليها صداقة بريئة كريمة (وهنا لاحظ الجمهور فى قاعة الجلسة ان رئيس المحكمة عبد الوهاب فهمى بك اخفى فمه وراء منديله !)

ومضى وكيل النيابة فى مرافعته وقال : انه لم يثبت وجود صلة غير كريمة بين السيدة حميدة وبين الزائر الكبير المذكور . . بل المتهم نفسه لم يقل شيئا يدل على اتهامه لزوجته او انه كان بينها وبين الزائر شبهة سوء !

اما محامو الدفاع فقد نفوا ان سبب الجريمة هو الغيره . ووافقوا النيابة على ان السيدة حميدة فوق كل الشبهات ! ! وان نفس زوجها المتهم لم يقل فى أى يوم . . ولا فى اية مرحلة من مراحل التحقيق ، كلمة واحدة يمكن ان تفسر على انه كان يشك فى اخلاق زوجته . . فمن اين اذن جاءت النيابة بهذه الدعوى وهى ان سبب الجريمة هو الغيرة العمياء ؟

وعبارة واحدة جاءت فى اقوال ابراهيم فى اول دور من ادوار التحقيق هى التى انقذته وهى التى اوحت للمحامين بالاساس الذى يبنون عليه دفاعهم .. وهو ان ابراهيم مريض وغير مسئول.

اما هذه العبارة .. فكانت ردا على سؤال من النائب المحقق ..

ـ متى فكرت فى قتل حميدة ؟

واجاب ابراهيم : منذ اعوام واعوام . . . ذات ليلة من ليالى الصيف على شاطىء النيل وكان ذلك قبل زواجنا ببضعة شهور

ـ وما الذى حملك على التفكير فى قتلها ؟

ـ كنا تناقشنا ليلتها فى ختام القصة .. واختلفنا فى الرأى .. ففكرت فى قتلها وقتل نفسى معا !

هذه هى العبارة التى بنى المحامون عليها كل دفاعهم ..

قالوا .. هذا الرجل الذى فكر فى قتل فتاة يحبها .. وفى الانتحار لا لسبب الا لانها اختلفت معه فى الراى حول ختام قصة .. هل يمكن ان يقال ان هذا رجل عادى وانه يتمتع بقواه العقلية صحيحة سليمة . وهل يستطيع القضاء ان يطمئن الى حكم يصدره ويقول فيه ان ابراهيم هذا مسئول عما يفعل ؟

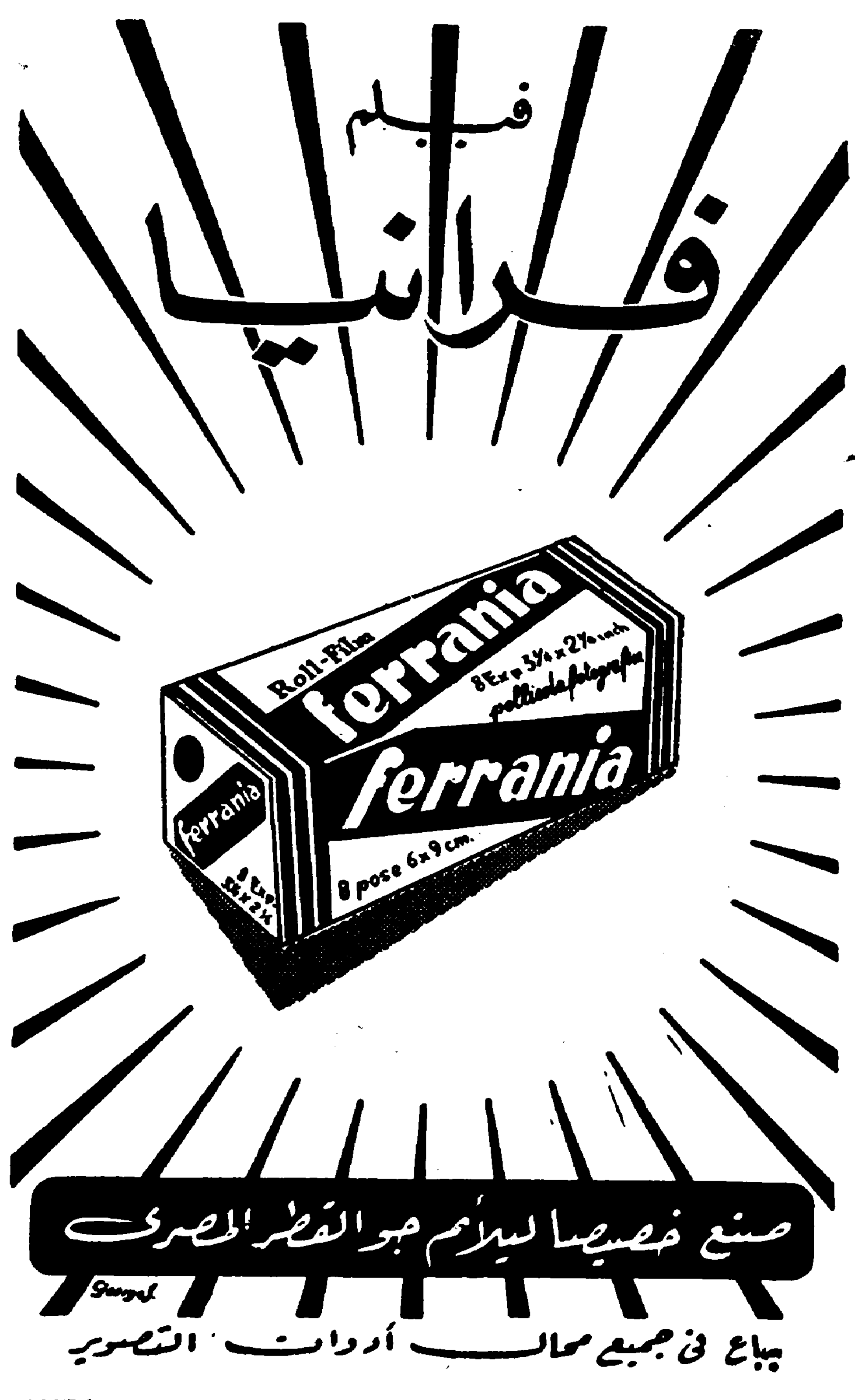
ثم شهد الاطباء الذين تولوا علاجه لمدة اربعة اعوام فى مستشفى الامراض العقلية بأنه كان يعانى من كذا وكذا الى آخره . . الى آخره ..

وخرج ابراهيم من قاعة محكمة الجنايات الى مستشفى الامراض العقلية الذى كان قد غادره منذ عامين وبضعة شهور !

* * *

واخيرا . . انتهى اليوم عذاب الرجل .. وخبت فى صدره نار الصراع العنيف .. بعد ان استقر فى قبره .. لقد مات المسكين هذا الصباح كما قرأنا فى صحف المساء

وكانت ابنته نجوى تبكيه على شاطىء البحر عنــدما مررت به ساعة الغروب !


فلم
فرانيا
Roll-Film
ferrania
pellicola fotografica
ferrania
8 pose 6x9 cm.
ferrania
صنع خصيصا ليلائم جو القطر المصري
يباع في جميع محال أدوات التصوير

س . ب ٤٩٢٦٤

ليلة نام فيها الشيطان

الاهداء

الى ك... في نبع الصفا
ذكرى أمسية من امسيات
تموز عام ١٩٣٠ امضيناها على
الطريق بين نبع الصفا وعين
زحلتا .

م. ت.

كانت جبروت لانزال نائمه عندماقامت به السيارة منأمام فندق « نورماندى » فى طريقهاالى الجبل ·

وكان صاحبنا لم ينم بعد ؛فقد أبقاه أصدقاؤه طول الليل ساهرا فى حفلة أقاموها احتفالا به ·· وكان أصدقاؤه هؤلاءنفرا من كرام المدينه و « أشقيائها»قد قربت السن والاذواق بينهم وبينه ·

كانوا يزورون القاهرة فى موسم الشتاء فيحتفى بهم ·وكان يزور لبنان فى الصيف فيحتفون به .

وقال السائق وهو ينطلق فى شارع اللنبى : لم يقل سيدى الى أين ؟

وقال ابراهيم : الى أين ؟!

ورددها مرتين كأنما هــو يسأل نفسه ·

وأخيرا قال : سر فى طريق عاليه ·

وقال السائق : فندق جبيلى !

وأجــاب ابراعيم بشىء مــن الحدة أو ضيق الصدر: لم أقل اننى سأقيم فى عاليه.. واعتذر السائق عن خطئه ·· ولــكنه عاد يسأل عما اذا كان ابراهيم بك يريد أن يتنــــاول طعام الافطار . ،

ــ ان أبو عفيف كما يعرف سيدى يتقن طهى الفول المدمس.

وقــال ابراهيم : كلا . وشكرا ...

قالها وهو يدور بلسانه فى جوانب فمه كأنما يريد أن يزيل ما فيه من مرارة ! ولكن مرارة فمه لم تكن شيئا بجانب مرارة نفسه !

لقد نهض عن المائدة .. مائدة الحفــلة والسهرة ــ منذ ساعة واحدة او اقل بعد ان ظل جالسا اليها من مطلع الليل

الى مطلع النهــار .. يطعم و يشرب.. ويشرب اكثر ممايطعم الى ان قالت التى كان قد جاءبيروت من اجلها :
ـ نتركك الآن لتنام ..
واجابها والشراب فى رأســه وفى عينيه وقداخذ يدهاالممدوده بين راحتيه :
ـ انام! وكيف استطيع النوم وانا افكر فيك دائما ؟
وانفجرت الغانية الفرنسية ضاحكة والتفتت تقول لمن حولها وكانوا يبتسمون :
ـ اسمعوا .. انه يفكر فى دائما ولا ينام !.. شيئا من التجديد يا مسيو ابراهيم !
قال : وانت شيئا من الرحمة !
قالت : لو وزعت رحمتى على كل من يلقـانى ويريد ان يغوينى برخيص الكلام لما اصابك منها اصبع واحدة.. وانت كما ترى قابض على خمس منها بيديك !
وارخى يدها وهو يقول : لماذا لا تصدقيننى ؟
قالت : لاننى ذكية !
قال : اننى اعـرض عليك صداقتى ..
قالت : صداقةالذئب للحمل ..
واستفزته ســخريتها امام اصدقائه **فقال** :
ـ الحمل البرىء ؟ !
اجابت : قد لا اكون دائما حملا بريئا ولكنى ارفض دائما ان اكون كبش الضحية
قال : انت تعرفين انى جئت من مصر لاجلك
قالت : هذا ممكن
قال : اذن ماذا ؟

قالت : اكمل ...

قال : اكمل ماذا ؟

قالت : جئت من مصر لاجلى .. ولكن لكى تبقينى فى فراشك اسبوعا أواسبوعين ثم تشيعنى الى الباب بعبارة رقيقة وهدية لطيفة !

وضحك الحاضرون .. **وقال ابراهيم** : كم يطول عندك عمر الحب .. شهرا .. شهرين ؟ !

قالت : ليس للحب من أجل ... ان الذى يقاس عمره بالايام والشهور هو لهيب الرغبة .. لا الحب !

قال : وهذا اللهيب ؟

قالت : يلذلى ان ابقيه مشتعلا فى صدرك حتى ارى رايى فيك !

قال : اذا تركتنى الليلة .. فلن ترى وجهى بعد اليوم ..

وضحكت جاكلين وقالت وهى تجمع حقيبة يدها ومنديل السهرة : بل سأراه قبل غروب شمس هذا اليوم !

قال وهو يريد ان يجرحها ويسيل دم كبريائها : ما من فضيلة تنقصك حتى ولا فضيلة التواضع !

ولم تغضب بل ابتسمت **وقالت** :

ـ خير فضائلى اننى أدرس الماضى واخرج منه بعظات . ولقد درست ماضيك فى القاهرة ..

* * *

هكذا انتهت السهرة .. اول ليلة له فى بيروت . ولقد ودع جاكلين وودع اصدقاءه وهم يقولون له انهم سيمرون به بعد ظهر اليوم . ولم يقل هو شيئا لانه كان ينوى امرا آخر

لقد صعد الى غرفته وحزم حقائبه وقرر ان يغادر بيروت الى احد مصايف الجبل .

وسوف تعرف جاكلين انه قد حفظ كلمتـه .. ولسوف تندم على قسوتها معه وسخريتهـا منه ... ولربما ذهبت تبحث عنه فى مصايف الجبل !

وها هو ذا فى طريقه الى الجبل . ولكن ... الى اين ؟

الى بقعة هادئة يسترخى فيها ويريح أعصابه الثائرة .. لم تعامله امراة من قبل كما عاملته هذه الفرنسية .. ولكن لماذا تتأبى عليه وتضن بما قد منحته ولاشك كثيرين من قبله؟!

لقد خيل اليه أول يوم عرفها، وكانت تغنى فى ملهى الاوبرج، انها ... انها ماذا ! ؟

نظرة منها الهبت حواسه وايقظته ...

لقد قيل ان لبعض الرجال نظرة فاجرة تعرى المرأة من ثيابها .. ولكن احدا لم يقل عن امراة ان لها مثل هذه النظرة !

ولكنه احس - وهم يقدمونه لجاكلين - انها تنظر اليه بعينيها الساخنتين كأنما تريد أن تعريه من ثيابه ؟

ولأول مرة فى حياته على ما يذكر .. خانه لسانه امام امراة فوقف امام جاكلين مرتبكا لا يعرف ماذا يقول!! .. لقد احس ساعتئذ أن هذه المرأة تريده .. وانها تشتهيه ..

وهذا ما سره منها وارضى رجولته !

وفى الايام والليالى التالية حاول أن يزيد قربه منهـا ... ولـكنه كان يحس انها تبتعد عنه خطوة كلما اقترب منهـا خطوة . كأنما راجعت نفسها فى أمره ..

ولكن نظرتها اليه بقيت كما هى ! نظرة التى تشتهى وتغالب نفسها .. حتى لاتضعف ! وهذا ما حيره فى امرها . لعل لها علاقة برجل آخر . كلا لم يجد لها علاقة بأى رجل .. ولم يقل احد - وماأكثر الذين تحرى منهم عن امرها - ان

جاكلين دوسى المغنية الفرنسية الحسناء قد أعطت نفسها فى مصر لرجل ما ..

وهذا ما زاده تعلقا بها والهب حواسه وحماسته فى الجرى وراءها . فقد كان يلذ له دائما الصيد الصعب المنال .. وان يحظى دائما بما يشتهيه

بل لو كانت لها علاقة برجل ـ صديق له أو غير صديق ـ لما تردد ابراهيم فى أن يحاول انتزاعها منه. ذلك لان الحياة علمته ـ وهو لا يزال بعد فى السابعة والعشرين من عمره ـ ان لا شريعة فى عصرنا الحاضر ـ فى الريف أو فى الحضر . فى الصالون او فى الصحراء ـ سوى شريعة الغاب !

القوى يأخذ ما يشتهيه ! ولكل أن يدافع عن نفسه بالمخلب والناب !

ولرجال اليوم ـ بل ولنساء اليوم ـ مخالب وانياب !

وان الذين يتحدثون عن الناموس والفضيلة هم الضعاف . وقد يتسع لهم المجتمع ولكن مقامهم منه دائما فى الذيل . ونصيبهم منه دائما الفتات او ما هو دون الفتات !

هذا هو الدرس الذى علمته اياه الحياة بعد أن حاول فى مستهل ربيع عمره أن يسير فى الحياة على طبيعته وسجيته كما خلقه الله . رحيما صادقا امينا يغالب الشر ما استطاع ويعمل الخير ما استطاع .. ولكنه ما ان بلغ العشرين من عمره حتى كانت اللطمات تهوى على صدغيه ... وكانت أقساها واعمقها جرحا لكبريائه تلك التى تلقاها من الفتاة التى كان قد احبها واختارها لتكون شريكة حياته .. ثم اذا بها تهرب مع صديق له قبل حفلة الزفاف بيومين اثنين !

ويومئذ افاق وفتح عينيه .. وراح ينظر الى المجتمع بعين

العصر الذى يعيش فيه، وآمن بشريعة الغاب ..
هكذا علمته الحياة على قصر عهده بالحياة .

* * *

وأفاق ابراهيم من أحلامه على صوت السائق يقول :
ـ هانحن فى عاليه .. هل نواصل السير .. والى اليمين او الى اليسار ؟
وسكت ابراهيم يفكر..أين يذهب ! أمامه خيار واسع .. سوق الغرب .. دير القمر . صوفر .. حمانا .. شتورة.. أوبكفيا . فالوغا .. ولكن هذه كلها مصايف معروفة يقصدها دائما مئات المصيفين . وهو فى حالته النفسية هذه يطلب الوحدة والراحة .. وأن يضع بينه وبين جاكلين وبيروت أطول شقة مستطاعة ... فانه هو أيضا له كبرياء وله كرامة .
واخيرا قال : الاتعرف بقعة أبعد ماتكون عن بيروت .. وأقل ماتكون نصيبا من اقبال المصيفين ؟ بقعة هادئة .. فيها ماء كثير وشجر كثير .
واجاب السائق على الفور : نبع الصفا .. وأبعد منه قليلا نبع الباروك ..
وقال ابراهيم : اذن .. نبع الباروك .
وانطلقت السيارة الى اليسار ..
وقد بدأ نور النهار يتمشى فى ضوء الفجر وزرقته الداكنة .. وبدت صفحة البحر الابيض من هذا الارتفاع كأنها صفحة واحدة . سمراء اللون متماسكة لاحركة فيها ولاموج .
ومن حوله قمم وراءها قمم عليها وعلى جوانبها دور صغيرة أنيقة تحيط بها أشجار الصنوبر .. وأشجار التين والزيتون
وتنهد ابراهيم .. وهو ينفث دخان سيجارته ! كم تكون الحياة

هانئة وديعة فى احدى هـذه الدور الشمـاء مـع رفيقة مخلصة ٠

ثم هز كتفيه ٠٠ هذا حلم داعب خياله منذ سـنوات ٠ ولكنه افاق منه على جرح أسال دم قلبه وكبريائه ٠

ولم يلبث أن لحقت عيناه ونام ٠٠٠

ثم أفاق وأشعة شمس الصباح تمسح عينيـه بأصابعهـا الدافئة ٠ ٠

وكانت السيارة تهتز وهى تأخذ طريقها فى منحدر شـديد الانحدار ٠ ٠

واجابه السائق ردا على سؤاله :

ـ لقد تركنا صوفر وراءنا ونحن الآن فى طريقنا الى نبع الصفا

واستوت السيارة ثم عادت تصعد مراقى الجبل

وأغفى ابراهيم مرة أخرى ٠٠ ونام ٠٠

ولم يعرف كم طال نومه ٠٠ ولكنه أفاق على هزة أو صدمة عنيفة وصرخة تشق السكون ! لقد انفجرت أنبوبة احـدى العجلات بينمـا كانت السيارة تنحدر فى طريق لم يعبد بعـد بالمكدام ٠ ٠

وانحرفت السيارة فى سرعتها الى اليسار ولولا أن وجدت فى طريقها شجرة ضـخمة أوقفتها لـكانت قد تردت هاوية فوق الصخور الى بطن الوادى ..

كل هذا أدركه ابراهيم فى لحظة واحدة ٠ ٠

ونزل ابراهيم من السيارة ٠ ٠ وقد وقف السائق يندب حظه ويسب السيارة وصانع السيارة ويستنزل اللعنات على رأس الحكومة والحاكمـين الذين لايعبدون سـوى الطرق التى

تجتازها سياراتهم الى عاليه وصوفر والشام ٠

وعرف ابراهيم ان السائق ليست معه عجلة اضافية

ـ اذن ماالعمل ؟

وهز السائق كتفيه وقال :

ـ لاحيلة الا أن أنتظر حتى تمر بى سيارة ذاهبة الى بيروت وترضى أن تجرنى وراءها .

ـ وأنا ٠٠ ماذا أعمل ؟

وقال السائق وهويشير بيده الى بطن الوادى والى مايشبه غابة كثيفة من الاشجار ٠٠

ـ هذه نبع الصفا ٠٠ بينك وبينها نحو كيلو مترين

وأخرج ابراهيم سيجارة ليشعلها ٠٠ وهنا تنبه الى وجود شخص ثالث كان واقفا وراءهما على منحدر الجبل الى اليمين ٠٠ ترى هل هو صبى او هو فتاة؟ !

وانحدر الشخص يتخير طريقه بين الصخور بقدم أكيدة حتى أقبل عليهما ٠٠ وكان يرتدى بنطلونا ينتهى عند منتصف الساقين ٠٠ وقد تناسلت أطرافه ٠٠ ومن تحته حذاء ممزق من القماش برزت منه بعض أصابع القدمين ٠٠ ومن فوق البنطلون قميص واسع أزرق اللون مفتوح عند الرقبة ٠ وقد حمل فى ذراعة سلة مملوءة بالخضراوات

ولم يتأكد ابراهيم من انها فتاة الا بعد أن سمع صوتها وهى تحييهما وتقول :

ـ شكرا لله على سلامتكما ٠٠ لقد صرخت رعبا اذ ظننت ان السيارة هاوية لامحالة فى بطن الوادى ٠

ونظر اليها ابراهيم وهو ينفث دخان سيجارته. نظر اليها نظرة خبير ٠٠ خبير بالجمال وبالوان الصبا والشباب

وبادلته الفتاة نظرة بنظرة . وكانت نظرتها مستقيمة صريحة .. لاخوف فيها ولا ريب .. ولافيها غنج انثى ولا دلال ..

وأرخى ابراهيم عينيه ! ان هذه الفتاة ونظرتها شيء لم يألفه! شيء جديد عليه !

وقال السائق : هل يذهب سيدى الى نبع الصفا .. انها ليست بعيدة .. وقد يجد سيدى اليوم أو غدا سيارة عابرة تقله الى نبع الباروك

والتفت ابراهيم الى الفتاة **و قال :**

ـ هل تعرفين أحدا هنا يساعدنى فى حمل حقائبى الى نبع الصفا ؟

وقالت الفتاة :

ـ أنا من نبع الصفا . . . وإذا شاء سيدى عدوت أنا وأرسلت اليه من يحمل له حقائبه .. ولكن فى اى فندق يريد سيدى ان يقيم ؟

وابتسم ابراهيم وقال :

ـ لم تسبق لى زيارة نبع الصفا .. هل تشيرين على بفندق معين ؟

وقالت الفتاة بابتسامة صريحة :

ـ هناك فندق فارس وأنا أعمل فيه .. وهناك فندق آخر ..

ولم يتركها ابراهيم تتم كلامها **وقال :**

ـ اذن .. فندق فارس

ونقد السائق أجره مضاعفا وتركه ينتظر مع السيارة حتى يرسل له خدم الفندق ليحملوا حقائبه ومشى مع الفتاة فى الطريق الى نبع الصفا

وهكذا أحكم القدر الحلقة الثانية من حلقات قضائه المحتوم

أما الحلقة الاولى فكانت سخرية جاكلين في ختام سهرة الليلة الماضية .. أو فجر هـــذا الصباح !

* * *

والقى ابراهيم عـلى صاحبته ، وهو يمشى ، نظرات من طرف عينيه .. يداها خشنتان حمراء اللون .. شأن من تعمل بيديها وتكدح .. وجهها وعنقها لفحتهما الشمس واحالت لونهما الى سمرة مستحبة ..وشعر رأسها اسود بهيم كثيف وقد جمعتـه حـول راسها تحت « بيريه » مما يلبســـه الجنـود ... ووجه صغير مستدير .وشفتان ممتلئتان من فوقهما أنف مستقيم .. واذا ابتسمت بدت أسنانها الصغيرة الناصـــعة البيـــاض وحاجبان مقوسان . . واهداب طويلة الرموش .. وعينـــان سمراوان نديتان كأنما بللهمـــا قطر الصباح ..

وقال ابراهيم : ما اسمك ؟

اجابت : سلمى ..

قال : وانا اسمى ابراهيم.. مصرى . وانت طبعا لبنانية ؟

وقالت سلمى : نعم ولكنى ولدت في المهجر .. في ســان باولو ..

ـ ثم عاد والداك الى وطنهما لبنان ؟ .

ـ كلا . لم يعودا .. لقــد توفيا هناك ...

وتوقف ابراهيم لحظة في سيره **وقال** :

ـ آسف ان كنت ..

وقالت الفتاة : كلا . انا لا اذكرهما فقد توفيا وانا طفلة.. وأنا الآن أعيش في كنف عمي فارس صاحب الفندق

وقال ابراهيم وهو يشير الى السلة التي في ذراعها :

ـ وأنت التي تبتاعين اللحم والخضر ؟

واجابت الفتاة :

ـ نعم . اشتريها من اصحاب الحقول المجاورة . . غير انه ليس فى السلة اليوم سوى بعض الخضراوات . . . ولكننا سوف نجد لك شيئا من اللحم أو الدجاج

وعاد ابراهيم يسالها :

ـ وهذا كل عملك فى الفندق ؟

ـ أوه . كلا . فأنا أساعد فى طهى الطعام وتنظيف الغرف واعداد طعام الافطار وغسل الصحاف والاوانى .

والقى عليها ابراهيم نظرة طويلة **ثم سالها :**

ـ وكم سنك ؟

ـ سبعة عشر الا قليلا . .

وتردد السؤال قليلا فى فم ابراهيم .. واخيرا **قال :**

ـ وهل انت سعيدة فى حياتك ؟

ـ ولم لا . . ؟

ولكنه ادرك انه اخطأ فى سؤالها فقد أحس فى لهجتها تحفظا ولم يوجه اليها بعد ذلك أى سؤال . .

* * *

وقال فارس صاحب الفندق وهو يأخذ ابراهيم بنظرة فاحصة ليعرف أى نوع من « الزبائن » قد يكون !

ـ نعم عندنا غرفة لها حمام خاص وهى أحسن غرفة فى الفندق .

ـ وهل فى الفندق نزلاء كثيرون ؟

ـ كلا . ليس فى الفندق الآن سواك . .

ولكنه أسرع ليستدرك ويقول :

ـ ولكننا ننتظر ضيوفا كثيرين بعد أيام قلائل

وكأنما أشفق أن يظن ابراهيم السوء في هذا الفندق المهجور ..

ـ هل تتفضل معي لاريك حجرتك

ومشى أمام ابراهيم . وكانت الحجرة في الطابق الاول . اثاثها بسيط ولكنه نظيف ..

وكانت لها نافذة تطل على النبع ـ نبع الصفا ـ الذي سميت هذه البقعة باسمه . وكانت مياه النبع تنحدر ـ من حيث لا يعرف أحد ـ وتتسرب خلال قنوات خفية في بطون الجبال القريبة الشاهقة ثم تتجمع وتنحدر بين الصخور الى ان تجد لها مخرجا .. وهنا تتدفق من عل في هدير قوي متواصل

وفوق هذا المصب او هذا الشلال الصغير شيدوا مقهى تظلله الكروم ومن حوله اشجار التين والخوخ

اما مياه النبع فانها تنساب من هذا المقهى في قنوات ذات اليمين وذات اليسار . . لتكون في طريقها ـ هنا وهناك ـ بحيرة صغيرة صافية او غديرا تتدلى فوقه فروع الشجيرات القائمة على ضفتيه

وقال عم فارس قبل ان يغلق الباب وراءه :

ـ هل تطلب شيئا الآن ؟

واجابه ابراهيم : لا شيء سوى ان انام . ولكن متى تصل حقائبي ؟

ـ لقد ارسلت سلمى ومعها رجلان ولا انتظر عودتهم بالحقائب قبل ساعة

وتثاءب ابراهيم وهو يقول :

ـ اذن سأنام ..

واغلق فارس وراءه الباب

وخلع ابراهيم سترته ونفض عنه حذاءه ثم ارتمى على الفراش

كما هو .. فان التعب كان قدنال منـه كل منـال . وتراخت اعصابه وثقلت اجفانه .. ودوى هدير الماء فى اذنيه .. وفى عينيه خيال فتاة ترتدى بنطلونا ممزق الاطراف .. يداها خشـنتان حمراوان .. وعيناها سمراوان نديتان كانما بللهما قطر الصباح .

الى ان راح فى سبات عميق

واستيقظ عند العصر . . . وفتح عينيه وظل لحظة او لحظتين قبـل ان يفيق تماما ويدرك اين هو .. وجلس فى الفراش فرأى حقـائبه على ارض الحجـرة ثم نهض ومشى الى الحقـائب فاذا بها خاليـة ..

وفتح الدولاب القائم فى احـد الاركان فوجـد ثيابه وحاجـاته مرتبة منظمة

كل هذا جرى وهو نائم . ترى من الذى اخـرج حاجاته من حقائبها وعنى بتنظيمها ووضعها فى الدولاب والادراج ؟

هل هى سلمى ؟ ان يد الانثى ظاهرة فى تنظيمها وترتيبها . .

واغتسل وارتدى ملابسـه ونزل الى صحن الفندق . .

وكان الطابق الارضى مكونا من حجرتين اثنتين . حجرة للمائدة . وحجرة للجلوس . . وجنـاح منفصـل يحجبه باب . ولعـل وراءه المطبخ وحجرات الخدم .. ولكن اين هم الخدم ؟

انه فندق صغير . فان الطابق الاول الذى توجـد فيه غرفتـه ليس فيه سوى اربع حجرات

ودخل حجرة الجلوس . ودق الجرس واقبل عليه بعد قليـل رجل وجهه كثير التجاعيد . اشيب الشعر ولكن فمه الواسع المفتوح فى ابتسامة مرحة، قربه فى الحال الى قلب ابراهيم

وقال الرجل : مرحبا بالسيد المصرى . هل من حاجة اقضيها لسيدى ؟

وقال ابراهيم : نعم. اناجائع لم اذق طعاما منذ مساء الامس (وضحك واستدرك) او على الاصح منذ فجر اليوم ..

واسرع الرجل بالخروج وهو يقول : سآتيك حالا بقدح من الحليب وخبز وزبدة

وعاد الرجل يحمل صينية وضعها امام ابراهيم

وساله هذا : ما اسمك ؟

اجاب : سليمان .. واحيانا ينادونني سليمان الحكيم ..

واشترك فى الضحك مع ابراهيم . . .

ـ ومتى تبدو حكمتك ؟

ـ حينما ينفد صبر الآخرين او يرزحون تحت ثقل الهموم

* * *

ولما تناول ابراهيم طعامه الخفيف . . وقف امام نافذة الحجرة ينظر الى الماء الجارى فى قناة صغيرة على قيد خطوات .. ماء صاف رقراق تقطع سريانه صخور صغيرة فى قاع القناة .. فيدور حولها فى فورة ثم يتجمع لينساب فى خرير يمتزج بأصوات المساء . .

وللمساء أصوات ! هذه صلصلة الاجراس المدلاة من اعناق البقر وهى عائدة من مراعيها . .

وهذه اصوات الطيور فوق الاغصان تودع الشمس وتهمس للظلام الذى بدا يبسط جناحيه . . .

وهذا صوت فأس تقطع بعض شجيرات الغاب .. ليصطلى بنار اخشابها فى المساء ..

وهذا صوت ناى احد الرعاة وهو يسير خلف قطيع من الماعز والاغنام . .

ما اجمل المساء ! بين الجبل والوادى . . واشجار الغابة الغامضة

المبهمة كقلب عذراء !

والفى ابراهيم نفسه يفكر فى عينين سمراوين نديتين كأنما بللهما قطر الصباح وخرج من الفندق يتمشى على ضفة القناة. الى أن وجد نفسه أمام صخرة كبيرة تحيط بها بضع أشجار ضخمة، فروعها تجمعت فى شبه مظلة واسعة فوق غدير

ودار حول الصخرة واذا به يجد سلمى جالسة على العشب الاخضر وقد دلت قدميها العاريتين فى ماء الغدير وخلعت عن راسها «البيريه» وتهدل شعرها الاسود الفاحم على كتفيها ..

ووثبت الفتاة واقفة حين راته . وخيل اليه ان حمرة كست خديها ، ولكن هل هى حمرة الحياء والدهشة ؟ . او حمرة الشمس الآفلة تقطر من خلال الاغصان

وقال ابراهيم ـ وهو يكذب ـ :

ـ آسف جدا . لقد ازعجتك فى خلوتك ؟

وتظاهر بالانسحاب . . ولكنه كان يكذب للمرة الثانية ؛ فهو قد سر فى الحقيقة للقياها ثم هو لم يكن ينوى الانسحاب

وقالت سلمى وهى تضع قدميها المبللتين فى حذائها المزق المصنوع من القماش وتجمع جدائل شعرها تحت البريه :

ـ كلا يا سيدى .. لم تزعجنى وعلى كل حال فقد حان موعد عودتى الى الفندق ..

وصاح ابراهيم : كلا . والا اعتقدت اننى ازعجتك حقيقة. وتطفلت عليك فى خلوتك . هلا تجلسين قليلا معى ..

وجلست الفتاة ...

وقال ابراهيم وقد جلس وظهره الى الصخرة الكبير :

ـ وهل تمضين اوقات فراغك هنا دائما ؟

وقالت الفتاة :

ـ ليس لدى فراغ كبير ، اللهم الا ساعة واحدة قبيل اعداد طعام العشاء .. ثم طبعا بعد العشاء وتنظيف المطبخ ومافيه

ـ وهنا مكانك المختار ؟

ـ نعم فانا احب الماء البارد الجارى ويلذلى ان ادلى فيه قدمى .. انه منعش جدا .. انظر ..

وانحنت بسرعة واغترقت بيديها حفنـــة ماء قدمتها اليه وهى تقول :

ـ انظر .. كم هو بارد ومنعش ...

وامسك ابراهيم براحتيها فتســاقطت قطرات المـاء على ثيابه وثيابها وقال :

ـ حقيقة انه بارد كالثلج ...

ـ انهم يقولون انه من ذوبان ثلوج جبل صنين ..

ولو ان ابراهيم اطــاع هواه لكان ابقى راحتيها فى يده .. او كان قبلهما .. او ضغط عليهما قليلا. ولكنه غالب نفسه وامسك لأنه ـ كما احس فى الصباح ـ كان يشعر ان هذه الفتاة ونظراتها الصريحة شيء لم يألفه . شيء جديد عليه !

احس ان امامه عذراء .. عـــذراء ... لا كبعض عذارى القاهرة ممن يعرف . ولـكن عذراء فى كل معنى وكل عاطفة. عذراء فى نظرتها .. عذراء القلب والعــاطفة . زهرة تتفتح مع فجر الربيع .. طاهرة مثل ندى الليل. بل زهرة عذراء لم تغبرها ريح الشمال ولا ريح الجنوب ..

وكأنما اوحى اليه وهو ينظر الى شفتيها ان فمها لم تلمســه شفتان .. وان قبلتهــا كذلك لا تزال عذراء ..

وسالها وهو يريد ان يقول شيئا يغالب به نفســـه ويقطع هذا السكون الذى طال :

ــ ولماذا ترتدين دائما هذا البنطلون والقميص الازرق ؟ هذا زى فتى وانت فتاة

وقالت وهى تنهض واقفة :

ــ عندى ثوب او ثوبان ولكنى ابقيهما لايام الاعياد ..

ــ الا يشترى لك عمك فارس ثيابا تليق بك ؟

ولم يكد السؤال يخرج من بين شفتيه حتى ندم وادرك انه اخطأ للمرة الثانية فى يوم واحد ..

ولم تجب سلمى على سؤاله وقالت :

ــ سعدت مساء ياسيدى ..

واختفت بين الاشجار ..

* * *

وظل ابراهيم بعد ذهابها صامتا . . او لعله ظل مذهولا الى حين . كانما امر غريب طالعه على غير انتظار .. !

ثم استوى قاعدا وقد مد قدميه يدير طرف حذائه فى الحشائش والحصى وصغار الصخور

هل هو يحب هذه الفتاة التى لم يرها الا اليوم ؟ ومرتين فقط .. مرة فى الصباح .. ومرة منذ لحظات ؟

وضحك من نفسه ومن هذا الخاطر الذى طاف برأسه ولكن ضحكته رنت فى اذنيه اشبه شىء برنين المعدن الزائف او القدح المكسور . !

لقد قرأ اخيرا، لكازانوفا، أستاذ الحب بل وفيلسوفه عن غير قصد، ان الحب نظرة . . وتكفيه نظرة ! وان العين هى رسول الشوق والحنين من روح الى روح ! وان لا حب الا عن طريق العين . اللهم الا فى حالات نادرة عندما يقوم الصوت مقام العين . . وانه من المستحيل ان نحب امراة عرت جسدها ولكنها اخفت عينيها

ووجهها .. ولكننا نحب امرأة تكشف عن وجهها وعينيها وتخفي جسدها . ذلك لان الحب دائما من العين للعين !

وهز ابراهيم كتفيه.. وابتسم ! ترى ماذا يقول اصدقاؤه فى صالونات القاهرة وانديتها . . وماذا يقول اصدقاؤه فى بيروت بل ما ذا تقول جاكلين اذا عرفت وعرفوا انه يفكر فى حب فتاة تعمل فى فندق صغير فى قرية صغيرة من قرى لبنان . . فتاة ترتدى بنطلونا تمزقت اطرافه . وفى قدميها حذاء ممزق مصنوع من القماش تطل منه اصابع القدمين ؟

جاكلين ! .. وافاق على هذه الحقيقة العجيبة ! انه لم يعد يفكر فى جاكلين .. يخيل اليه انه قد نسيها تماما ونسى فعلتها معه !

وتمدد ابراهيم واراح راسه على العشب الاخضر . . وقد بدأت تتجمع من حوله ومن فوقه ظلمة المساء .

ظلمة هادئة رحيمة توحى للنفس ان تتكلم وتكشف عن مكنونها .. وتوحى للضمير ان يبوح بخفايا الصدور !

ــ هل انا احب سلمى ؟

الجواب بعد تردد قصير . .لا ادرى !

ــ هبنى سافرت غدا عائدا الى بيروت فهل يعز على فراق سلمى وان لا اراها بعد اليوم ؟

الجواب بعد ترد طويل : نعم !وقد اعود ادراجى الى نبع الصفا قبل ان اصل الى بيروت . . او قد اعود اليها بعد يوم او يومين !

ــ اذن فانت تحبها ؟

بعد تردد طويل .. « وددت لو عرفت . ولكننى حقيقة لا ادرى » !

ــ وبعد ! احزم امرك ! هل تحبها او لا تحبها ؟ واذا كنت تحبها فماذا تنوى ان تفعل بها ؟ثم هب انها لم تبادلك حبا بحب ؟

ـ هنيئا لمن تحبه سلمى !

وسمع ابراهيم صـوته وهو يقولهـا . وتلفت حوله . هـل سمعه احد ؟ فقد خيل اليه انجوانب الوادى قد رددت صدى ما قال !

نعم . هنيئا لمن تحبه سلمى وترنو اليه فى ظلمـة الليل او فى نور القمـر او فى رحمـة الفجربعينيها اللتين بللهما قطر الندى !

ان انوثتها نائمة فهل يحاول ان يوقظها !

وسـكت قليلا . . وسرت رعشة فى جسده !

انها تكون يقظة رائعـة ! ففى عينيها السمراوين اعماق واغوار لو اثارها الحب لانطلقت منها قوى رهيبة جارفة !

ولكن من الذى يوقظ هـذه الانوثة النائمـة ! من الذى يستطيع . . .

واخيرا نهض ابراهيم يصـلح من شانه وينفض عن ثيابه ماعلق بها ويقول لنفسه :

ـ من الخير ان تتركها نائمة !

* * *

وانقضت ايام ثلاثة دون ان يراها . . .

ذهب الى الصخرة الكبيرة والغدير فلم يجـدها . . وانتظر طويلا ولكنها لم تحضر . .

وكذلك فى اليومين التاليين . .

وكان اذا طلب طعام الافطار فىحجرته او طلب قدحا من القهوة او الشـاى وهو جالس فى ردهةالفندق او حجرة الجلوس حمله اليه سليمان . .

ولقد هم فى اول يوم ان يسال عنها واين هى . ولكن ما ذا يقول فارس وماذا يظـن سليمان ! واخيرا لم يطـق صبرا . . لعلهـا

مريضة . لعلها سافرت الى بلد ما . . .

ونادى سليمان، وساله وهويتظاهر بعدم الاكتراث ويعبث بسلسلة من البلاتين تحيط بمعصمه . . .

– لم أر سلمى منذ ايام . . هل هى مريضة ؟

واجاب الرجل : كلا . بل هى بخير ..

وخيل لابراهيم ان سليمان الحكيم كان ينظر اليه من طرف عينه . . ويبتسم !

ولم يذهب ابراهيم فى المساء الى الصخرة والغدير .. ولماذا يذهب ؟ وجلس يكتب خطابا الى صديق له فى مصر

ولما انتهى من كتابة الخطاب راى ان الحبر قد علق ببعض اصابع يده فصعد ليغسل يديه فى الحمام الملحق بحجرته ولكى يحضر كتابا يقرا فيه بعدالعشاء

ودخل حجرة الحمام من بابها المفتوح على الردهة .. ولكنه شعر لفوره ان فى حجرته شخصاما .. وان لم تكن الحجرة مضاءة وتسلل على اطراف قدميه الىالباب الموصل بين الحجرتين .

ومن فرجة ضيقة استطاع ان يرى سلمى وقد انكفات على فراشه تبكى فى سكون ثم رآها تقبل ثوبا ما قد ضمته الى صدرها .. تقبله وتشمه !

وفتح الباب وادار زر النور .

ووثبت سلمى واقفة علىقدميها وفى يدها قميص نومه وهمت الى الباب تريد الهرب !ولكنه كان أسرع منها ... وامسك بكتفيها واحس انالكلمات قد جفت أو وقفت فى حلقه فهو لا يستطيع الكلام !وأن دمه يتدفق فى عروقه .. وان قلبه من شدة ضرباته يكاد ينطلق من بين الضلوع .

وغمرته رهبة وخشوع ..

وأخيرا .. أخيرا قال ـ وما أسخف ما قال ـ قال بصوت انكرته أذناه ! صوت أجش ازدحمت فيه عواطفه :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟

قالت وقد حنت راسها :

ـ كنت اصلح فراشك واعده لنومك ..

قال : ولكنك ..

ثم امسك . . وكأنما ادركت هي ماكان سيقول لانه أحس انها ترتجف . . وقد امتقع لون وجهها . .

ورفعت اليه عينيها وقد بدتا كعيني غزال جريح **وهمست** :

ـ ارحمني يرحمك الله . . . . دعني . . . دعني . . .

ـ لما ذا انقطعت عن الذهاب الى الغدير ؟

ـ ارحمني ياسيدى ..

ورفع ابراهيم يديه عن كتفيها وخطت هى الى الباب **وهى تقول**:

ـ سعدت مساء ياسيدى .

وناداها : سلمى ...

ووقفت ويدها على الباب ..

ـ قابليني الليلة عند الغدير . . .

ورنت اليه بعينيها ! ودار رأسه !

وقالت : اذا شئت ..

قال : نعم .. ومتى ؟

قالت : بعد العشاء ...

وجلس ابراهيم على حافة الفراش ورأسه بين يديه . .

واحس كان به حاجة للبكاء !

* * *

وكانت الساعة نحو العاشرة عندما نهض ابراهيم من مقعده

فى حجرة الجلوس ورمى جانبابالكتاب الذى كان يتظاهر بالقراءة فيه وغادر الفندق . . وسار على ضفةالقناة متجها نحو الغدير . .

وكان قرص القمر الذهبى قد بدأ يرتفع عن الافق مرسلا ضوءه خلال الفجوات بين الجبال . . .

ولا شىء يعكر السكون سوى خوار البقر . . او مواء الماعز فى حظائرها . .

وبين حين وحين يتحسس ابراهيم طريقه بين الشجيرات وتعلق ثيابه بالغصون المتدلية . . وتفزع طيور كانت نائمة وتطير .

. والماء الجارى ينساب فى همس متصل متزن . .

ولعشب الارض الطيبة رائحة خاصة يجود بها وينشرها فى ظلمة الليل . .

وقلب ابراهيم يدق . . ودمه يتدافع فى عروقه . .

الى ان وقف عند الصخرة ينتظر وقد خيل اليه ان ملايين الاعين الخفية ترقبه من وراء أستار الظلام !

هل تحضر . . . ؟

ثم اذا بهاتف فى نفسه يهمس: ليتها لاتحضر! فلقدكان ابراهيم خائفا . . خائفا من نفسه ومنها !. ومن هذا الشىء الذى لم يألفه!

وفجأة حبس انفاسه فقد أحس بخطى خفية . .

واذا بها واقفة أمامه . .

وهمس باسمها « سلمى » ومد اليها يديه . .

ولم تقل هى شيئا . . بل ارتمت على صدره، وعندما احس ابراهيم بقلبها يدق فوق ضلوعه، غشيته للمرة الثانية رهبة وغمره خشوع . . وكأنما روحه قد تطهرت واقترب من عرشه سبحانه فى علاه . .

ثم طوق خصرها بيده ونظر اليها . . وفى عينيها . . وقد تنبه

الى انه يراها لاول مرة من غير بنطلونها الممزق ، فقد كانت ترتدى ثوبا من الكتان الابيض وقد شدت حزاما حول خصرها الدقيق . وحول عنقها عقد من المرجان . . وفى راسها شبكت وردة حمراء . .

وقال ابراهيم وهو يحنو عليها ويشم انفاسها . .

ـ ولكن هذا ثوب الآحاد والاعياد . . .

وقالت هى: نعم . . ياحبيبى فهذه ليلة عيدى . .

وضمها الى صدره وقبل شعرها

ووقف الزمن او خيل اليهما ان كل شىء قد سكن . .

ثم تلاقت الشفاه . . .

والسكون شامل الا من خرير الماء . . وانفاس الطيور . ورائحة الارض الطيبة وهى تجود بها وتنشرها فى ظلام الليل . .

واشعة القمر تدفع طريقها من خلال الاغصان المتشابكة كأنما تريد ان تشهد الكون على حب الربيع للربيع . . .

ومن اعماق قلبه ناجى ابراهيم ربه . . « لقد دنست نفسى فلم يارب منحتنى حب هذه العذراء ! »

واخيرا . . تنهد **وقال** :

ـ ليتك لم تحضرى . . .

وبدا الالم فى صوتها **وهى تقول** :

ـ ولكنك طلبت منى ان أقابلك هنا . . .

ـ الا ليتك لم تحضرى !

ـ ولكن لماذا . . لماذا . . اغاضب منى ؟

ـ هل تحبيننى يا سلمى ؟

ـ أحببتك لحظة ان رايتك . . ولا ابغى من الحياة شيئا سوى . . .

وسكتت وراحت شـفتاها تبحث عن شفتيه !

ثم تخلصت من بين ذراعيه **وقالت** :

ـ أريد ان اكون دائما معك .. وهذا كل ما ابغيه ..

ـ كل ما تبغينه.. ولا شيء سواه ؟

قالت ببساطة : لا شيء .. لاشيء سوى ان أكون دائما معك

واخذ ابراهيم وجهها الصغير بين راحتيه وقال بعد لحظة سكوت : اذن سآخذك معى الى مصر ..

وكم كانت دهشته ـ أو خوفه ورهبته ـ عندمارآها تجثو فجاة وتهوى على قدمه تقبلها ...

وصاح بهـا غاضبا : ماذا تفعلين ؟

ورفعت اليه راسها : انى احبك !

وكانما بدا لها ان فى هذا الجواب كل شيء !

وجلس ابراهيم الى جانبها يمسح شعر راسها بيده ..

اهذا هو الحب ؟ اهذه هى اليقظة ؟.. لقد ايقظ انوثتها النائمة .. واطلق ما فى اعماق نفسها.. وانهاالقوةطاغيةجارفة!

وقبل ابراهيم عينيها ...

ثم خلع عن معصم يده سلسلة منالبلاتين قد شبكت بين طرفيها لوحـة صغيرة من الذهب وناولها اياها **وهو يقول** :

ـ منذ سنوات كنت اخترت فتاة لتكونزوجتى.. وذات يوم وضعت فى اصبعها خاتم الخطبة وحول معصم يدها هذا السوار ، وهو مكتوب عليه « دائما معك » !

وتردد قليلا قبـل ان يستانف حديثه ويقول :

ـ ولما فسخت خطبتنا اعادتهمـا الي .. وانا اعطيك الآن هذا السوار لتحتفظى به دائما معك ذكرى للقائنا الليلة .. اول لقاء ، اما الخاتم فمتى عدنا الى مصر ..

وهنا امسكت بذراعه وصاحت :

ـ كلا .. كلا ..

واحس انها تنتفض وقد احاطها بذراعه وان الالفاظ تلهث فى فمها وهى تقول :

ـ كلا .. كلا .. لست اطمع فى ان اكون زوجتك .. كل ما ابغيه هو ان اكون دائما معك. دائما تحت قدميك..

وحنا عليها يمسح شعرها ويقبل جبينها وعينيها وفمها.. الى ان قال :

ـ واذا شاءت ارادة الله ان نكون زوجين ..

وصاحت مرة ثانية : كلا . . كلا .. هـذا مستحيل .. سوف يسخر منك ومنى اصدقاؤك وقد تندم على فعلتك ..

واطبق بيده على فمها .. ثم ضمها اليه وقبلها طويلا .. ولما افترقت شفاههما .. همس فى فمها :

ـ هل تفهمينى اذا قلت لك أنا ظمآن اليك وفمى بين شفتيك!.

واحاطته بذراعيها وهمست وفى صوتها نشوة وفى عينيها نداء:

ـ نعم افهم .. وان شئت خذنى فانا لك !

وسرت الرغبة فى دمه .. حارة جياشة متدفقة .. وكان جسـمه ينتفض كأنما مسته كهرباء ...

وطواها بين ذراعيه .. واحس بنهـديها الصـغيرين الى صدره .. ودار رأسه .. وكانت شـفتاها تقبـلان عنقه وخده ويديه .. وقد تهدل شعرها فوق وجهه وكتفيه ..

وفجأة افاق . . وامسك بكتفيها فى رفق وابعدها قليلا عنه وقال :

ـ اسمعى .. ان فى حياتى يا سلمى قاذورات كثيرة . ولكن قلبى لم يكن قذرا ونفسى ظلت نظيفـة طاهرة .. وانا

احبك . نعم احبك . هل تفهمين ؟

وقالت ... نعم ووجهها يتحسس صدره ..

ــ وانت غير من عرفت .. وخير من عرفت. هل تفهمين؟

ولما ابتسمت وقالت «نعم افهم» احس انه قهر الشيطان ..

وبعد لحظات سكون عميق **قال** :

ــ هل تستطيعين اللحاق بى فى بيروت ؟

قالت : نعم ..

وسألها : كيف ؟

قالت : فى كل يوم تمر بالطريق حيث قابلتنى سيارات ذاهبة الى بيروت ويمكننى ان استقل احداها ..

قال : اذن اصغى الي جيدا .. ساعود انا الى بيروت .. غدا الاربعاء .. ومن الأفضل أن لا تلحقى بى فى نفس اليوم حتى لايعرفوا انك لحقت بى ..

قالت : فهمت ..

قال : ولكنى سوف انتظرك يوم الخميس الساعة الرابعة بعد الظهر تحت «الساعة» فى ميدانها .. هل تعرفين هذا الميدان؟

قالت : كلا فانا لم اذهب الى بيروت سوى مرة واحدة وكان ذلك منذ سنوات .. ولكنى سوف اسال واجد طريقى.

قال : واذا ضللت طريقك فانا اقيم فى فندق نورماندى.. فهل وعيت كل هذه التفصيلات ؟

قالت : نعم ..

قال : حسنا .. وفى بيروت سوف اعد كل شىء لسفرك.. ولعلنا نستطيع السفر بالطائرة الى مصر فى يوم السبت ..

* * *

ولما عاد الى الفندق وجد سليمان قائما كأنما كان ينتظره.!

وحيـــاه ابراهيم .. **وقال سليمان :**

ـ هل كنت تتمشى على ضفة القناة ؟

وقال ابراهيم .. نعم

قال سليمان : ان الطريق مملوء بالزهور .. فهل دست احداها فى الظلام وسحقتها بقدمك ؟ !

وقال ابراهيم : كلا ..

وتنهد سليمان وقال : شكرا لله ! ؟

* * *

وفى الصباح اعد حقائبه . وودع صاحب الفنـــدق ونفح سليمان بعطاء طيب واستقل سيارة الى بيروت

ولما ابتعدت به السيارة عن الفندق وانحرفت الى اليسار واخذت تصعد مدارج الجبل التفت وراءه فرأى يدا تمتد من احـــدى نوافذ الطابق الأعلى بالفندق وتلوح له بمنديل !

هذه سلمى ..!

سلمى التى اختارها شريكة لحياته ؟ !

وكأنما هذه الحقيقة طالعته أو فاجأته لأول مرة !

وراح يستعيد مواقف الليلة الماضية .. قبلاتها وقبلاته . ووجهها بين راحتيه.. وصدرها الى صدره وجسمها الدافىء ملتصق به ..

ونداء عينيها .. «ان شئت خذنى فأنا لك » !

اكان هذا كله حلما أم كان سحر ساحر ؟ القمر والنجوم! والنسيم والغاب والغدير ونداء الطير لأليفه !. والعشب الندى ورائحة الارض الطيبة .. هل اجتمعت كلها وتآمرت عليه ؟

وهز رأسه بعنف ! كلا . انه يحبها !. يحبها وهو اعرف بنفسه .

ولكنه عاد يسأل ضميره أو لعل ضميره هو الذى كان يسأله .. «يحبها أم يشتهى صباها وقد اغراه منها هذا « الجديد » الذى لم يألفه من قبل ؟ »

ولكنها كانت بين يديه بل وتحت قدميه .. ولقد عف عنها او عفا !

اذن فليس هناك اشتهاء . . وانما هو الحب كما قال لها ؟

ولكن النفس فى نور الشمس وضوضاء النهار غيرها فى سكون الليل وضوء القمر !

وناجته نفسه .. أكان امتناعك عن حب .. ام كان عن يقظة ضمير ؟ لقد ادركت يا ابراهيم أن امامك عذراء ليست كمن عرفت من العذارى .. عذراء لم تغبرها ريح شمال ولا ريح جنوب . لقد اخذتك الرهبة من طهرها فخشعت .. وانت يا ابراهيم نظيف النفس طيب القلب ... ثم اخذك جلال حبها القوى الجارف فملأ نفسك خوفا عليها ورحمة بها .

هذه هى الحقيقة يا ابراهيم . فماذا انت فاعل !

وتململ فى مقعده بالسيارة وقال كأنما هو يخاطب شخصا آخر : ولكنى احبها .. احبها .. احبها واشتهيها !

تحبها وتشتهيها ! حسنا ماذا انت فاعل بحبك وبها ؟ !

* * *

واطرق يفكر ويشعل سيجارة تلو سيجارة ..

لقد وصل مع سلمى الى القاهرة .. ودخل بها على امه وشقيقاته

وامه تحبه .. وهى طيبة القلب ولن تقول شيئا وكذلك شقيقاته ..

وسوف يتظاهرن بالفرح لانه تزوج .. وان كن فى الحقيقة سوف يأسفن لانه لم يختر شريكة لحياته من طبقة تناسب مقامه

وسوف يبذلن جهدا فى ان يخفين عنه وعن سلمى حقيقة شعورهن .. ولكنه سيعرف !

وسوف يبذلن جهدا كذلك فى ان لا يتبسمن أو يضحكن من لهجتها .. ولهجة لبنان غير لهجة مصر

وسوف يحاولن جهدهن ان يلقنها اصول الحديث وقواعد المائدة وكيف تلبس وكيف تمشى بين الناس ! ثم هل هى تعرف القراءة والكتابة ؟ . لقد نسى ان يسألها !

ولكن سلمى .. سلمى هل تطيق هذه الحياة وتخضع لها ؟!

وهل فى مقدورها ان تتقن كل ما يفرضه عليها مقامها .. واذا خرج معها ذات يوم فى سهرة عند اسرة صديقة فهل هو واثق ان صدره لن يضيق أو ان حاجبيه لن يرتفعا اذا اساءت التصرف او خانتها حركة او عبارة ؟ !

لقد قالت له : «سوف يسخر منك ومنى اصدقاؤك . وقد تندم على فعلتك »

ورمى بسيجارته واشعل غيرها ..

وراح يفكر .. يفكر .. ويأخذ نفسه وعواطفه بالفحص والتحليل يتخذ لها مسكنا خاصا .. ويتخذها خليلة ؟ !

وراعه هذا الخاطر ! وخجل من نفسه ..

ولكن سلمى نفسها لم تطلب منه سوى أن يبقيها دائما الى جانبه . ولكن هل يجازيها هكذا على حبها وثقتها به ؟!

خليلة . . خليلة . . ومنذ الذى قال له ـ آه انها جاكلين ـ لقد قالت له ـ وكأنما قد مر على تلك السهرة شهور وشهور لا بضعة ايام ـ قالت ان الحب ليس له أجل وان الذى يقاس بالايام والشهور هو الرغبة ولهيبها . .

وهو يشتهى سلمى ! هـذه حقيقة ..

ولكن كم تدوم هذه الرغبة ؟ وكم يدوم لهيبها ؟
أياما وشهورا .. ولكنها سوف تنقضى على كل حال ..
وبعـدها .. ماذا هو فاعـل بسلمى ! ؟
هل يعيدها الى عمها فى نبـع الصفا ؟ !
هل يترك لها مسكنها الخاص ويمنحها قدرا من المال يضمن لها عيشا رغدا ؟ ..
وهل هى ترضى بهذا ! واذا هى رضـيت فهل قلبـه يطاوعه ان يتركها تعيش وحدها .. فى القاهرة وحولها ذئاب الليل .. وذئاب النهار ؟
وهز رأسه بعنف .. كلا .. لن يفعل ذلك والا كان نذلا تانف منه شياطين سقر !
اذن ماذا ! ؟
ووقفت به السيارة امام فندق نورماندى فى بيروت .. وبينمـا هو يسجل اسمه فى دفتر الفندق احس بيد على كتفه ..
والتفت فاذا بها جاكلين !
ـ هذا انت ايها الغريب . .متى عدت ؟
ـ الآن ...
ـ وأين كنت ؟
ـ فى الجنة !
ضحكت وقالت : وقد طردوك منها .. ؟
قال : بل طردت نفسى .. فانا وانت من اهل الجحيم !
قالت وقد شبكت ذراعها بذراعه :
ـ يعجبنى منك تواضعك ! . اتدرى اننى أشتقت لك ؟
قال وهو يشعل سيجارة : اهذه فضيلة جديدة كنت تخفينها ؟
قالت : كلا . بل اكتشفتها بعد اختفائك ... هل يسرك ان

اعترف بخطئي وان اقول لك اني نادمة ؟

وسكت ابراهيم ولم يجب !

وعادت هي تقول : سالقاك في القاهرة .. ولعلك تعود اليها قريبا ؟

وساءلتها عيناه فقالت : لقدجاءني عقد طيب في ملهى الاريزونا وانا سأسافر غدا بالطائرة .. هل تدعوني للعشاء معك الليلة ؟

وهز راسه وقال : كلا ...

وضحكت هي وقالت : لا بأس .. لعله الآن دوري .. انا أدعو .. وأنت ترفض .. الى اللقاء في القاهرة يامسيو ابراهيم !

* * *

وقضى ابراهيم ليلته في نوم قلق مضطرب .. ولقد راى سلمى في احلامه وهي واقفة تنتظر تحت « الساعة » ورآها بعد ان طال بها الانتظار وهي تسأل المارة عن طريقها الى فندق نورماندى ..

ــ ماذا ! سافر اليوم ؟

وافاق ابراهيم من نومه . . والعرق يبلل جبينه .. واقام بقية الليل ساهرا .. ولما طلع الفجر كان قد انتوى امرا ..

واعد حقائبه .. وغادر الفندق الى مكتب شركة الطيران ليحجز له مقعدا في طائرة اليوم الى القاهرة !

وهز موظف المكتب راسه وقال انه يأسف فليس هناك مقعد خال واحد .

ــ ولكن نستطيع أن نحجز لك في طائرة الغد ..

وقال ابراهيم : سوف أرى ..

ولكنه كان يعلم انه اذا بقي اليوم في بيروت فلن يمنعه شيء عن الذهاب للقاء سلمى ! ولن يرضى له حبه وقلبه أن يتركها تنتظر !

وغادر المكتب . ولكن القدر احكم الحلقة الثالثة من حلقات

قضائه المحتوم . فان ابراهيم لم يكد يخطو فى الشارع بضع خطوات حتى سمع موظف المكتب يناديه فعاد ...

وقال الموظف :

ـ من حسن حظك ان احد المسافرين اجل سفره اسبوعا وتخلى عن مقعده المحجوز

هذا وقد اخذ الموظف يعد تذكرة السفر لابراهيم !

وبعد دقائق غادر ابراهيم المكتب وبيده تذكر السفر بالطائرة !

تذكرة واحدة لمقعد واحد .. لا مقعدين كما كان يعتقد .. وظهره الى الصخرة القائمة فوق الغدير وسلمى بين ذراعيه وشفتاها فوق شفتيه !

* * *

وفى الطائرة التقى بجاكلين . وسرها جدا ان تراه فقد اعتقدت انه عجل بعودته الى القاهرة من اجلها !

وقبل ان يفترقا فى مطار الماظه **سألته :**

ـ هل تدعونى لتناول العشاء الليلة ؟

وهز راسه وقال : كلا ...

وذهب الى داره . واغلق عليه باب حجرته . وارتمى على فراشه وقد اخفى وجهه فى الوسائد وكان جسمه ينتفض كالمحموم .

* * *

الساعة الرابعة ... وهى الآن واقفة تحت الساعة تنتظره ! تنتظر حبيبها .. حبيبها الذى سافر ولن يعود !

الخامسة .. والسادسة . . وطال بها الانتظار فسارت تسال طريقها الى فندق نورماندى !

ونهض ابراهيم من الفراش يتمشى فى غرفته .. آه لوطاوعته

الدموع !!

ـ ليتنى ما فعلت .. ليتنى ما جئت .. ليتنى ما هربت .. بل ليتنى كنت طاوعت الشيطان!

وجلس فى مقعد كبير يدق يدا بيد !

الساعة السابعة . . الثامنة . .

وغادر ابراهيم داره كالمجنون .. يمشي على غير هدى !

اين هى الآن!؟ اين سلمى ؟! وماذا صنعت بعد أن دهمها الظلام وهى وحدها غريبة وحيدة فى بيروت ! .. بيروت التى لم تزرها سوى مرة واحدة ولا تعرف احدا فيها !

وتخيلها تسير على غير هدى فى شوارع المدينة وفى يدها صرة جمعت فيها ثيابها القليلة تتفرس فى وجوه المارة ... تبحث عن وجه ابراهيم لعله لم يسافر ! لعلهم كذبوا عليها فى فندق نورماندى ! ..

وسمعها تسأل المارة .. هل منكم من راى حبيبى ! هل فيكم من يدلنى على ابراهيم ...... وأين هو ! . وتخيلها وقد نال منها التعب وكلت قدماها من السير .. وتهدل شعرها الاسود فوق كتفيها .. وتراخت ذراعها .. وشاع الخوف فى عينيها السمراوين اللتين بللهما قطر الندى ! . عينيها اللتين لم تعرفا الخوف .. قد دب فيهما الآن خوف المجهول . ما ذا تفعل فى بيروت ! . واين تذهب ؟ . . .وأين هى من نبع الصفا؟! واين ابراهيم ! ؟..

* * *

ورأى المارة رجلا يضرب صدره بيديه . . وينطلق عدوا فى الشارع .. وكان ابراهيم ! !!

ثم وقف .. اين يمضى ليلته؟! انه يرهب الوحدة ويرهب

الظلام ويخاف أن يخلو بضميره وبذكرى الليلة الماضية !
ووقف لحظة أمام آلة التليفون فى أحد المتاجر وادار القرص ورد عليه صوت جاكلين !

* * *

وكان يجب أن تنتهى هنا هذه القصة ولكنها ليست قصة .. بل هى قصة وتاريخ .. وللتاريخ دائما ذيول ..
سافر ابراهيم بعد حوادثنا هذه بنحو عامين مع نفر من اصدقائه على ظهر يخت يملكه احدهم فى رحلة قصيرة حول شواطىء البحر الابيض .
وذات مساء القى اليخت مراسيه أمام بيروت .
وقررت الجماعة أن تمضى السهرة فى أحد ملاهى المدينة ..
وبينما ابراهيم يشق طريقه بين موائد الملهى ناداه صوت ... « ابراهيم بك » !..
والتفت فاذا بالمنادى .. سليمان ! ومد يده يصافح سليمان بحرارة .. ثم انتحى به جانبا وجلس الاثنان معا الى احدى الموائد .
واحس ابراهيم أن فى صدره اكثر من سؤال . . ولكن كيف السبيل ! ..
واخيرا قال : وماالذى جاء بك الى بيروت ؟.
وقال سليمان :جئت ابتاع مؤونة الصيف للفندق .. لقد شيدنا جناحا جديدا ونحن اليوم نلقى اقبالا كثيرا .
ـ وكيف حال فارس ؟
ـ انه بخير ..
وبعد تردد قصير :
ـ وسلمى كيف حالها ؟

وقال سليمان بصوت هادىء:
ــ ارجو أن تكون بخير ..
ــ ترجو ؟ كأنك لاتعرف ..؟
ــ لقد نذرت سلمى نفسها لله
وامسك ابراهيم بذراعه واقبل عليه يهزه ..
ــ نذرت نفسها .. كيف .. تكلم ..
ــ ترهبت .. ودخلت الدير !
واطرق ابراهيم براسه وساد الصمت الى أن استأنف سليمان حديثه فقال :
ــ لقد عادت من بيروت ــ وانت تعرف متى وكيف ــ محطمة القلب ! .
لقد كنت ياابراهيم أول حب لها .. وكنت آخر حب .. والله وحده هو القاضي وهو الذي يحكم لك او عليك ، اما انا . . (وهز سليمان راسه) فلست والله أعرف هل انت احسنت او اسات ..
وسكت قليلا ثم قال :
ــ ولقد قصت على كل شيء .. وراسها فوق صدرى وعبراتها تبلل لحيتي .. ولقد غالبت حبها وداءها نحو شهرين .. ولعلها كانت ترجو أنك ستعود اليها .. ولكنك لم تعد بل ولم تكتب اليها .. واخيرا قررت أن تنذر نفسها لله . ولقد عارض عمها فى بادىء الامر ولكنه خضع فى النهاية امام اصرارها وانا الذى رافقتها الى باب الدير .. (وسكت قليلا قبل أن يقول) هل تريد أن تسمع بقية الحديث؟
واومأ ابراهيم براسه ان نعم !
وقال سليمان : لقد كان صباحا نديا مشرقا من ايام

الخـــريف . وغادرت سلمى الفندق وقد ارتدت اجمـــل ثيابهـــا .. وعندها ثوبان اثنان ـ وكان الثوب الذى اختارته من الكتان الابيض وقدشدت حزاماحول خصرها . ووضعت حول عنقها عقدا من المرجان وشبكت في شعر راسها وردة حمراء . .

واخفى ابراهيـم وجهه بين يديه ! ..

واستمر سليمـان فى حديثه وقال :

ـ ولااكتمك اننى دهشت عندما رايت ثوبهـا وزينتها هـذه ! لكأنها كانت ذاهبـة الى حفلة اوعيد ! .. ولم تقل هى شيئاحتى انفتح باب الدير الكبـير . وقدوقفت الراهبات فى ساحة الدير ليستقبلن اختهن القـادمة . . هـذه العذراء التى لم يمسـها سوء . . وقبل ان تخطو سلمى الخطـوة الاخيرة التى سـوف تحجبهـا الى الابد عن مباهج الدنياوالشباب التفت الى وقالت:

« اكتب الى ابراهيم وقل له انى ذهبت الـى بيت الله بنفس الثوب والزينة اللذين ذهبت بهما اليـه فى أول لقاء » ثم أخرجت من جيبها شيئـا .. وقالت :« وارسل هـذه اليه وقل له ان سلمى تغفر لك وتبارك لك ولمن تمنحها هذه ولتكن السعادة من نصيبك ونصيب من تختار» .. هذه كلماتهـا حرفا بحرف .. فلكم أعدتها على نفسي ولكم بكيت!

ومسح سليمان دمعة انحدرت على خده واخرج من جيبه الداخلى محفظة .. واخرج منها ورقة مطوية .. ناولها لابراهيم وهو يقول :

ـ ولكنك لم تترك عنوانك .. ثم اقول لك الحق اننى أشفقت اذا ما ارســلتها اليك وعلمت بوصيـة سلمى وكتبت اليك ان اهيج فى صـــدرك نارا لعل من رحمة الله ان تخبو وان تنطفىء .. ولهـذا ابقيتها الى حين .. ثم أنا كنت دائما أعتقـد أنه لابد

ان يجيء يوم القاك فيه ..

وفتح ابراهيم الورقة المطوية فوجد فيها السوار الذى كتب عليه ... «دائما معك» !..

قصة.. القصة والمؤلف

الإهـــداء

الى رائد القصـة المصرية
صديقى توفيـق الحكيم
م. ت.

تناول الكاتب القصصي المشهور قلمه وسكت لحظة وهو يقلب سيجارته بين اصابعه ، ثم بدا يكتب قصة قصيرة لمجلة اسبوعية واسعة الانتشار ..

الساعة الآن العاشرة مساء . ومطلوب منه أن يرسل قصته الى ادارة المجلة فى الصباح لكى تنشر فى العدد الذى سيصدر فى اليوم التالى .

امامه اذن ساعتان فقط أو نحو ذلك لكتابة القصة قبل ان يأوى الى فراشه . ولكنه مشهود له بسعة الخيال . ثم هو قديم العهد بفن الكتابة وفن القصة . .

وبدا قلمه يجرى على الورق الابيض بسهولة وثقة ..

* * *

(ــ) سيداتى وسادتى ! سمعنا الآن قصيدة نهج البردة من شعر أمير الشعراء أحمد شوقى بك ، وموسيقى رياض السنباطى وغناء درة الفن الآنسة أم كلثوم . وبهذا انتهى برنامجنا هذه الليلة ..

والقى المذيع تحية المساء . وعزفت موسيقى محطة الاذاعة النشيد الوطنى ..

واستدارت روحية هانم فى فراشها ومدت يدها واقفلت جهاز « الراديو » . . ثم القت نظرة على الساعة الصغيرة القائمة على مائدة الليل المجاورة لفراشها . . وكانت الساعة الواحدة صباحا

وهزت روحية كتفيها . . وتناولت قصة فرنسية كانت تقرأ فيها قبل ان تبدأ المحطة فى اذاعة قصيدة نهج البردة . . ولكنها لم تلبث ان تركت القصة تقع من يدها ..

لقد حاولت ان تقرأ ولكن افكارها شردت ..

وشاعت عيناها فى اركان غرفة نومها كأنها تبحث عن شىء ما ..

ثم هزت راسها بعنف كأنهاتريدان تطرد من راسها خاطرا ما !

واراحت روحية راسها علىالوســـادة ومدت ساقيها .. وصعدت تنهيدة عميقة .

وقالت لها المرآة الكبيرة التى تواجهالفراش.. انهالاتزالشابة وانها جميلة ..

وهمست انوثتها الناضجة..ان حرام ان تمضىلياليهـا بدون اليف .. وفى انتظار زوج لابعودالا مع الفجر ..

ودمدم دمهـا الحار المتدفق فى عروقها آلى متى الصبر . . وكيف الخلاص !؟

وصعدت روحيـــة تنهيدةاعمق من الاولى . وضمت اليها احدى ســاقيها ثم نفضتها ..ودفعت بهـــا غطاء الفرش الحريرى بغضب وضيق صدر.

وتكشفت ساقاها الجميلتانمن تحت قميص النوم الرقيق الوردى اللون ...

انها الآن فى الثلاثين منعمرهاوالايام تمضى والشبــاب لم يدم لأحد .. ولن يدوم لها !

ونهضت روحية من فراشهاوراحت تمشى فىغرفة نومها .

ووقفت لحظة أمام المرآة . .ثم مشت الى النـافذة تطل منها على الحديقـــة النائمة فى ضوءالقمر ! ..

وفى الحديقة نامالزهرواطبقتجفون الورد ونعسالياسمين .. وكان الجــو صيفا ونسيم الليل يمشى على مهــــل مثقلا بأنفاس حارة من ارج وعطر

وتنــــاولت روحية منديلهاالصغـــيرالمزركش ومسحت به دمعة ساخنـــة كبيرة سالت علىخدها ..

كتبت يارب خيبة الامل مننصيبها فلماذا ؟ اسعدت نساء

واشقيتها فلماذا ؟

لقــــد تزوجت وهى فى الثامنـــة عشرة من عمرها وكان زواجها هذا زواج غرام . وكان ابراهيم زوجها الاول شابا طبيبا كان يحبها وكانت تحبه . . ولكنه اجرى عملية اجهاض لفتاة لينقذ شرفهـــا وشرف صديق له . . وماتت الفتاة بين يديه . . وكانت الفضيحـــة والمحاكمة . . وادانه القضـــاء . . وقضى فى السجن عاما وبعض عـــام . . وشطب اسمه من سجل الاطباء .

وتدخلت اسرتهـــا الـكبيرة وارغمـــوا الفتى على الطلاق . . وعادت روحية الى دار ابيها التى كانت قد تركتها الى دار العرس منذ عام او اقل !

بضعة شهور فقط كانت كل نصيبها من الحب والهناء . .

ثم زوجتها الاسرة من زوجهـــا الثانى وهو كهل يكبرها فى السن بنحو عشرين عاما . . ولقد قيل لها انه من اصحاب الثروة الطائلة ثم هو طيب القلب هادىء الطبع خبير بالحياة . .

وقبلت روحيـــــة لانها كانت كســـــيرة الخاطر دامية القلب مجروحة الكبـــرياء . ولقد كانت ترجو أن تؤسس مع زوجها الكهل بيت زوجيــــــة هادئا هانئا قد تنقصـــه حرارة الحب . ولكن لن تنقصه الابتسامة الراضية !

ولكن . . اذا كان الزواج الاول قد خيب آمالها . . فقد خيب آمالها كذلك زواجها الثانى . .

لقـــــــــد قرأت روحية فى قصـــة فرنسية انه يطيب للمرء أحيانا ان يستعيد معالم المـــاضى واثرهـــا فى نفسه وفى حياته . . وهاهى ذى تعود الآن بذاكرتها الى اول ليلة دخل عليها زوجها هذا . . زوجها الثانى . .

دخل عليها وهو يقدم رجـــلا ويؤخر اخرى . . مترددا فى خطاه

. . . كأنه يحس هول الفرق بين سنه وسنها . . لقد كان فى الاربعين من عمره . . وكانت هى لم تبلغ بعد سن العشرين . . ومع ذلك فان روحية تعرف صديقات لها تزوجن فى مثل سنها ومن رجال فى سن الاربعين وما فوقها . . وهن سعيدات فى زواجهن . بل تعرف صديقة بالذات كانت فى السادسة عشرة من عمرها يوم أحبت رجلا فى الثامنة والأربعين ! . . لابد ان يكون سر الامر مع الرجل نفسه او فى الرجل ذاته والا فلماذا ينجح رجال و يفشل آخرون ؟. ولماذا يسعد رجال زوجاتهم . . وزوجات لايلقين مع ازواجهن سوى المرارة وخيبة الامل ؟ . . هناك رجال يبدون فى السن التى يشاءون . ورجال يبدون اكبر سنا مما هم فى الحقيقة !

وهناك أزواج يحرصون على ان لاتزيد سنهم على السن التى تريد المراة ــ زوجتهم ــ ان تكون لهم . . وان يقفوا عندها لايتزحزحون !..

وهناك أزواج لايتركون فرصة الا انتهزوها ليذكروا نساءهم بالفرق الكبير بين سنهم وسنهن! وما أثقل حديث السن والكهولة والشيخوخة على سمع الزوجة الشابة ! . .

حذار ان تحدث المراة عن سنك . او عن الفرق الكبير بين سنها وسنك ! . .

هذه عبارة قراتها روحية فى قصة فرنسية . . أو المانية لاتذكر ! . .

ولكن زوجها محمود ــ محمود بك عبد العال ــ دخل عليها أول ليلة . . لا كزوج يتهيب قدسية المحراب الذى يدخله لاول مرة . . ولا كعاشق اقبل يركع بين يدى حبيبته . . لا هذا ولا ذاك بل دخل عليها وكانه اب او وصى جاء يواسى فتاة فى ليلة حزنها ! .

دخل ليلتها وجلس الى جانبها.. ثم مد يدا مرتجفة وامسك بيدها . وحاول ان يتكلم فلم يطاوعه لسانه ! .. نظراته كانت تقول لها : كيف يطمع قر الشتاء فى دفء الربيع ؟! ..مع انه كان لايزال فى الاربعين من عمره .. وكانت هى يوم قبلت الزواج منه كسيرة الخاطر ..وكانت مستعدة .. بل كانت ترضى ان يحاول تضميد جراحها..جرح قلبها وجرح كبريائها.. وان يكسب حبها .. ما كان احوجها ليلتها الى ذراع قوية تسندها الى صدر حنون تريح راسها عليه ! الى فم يهمس فى اذنها .. بالحب والامل والرجاء ! .. ولكنه لم يفعل ولم يحاول ! كل ماتذكره الآن انه قضى معها فى تلك الليلة بضع دقائق .. وانها كانت تبكى ..وانه حاول مرتين ان يقول شيئا ثم امسك ..ثم خرج واغلق وراءه الباب..باب المحراب!!.ومر نحو اسبوع قبل ان يزورها للمرة الثانية فى حجرة نومها . ولقد شمت رائحة الخمر عندما اقبل عليها ! . لقد اراد المسكين أن يستمد من الكاس شيئا من الشجاعة التى لم يكن يحسها ! .. كان يتهيب الموقف !.. كان خجلا من ان يقول لها ـ لزوجته ـ احبك !.. دخل ..وجلس ..وامسك بيدها وقبلها وسكت .. ثم راته يبكى ! .. ولما سألته عن سبب بكائه نهض واقفا وهو لايزال ممسكا بيدها ..ثم ترك يدها تقع من يده .. وغادر الغرفة .. غرفة نومها . .وادركت روحية فى تلك الساعة ـ كان ذلك منذ عشر سنوات اولعلها احدى عشرة ـ ادركت ان زوجها يحبها ولكنه يتهيب ان يصارحها بحبه . ويتهيب ان يطالبها بحقوقه !..بحقوقه كرجل وكزوج ! آه لو انه عرف .. آه لوانه عرف انها ـ روحية ـ كانت فى تلك الايام اشد ماتكون حاجة لرجل ! ..رجل ! .. رجل !..يعرف كيف يهزها هزا حتى

يقلب ما في اعماق نفسها . . رجل يؤنسها ويعرف كيف ينسيها ويواسيها ! . . اذن لاستطاع – ربما بل واكثر من ربما – ان يكسب حبها على مر الزمن . . او على الاقل عطفها . . او على الارجح ما هو اقل من الحب بقليل واكثر من العطف بكثير !. .
ولكن زوجها محمود بك – هكذا تعلمت بعدها كيف تناديه ! وكان هو يناديها روحية هانم ! – ولكن زوجها لم يحاول او لعله لم يعرف كيف يحاول ! . . لقد عرفت روحية ان محمود بك احس منذ الليلة الاولى انها لا تحبه . . بل وقد يجفل شبابها من كهولته . . وان كبرياءه غلبت حبه . . نعم لانه يحبها . . وهداياه التى امطرها بها فى الشهور الاولى . . شاهد على ذلك . . ثم شعوره بانه يكبرها فى السن . .

وهذا هو كبرياء المحب ومركب النقص فى الزوج الكهل . . كلاهما أخرس لسانه واقفل فمه وانتهى الامر ! واصبحا (زوجين) بالاسم ثم انقطعت زياراته لها فى غرفة النوم . . واصبح يقضى سهراته خارج الدار ! . .

وتذكرت روحية كيف دخلت عليه ذات يوم فى حجرة مكتبه – وكان قد انقضى عامان على زواجهما لتستأذن منه فى الذهاب مع صديقة لها الى حفلة بدار الاوبرا الملكية . . وانه قال لها دون ان يرفع راسه عن الكتاب الذى كان يقرأ فيه : (تستطيعين دائما ان تذهبى حيث تشاءين دون حاجة الى استئذانى !)

وكانما خشى ان تفسر روحية هذا بعدم الاكتراث لها لانه رفع راسه ونظر اليها طويلا ثم اضاف :

– ارجوك الا تسيئى فهم كلامى اننى اقصد ان لى بك ثقة غير محدودة ! . .

وكانت هذه أول مرة استطاع فيها محمود بك ان يقترب حقيقة

من قلبهـــا ! . . ولو كان نهض لحظتها واخذها بين ذراعيه وقبلها على فمها لمـا كانت . .

اوه للثقة !.. الاحترام المتبادل! .. نعم هذا كل شيء بينها وبين زوجها ! ولقد اخذت نفسها على ان تكون أمينـــة على ثقته .. وعلى اسمه وعرضه ! ..

ولكن ! ثم ماذا ؟ .. ماذا . . ماذا بعدها ! ..

الثقة والاحترام وطيبة القلب .. وثروته الطائلة !..

ثروته ؟.. عمـرها ما اقامت لهذه الثروة وزنا أو قيمة .. ثم هى قد ورثت عن ابيها الذى توفى منذ ست سنوات ثروته الطائلة..

طيبة قلبـه واحترامه وثقته فيها ! وماذا تغنـى طيبة القلب والثقة ؟.. هل تستطيع روحية ان تجـد فيهما عزاء ؟ هل تجد فيهمـــا حرارة الاليف وسلوى الرفيق ؟ هل تجد فيهما مؤنسا لوحدتها فى الليل الطويل ؟

انها حقيقة لاتحبه .. لانه لم يحـاول ان يكسب حبها ..

. . . .

. . . .

وهنا سمع المؤلف صوتا يناديه .. اسـتاذ !..
كلمة واحدة من فضلك يا استاذ !

وتوقف القلم عن الكتابة ورفـع المـؤلف القصصى المشهور راسه وقال : نعم ...

روحيه : تسمح لى بسؤال ؟

المؤلف : تفضلى ..

روحيـه : لقد هممت أن اعترض عليـك منـذ السطور الاولى فى قصتك ولكنى آثرت الانتظار حتى اتبين حقيقـة موقفى وعواطفى حيـال زوجى . وانا

ارى الآن انك تضعنى فى موقف خطأ

المؤلف : كيف ؟ واين الخطأ ؟

روحيه : ان قصة الزوجة المهملة حديث او بحث قديم . واعراضها معروفة . وسواء اسميتها روحيه او اسماها كتاب القصة الفرنسية والانجليزية والالمانية والروسية سوزان وماري وانجريد وصوفيا . . . فان هذه الاعراض معروفة ومتفق عليها ومن بينها الغيرة والخيانة اى مقابلة الاهمال بالاهمال أو ماهو شرمنه.

المؤلف : مهلا . . مهلا . .

روحيه : مهلا ازاى ! انني اريد ان تجعلنى منطقية مع نفسي ومع الواقع . . انك تزوجنى من رجل كهل يكبرنى فى السن بنحو عشرين عاما. وتجعلنى لا احبه ويمضى على زواجنا عشر سنوات . . ثم تجعلنى مع ذلك اسهر الليل فى انتظار عودته مع الفجر ؟ ! لماذا انتظره يا استاذ ؟ . . كان يقبل هذا منك لو اننا كنا فى الشهر الاول أو الشهور الاولى من الزواج وكان ممكنا تفسير هذا بالكبرياء المجروحة ! . . بالفضول ! . بالرغبة فى مناقشة الزوج الحساب لعله يصلح من امره . . ولكن اما وليس هناك حب ولاشبه حب ! ولا غيرة ولا فضول ولا أمل فى الاصلاح بعد مرور عشر سنوات على الزواج . . فلماذا انتظر زوجى ؟ . وعلى فكرة ! لم تقل اين يقضى زوجى سهراته كل ليلة ؟ .

المؤلف : يلعب الميسر فى ناديه ! ولقد نسيت ان اذكر هذا . . ولكنى كنت ولا شك ساتدارك هذا الخطأ عند تصحيح «بروفة» القصة !

روحيه : عظيم . زوجى يلعب القمار كل ليلة وانا اعرف ذلك فلماذا انتظره اذن ؟

المؤلف : لو لم تقاطعينى لعرفت السبب !.. لان لصا سوف يدخل من نافذة غرفتك. ويجب ان يجدك اللص مستيقظة ..

روحيه : يجدنى مستيقظة .. ومع ذلك يدخل ؟.

المؤلف : انه لا يعرف انك مستيقظة الا بعد ان يتسلق الجدار ويطل من النافذة ..

روحيه : ولكن الغرفة مضاءة يا استاذ .. لانك جعلتنى بعد انتهاء الاذاعة اتناول قصة فرنسية واقرا فيها .. والمرء لا يقرأ فى الظلام .. فكيف يقدم اللص على تسلق جدار لكى يدخل من نافذة غرفة يشع منها النور ؟

وسكت المؤلف لحظة ثم قال ..

المؤلف : عندك حق فى حكاية النور . ويحسن بى ان اجعلك تطفئين النور ثم تشعرين بحدوث حركة أو صوت فتمدين يديك وتضغطين على زر المصباح الكهربائى الموجود بجانب الفراش ..

روحيه : من غير ان اخاف ؟.. اظن يا استاذ انه ليس فى وسع كل سيدة مصرية ان تكون عندها هذه الشجاعة .. وانا شخصيا كسيدة مصرية تحترم الواقع والتقاليد كنت الزم الصمت واتظاهر بالنوم العميق واترك اللص يأخذ من غرفتى مايشاء.. وبعد خروجه من النافذة أجرى وارقع بالصوت واصيح : حرامى . حرامى ..

المؤلف : بأه اسمعى . اذا كان فى نيتك ان تقيمى اعتراضا على كل تفصيل مهما تفه .. فالافضل ان لا اكتب القصة ..

وقد قال هذه العبارة الاخيرة بشىء من ضيق الصدر والغضب !

روحيه : معذرة . ولكنى حريصة على سمعتك كمؤلف قصصى مشهور .. حقيقة ان هناك مؤلفين وقصصيين كثيرين لايقيمون وزناكبيرا لهذهالتفصيلات ولايعنون باحكام بناء القصة ولكن انت ! انت ..

المؤلف : متشكر !.. والآن هلاستطيع استئناف الكتابة ؟

روحية : ولكنك لمتجبنى فىالحقيقة عنسؤالى .. لماذا انا انتظر زوجى الذى لا احبه والذى تزوجته منذ عشر سنوات !

المؤلف : قلت لك ان اللص ...

روحية : هذا السببغير مقنع . وهل انا كنتاعرف ان لصا سوف يشرفنى بزيارته حتى اسهرفىانتظاره ؟ وانا اريد ان اعرف لماذا ابقيتنى ساهرة ؟ .. اننى كما قلت حريصة على سمعتك كمؤلف مشهور ...

المؤلف : ربما الذكرياتالماضية غلبت عليك هذه الليلة فابقتك ساهرة .

روحية : اية ذكريات ؟..

المؤلف : زوجك الاول مثلا

روحية : هل انا مازلتاحبه واذكر ايامه السعيدة الماضية ؟ لماذا لم تقل هذا اول الامر ؟

وهنــا نفد صبر المؤلف وضرب مكتبه بقبضــة يده

المؤلف : وهل يجب على ان اقول كل شىء فى مستهل قصتى ؟ لم لم تتركى لى وقتا للتفكير ؟ انا نفسى لم اكن اعرف انك لاتزالين تذكرين زوجك الاول وتحبينــه او تحنين الى ايامك معه ! .. وهذه الفكرة خطرت لى الآن فقط ...

روحية : والفضل لى !

المؤلف : ... وانا شخصيا كثيرا ما اتناول القــلم لاكتب قصة دون ان تكون فى راسى فكرة محددة ولكنى اترك لخيالى العنان ... وللحوادث نفسها ان يسوق بعضها بعضا ...

روحية : سؤال آخر .. واعدك بانه آخر سؤال .. لقد جعلتنى اصغى لقصيدة نهج البردة ... وكان فى امكانى ان اعترض على هذا الاختيار لسبب بسيط وهو ان السيدات اللاتى يقران قصصا فرنسية فى فراش النوم لسن دائما من المولعات بسماع القصائد الدينية مثل نهج البردة .. ولكنى اعترض لسبب آخر ... وهو ان هذه القصيدة لم تذع لاول مرة الا فى اواخر اكتوبر الماضى بمناسبة عيد الهجرة ... اى راس الســـنة الهجرية ...

المــؤلف : واى باس فى هــذا ؟

روحيــة : ولـكننا الآن فى الصيف ! الم تقل اننى وقفت امام النافذة وكان الجو صيفا والنسيم مش عارف ايه يمشى على مهل ! .. فاى صيف تقصد ؟ .. لابد ان يكون صيف ١٩٤٨ ؟ مع ان قصتــك هذه سوف تنشر

هذا الاسبوع .. ونحن مانزال فى عام ١٩٤٧
وهنا رمى المؤلف بقلمه ... ونهض واقفا ...

المؤلف : اللهم طولك ياروح ! يعنى اشمعنى التدقيق ده كله معايا انا .. فى كل يوم نجد قصصا سخيفة تنشرها الصحف والمجلات .. قصصا ضعيفة البناء والتركيب ... مملوءة بالاخطاء الفنية ومضطربة المعنى ... قصصا لا مغزى لها ولا نهاية مفهومة .. ومع ذلك تقرا باعجاب ويزجى الحمد والثناء لكاتبيها .. واما انا فيجب ان احاسب الحساب العسير على كل حركة وكل لفظ وكل ...

روحية : لانك مشهور . . . ومشهود لك بانك استاذ فى فن القصة وحرام ان تقع فى مثل هذه الاخطاء .. ثم لم افهم حتى الآن سبب عبارات : نام الزهر واطبقت جفون الورد .. وانفاس حارة من اريج وعطر ..

المؤلف : لان معظم قراء القصص من الطلبة . ولقد اوصانى رئيس التحرير بالاكثار من هذه العبارات الساخنة لان الطلبة يقتبسون منها فى رسائل الغرام التى يكتبونها ـ ثم كأنه تذكر شيئا كاد يفوته ـ ثم لا تنسى انك فى هذه الليلة تهتاجك الذكرى ... ذكرى حبك وزواجك الاول ... وانك اليوم فى الثلاثين من عمرك اى مازلت شابة .. فليس عجبا اذن ان تذكرى زوجك الاول .. الرجل الذى كان اول وآخر حب لك وخصوصا فى مثل هذه الليلة من ليالى الصيف .. وعبيق الزهور يحمله النسيم الى غرفتك ...

روحية : اما زلت مصرا برغم اعتراضى على ان تجعل

هذه الليلة من ليالي الصيف .. مع انها يجب أن تكون من ليالى الخريف او الشتاء هذا اذا كنت متمسكا بقصيدة نهج البردة !

المؤلف : سوف اعيد النظر فى هذه النقطة عند تصحيح البروفة ومع ذلك فقد كان لشكسبير نفسه سقطات تاريخية واخطاء جغرافية وكان نقاد الادب وعلماء البيان يسمونها « اناكرونيزم » .. ولم يجدوا فيها ما ينتقص من قيمة قصصه . . .

روحية : ولكنه شكسبير يا أستاذ !

المؤلف : ولم لا اكون مثل شكسبير ؟! . . .

روحية : طبعا !

المؤلف : هل تسخرين ؟

روحية : العفو !

المؤلف : والآن هل استطيع ان استأنف كتابة قصتى بسلام ؟ .. اننى أريد ان انتهى منها هذه الليلة . . .

روحية : تفضل .

واستأنف المؤلف الكتابة بعد ان القى نظرة على السطور الاخيرة من قصته . . .

* * *

عشر سنوات انقضت على زواجها الثانى ! . . كانت يومها فى العشرين . . وهى اليوم فى الثلاثين .. هذه السنوات العشر هى خيرما فى العمر ! هى اطيب سنى الشباب وقد ضاعت . . راحت مع الوحدة . مع الذكرى . وفى انتظار ماذا ؟ . .

وانكفأت روحية على فراشها ودفنت وجهها فى الوسادة . . كانها تخشى ان يمزق شهيقها الجاف سكون الليل !

لماذا طلقوها من ابراهيم ؟ ولماذا فرقوا بينهـا وبين الرجـل الوحيـد الذي احبتـه والذي اسـتطاع ان يملأ فراغ قلبهـا ! لماذا ؟ . . لماذا ؟ لماذا ؟ . .

وانضمت اصابع يديهـا على غطاء الوسادة بقسوة وعنف . .

آه لو استطاعت ان تعود بالتاريخ القهقرى . . آه لو استطاعت ان ترد الزمن وان تعود الى يوم ارغموها على طلب الطـلاق . . اذن لعرفت كيف تقول لهم ماكان يجب ان تقوله يومئذ . . انهـا اليوم فى سن الثلاثين وهى تعرف . . نعم تعرف ما ذا تقول ! تقول لهم : وما الذى انبأكم انى اريدالطـلاق ! . . انى اريد فـراق زوجى الذى احبـه ! . . لانه ارتكب عملا يخالف القانون ؟ ومن الذى لم يرتكب فى حياته عمـلا يخالف القـانون . . بل ما هو الشرف ومن هو الشريف ؟ . . الشرف هو كل صفة لا يتناولها القانون بالحظر والتحريم . . وكم فى القانون من ثغرات وثقوب ! . والشريف هو الذى لم يقع بعـد تحت طائلة القانون ! . . وكم من الوف يمشون بيننا احرارا اشرافا . . لان يد القانون لم تنلهم . . نعـم . . كم من شريف مدين بشرفه لعجز القانون !

من الذى انبأكم ان المراة تنسى حبها واخلاصـها لأن رجلها لم يخلص للقانون ؟ . . ما للحب والقـانون واحترام القانون ؟ . . وما للقلب وصفحة السوابق !. . فليكن مجرما فى نظر الناس وذمة القانون . . ولكنـه يحبنى وانا احبـه . . وهـذا كل ما اطلب وسواء لدى بعدها مايقول فيه الناس والقانون . . نعم ليت الزمن يرتد عشر سنوات او احدى عشرة . . اذن لعرفت كيف تناضل عن حبها وحبيبها . واذن لرضيت بالصبر وانتظـار زوجها ابراهيم حتى يخرج من السجن ! . . ليت . . ليت . .

واقبلت سيارة فى الطريق العام . . هل هذا زوجها يعود من

سهرته ؟ . . انه يبكر على غيرعادته .. واسرعت روحية تمسح عبراتها .. انها لا تريد ان يراهازوجها فى هذه الحال .. ثم مدت يدها واطفات المصباح الكهربائى .. وتناولت غطاء الفراش والقته فوق جسمها وتمددت وارختاعصابها او حاولت ذلك .. انها تريد ـ ان دخل عليها زوجها ـان يحسبها نائمة . هـذا وهى ترجو ان لا يدخل .. لانها كانتفى حالة تخشى معهـا ان يفتضح امرها . صحيح لم يكن من عادتهان يزورها عند عودته فى غرفتها بل انيذهب مباشرة الىجناحهالخاص .. ولكن من يدرى !

واحست روحية بحركة . .نعم . حركة او صوت ما . هل هـذه الحركة عند باب الغرفة ؟هل هو زوجها ؟ كلا . مصـدر الحركة اومكانها ليس باب الغرفة .. واجالت روحية عينيهـا فى ارجـاء غرفتها التى يسـودهاالظلام .. وفجاة تبينت عيناها شيئا ما يكبر ويرتفع عند النافذة .. ها هو ذا قـد استوى مع النافذة . . .

واطبقت روحية فمها حتى لا تصيح .

ورفع الشبح سـاقه ومدهاداخل الغـرفة . . ثماسـتوى واقفا ! وادار مصـباحا كهربائياصغيرا بيده (بطارية) فى ارجاء الغرفة الى ان استقر نورالمصباح فوق الفراش

وهنا افلتت اعصاب روحية . . فصرخت ومدت يدها بسرعة وانارت المصباح الكهربائى واستوت جالسة فى فراشها ..

وخيل لروحية ان الرجل الواقف امامها افلتت منه صيحة .. وانه تقـدم نحوها خطوة . ثمثبت فى موقفه يحـدق فيها ولا يقول شيئا ! ..

وكان الرجل ملثما ولا يبين منوجهه سوى العينين ..

ومرت لحظة ولحظتان وكلاهمايحدق فىصاحبه .. واخيراتكلم

الرجل :

ـ لا مؤاخذة ! اظننى اخطأت فى العنوان ! . . هل انا فى بيت محمود بك لطفى ؟

روحية : لا

اللص : طبعا لا

روحية : هذه دار محمود بك عبد العال . .

اللص : ادركت هذا عندما رأيتك ! . . اريد ان اقول اننى عرفت خطئى لان محمود بك لطفى عزب وليس فى داره سيدات . .

وخيل لروحية ان الرجل ابتسم من تحت لثامه . .

وعاد الرجل او اللص يقول :

ـ الحقيقة اننى غشيم فى الصنعة ! . بل هذه اول مرة . .

وترددت الالفاظ فى فمه الى ان **قال** :

ـ هذه اول مرة اسرق فيها . . او على الاصح احاول السرقة . . عن اذنك بأه !

وارتد نحو النافذة كأنه يريد العودة من حيث اتى . .

وكانت روحية قد تبينت ان الرجل او اللص لا يزال فى مقتبل العمر ـ فى مثل سنها او يزيد قليلا ـ وان نبرات صوته هى نبرات رجل مهذب . . رجل متعلم . . ثم . . ثم ما ذا ؟ فى صوته شىء ما تعرفه روحية او خيل اليها انها تعرفه . ولكنها لم تستطع ان تتاكد تماما بسبب هذا اللثام الذى يكتم وراءه نبرات الصوت ولا يصرفها الا بمقدار ! ولكن . . هذا مستحيل من اين لها ان تعرفه ! . . ان هى الا تخيلات . .

ودق باب الغرفة . ونادت الخادمة من وراء الباب . . واستدار اللص بسرعة . . وخطر لروحية ان تستغيث بالخادمة . ولكنها خافت !. ثم شىء ما اوحى اليها الا تفعل . .

وقالت الخادمة من وراء الباب: هل تطلب سيدتى الهانم شيئا ؟

روحية : كلا . .

الخادمة : معذرة اذن عن ازعاجك ولكن خيل الى انى سمعت سيدتى الهانم تنادى ؟

روحية : كلا لم اناد . . ولكن انت ما الذى ايقظك ؟ هل هو صوتى ؟

الخادمة : كلا ياسيدتى . . ان سيدى البيك الصغير يسعل باستمرار وقد قست حرارته فوجدتها ثمانى وثلاثين وشرطتين . . ولم اشأ ازعاجك لانى كنت احسبك نائمة ولكنى سمعت صوتا ينادى . .

وكان « اللص » قد توقف عندما سمع دق باب الغرفة . . ووقف يصغى الى هذا الحديث .

وهمت روحية بالنهوض من فراشها ولكنها تنبهت فجأة الى انها بثياب النوم الشفافة . . وان فى الغرفة رجلا غريبا . .

وتقدم الرجل نحوها خطوتين **وقال همسا :**

ـ خليل مريض ؟

وبهتت روحية . . وهمت ان تقول شيئا . . ولكنها استدارت نحو الباب **ونادت ..**

ـ عودى الى خليل وسوف الحق بك حالا . .

ثم التفت الى اللص وقالت :

ـ من انت ؟ . . وكيف عرفت ان ابنى اسمه خليل ؟

ولم يجب الرجل بل استدار مرة اخرى نحو النافذة يريد الانصراف من حيث اتى !

ولكن شيئا ما او شعورا ما دفع بروحية ان تثب وهى بثياب نومها الشفافة . . وان تخطو بسرعة حتى لحقت بالرجل وهو

يهم بالخـروج من النـافذة . . وامسكت بذراعه . . وهى تسائل نفسـها : هل جننت ؟ . . هل هـذا حلم ! هذا مسـتحيل . . ولـكن . .

روحية : قل لى . . قل لى من انت ؟ كيف عرفت . .

وحاول الرجـل برفق ان يتخلص من يدها . .

ومدت يدها بسرعة تحاول ان تنزع عن وجهه اللثام . . ولكنه كان اسرع منها فقبض على يديها الاثنتين لحظة ، **ثم قال بهدوء :**

ــ لقد عرفت زوجك . . زوجك السابق فى السجن . . وكنت صديقه وقد قص على كل شىء ! . .

وتراخت يدا روحيـة . . وجلست فى مقعد كبير بالغرفة . وساد السكون لحظـة . . **الى ان قالت :**

ــ وماذا قال لك ؟

وسكت الرجل لحظة **ثم قال :**

ــ كان يلعنك فى صلاته وكان يلعنك فى صباحه وفى مسائه

روحية : يلعننى . .

اللص : نعم . ولكنه كان يلعنك وهو يبكى . .

وانحدرت دموع روحية على خديها . .

اللص : قال لى ان لطمة القضاء او لطمة القدر كانت اخف قسوة من لطمتك . .

روحية : لطمتى !

اللص : نعم . لقد لطمت كبرياءه يوم تخليت عنه فى محنته

روحية : نعم . . صحيح . .

اللص: قال لى ولكن جرح كبريائه لم يؤذه بقدر جرح قلبه . . لانك طعنته فى قلبه . .

روحية : نعم . .

اللص : .. وانه حينما كان فى اشد الحاجة اليـك ، والى وقوفك بجانبه . . تخليت عنه بنذالة .. وبقسوة .. ولما رفض ان يطلقك ارسلت اليه مع ابيك تقولين .. نعم طلقنى . فطلقك !

روحية : نعم .. نعم ..

اللص : قص على كل هذا واكثر .. ولقد كان يعذبه ان ابنه الذى لم يره .. سوف ينشـأ ويربى بعيدا عنه وفى بيئة كل من فيها يقول له أن اباه شخص غير جدير بالاحترام

روحية : كلا .. كلا .. هذا غير صحيح . . لقد نشأ خليل على احترام ابيه .. وكنت اقول له دائمـا ان اباه غائب فى سفر طويل .. الا ليته يعرف .. الاليت أبراهيم يعرف كم شقيت وكم تعذبت بسببه . . قل لى هل تلقاه ؟

اللص : استطيع دائما ان القاه .. ونحن صديقان كما قلت .. ونحن الآن زميلان .. لصان !

روحية : .. وما ذا يهمنى !.. الا ليتنى القاه لأقول له كم ندمت عـلى ضعفى وكم شقيت بسببه وكم بكيت ! .. قل له ان روحية لا تزال تحبـه ولا تزال تذكره .. ولا تزال تبكى لانهـا ضعفت امام ابيها ذات يوم ونزلت على ارادته وطلبت الطلاق . . قل له ان روحيـة لم تهنأ يوما واحـدا .. ساعة واحـدة منذ فارقتـه . . قل له . . قل له . ! قل له اننى اريده .. اريده بكل قواى .. اريده بكل خلجـة فى .. بكل عاطفـة فى .. اريده واشتهيه بكل احساس فى وكل شعور فى .. اريده . اريده .

اللص : تريدينه . . كيف ؟

روحية : كيفما يشاء .. وكما يشـاء .. اتبعه انى يذهب .. واقيم معه حيث يكون ..

اللص : تتركين هذا كله . . من اجل لص ؟

روحية : نعم . .

اللص : قصرك . . زوجك المحترم الثرى . . اسرتك . . اسمك . . تتركين هذا كله من اجل ابراهيم ؟

روحية : نعم . . نعم . . والفداء رخيص ! . . قل له . .

اللص : ولـكنه لن يقبل . .

روحية : لماذا ؟ . الا يصدقنى ؟ . الا يؤمن بندمى وعـذابى ودموعى ؟ . .

اللص : مالهذا سوف يرفض ! . . قد يؤمن بما تقولين . . ولكنه لن يقبل . .

روحية : لماذا . . لماذا ؟ . .

اللص : لان السجن لم يفقـد ابراهيم كبرياءه ! . . لقد ورثت عن ابيك ـ كما قال لى ابراهيم ـ ثروته الطـائلة . . انت الآن من ثريات مصر . . الجمعيات الخيرية تتسابق الى بابك . . الحفـلات الخـيرية تتشرف بوجودك . . المجلات المحترمة تزين صـدرها بصـورتك . . لقـد تزوج منك ابراهيم ـ كمـا قال لى ـ وهو فقـير نعم . . ولكنه كان غنيـا بشبابه . . بطمـوحه . . غنيـا بآماله فى المستقبل . . كان يرجو ان يكون شيئا مذكورا فى مهنته . . وان يسـتطيع فى يوم ما ان يضع بين يديك اسما كبيرا وصيتا عريضـا فى عـالم الطب . . كان يرجو ان يعـادل ثروتك بجاهه ونبوغه . . ولـكن . . كل شىء ضاع منه . . اسـمه ضاع . . شرفه . . مهنته . . كل شىء ضاع ! تحطمت كل آماله . . فكيف يقبل اليوم وهو . . وهو المعدم . . اللص . . ان يعـود اليك او تعودى اليه . . سوف يقول لك ما اقوله الآن : « ان هى الا عاطفة ندم قـد غمرتك . . او عاطفة شفقة ورحمة على شخص احبك واحببته ذات يوم . . ولـكنها عاطفة لا تلبث ان تهدأ ثم تموت »

روحيه : كلا . . كلا . . واقسم لك !

اللص : سوف يقول لك ان ثروتك الضخمة تقف بينك وبينه .

روحيه : وما ذنبى أنا فى هذه الثروة . . الا نستطيع أن ننساها؟

اللص : لن يسمح لكما الناس بأن تنسياها ! . . فى كل خطوة سوف تمتد الايدى تشير « هذه روحيه هانم الثرية الكبيرة » . . « هذه روحيه هانم التى ورثت عن ابيها كذا الف فدان وكذا . . وكذا . . وكيت » . . « هذه روحيه هانم التى تطلقت من محمود بك عبد العال الرجل المحترم لكى تعول بثروتها هذا الشريد نزيل السجون » . . كلا يا هانم . . لن يسمح لكما المجتمع بأن تنسيا هذه الثروة !

روحية : كنت أنزل عنها راضية لو كانت لى وحدى . . لو كان هذا من حقى وحدى . . ولكن ابنى . . ابننا خليل . . انها له .

ثم تستطرد وهى لا تزال تبكى . . .

روحيه : ارجوك . . ارجوك أن تجمعنى بابراهيم . . سوف اجثو عند قدميه واقول له : افعل بى وبثروتى ما تشاء . . . فقط خذنى . . خذنى . .

اللص : سوف يقول لك : « انك تعطينني شبابك وجمالك وتقدمين مالك . . وانا ماذا استطيع أن اعطيك ؟ »

روحيه : اقول له : « تعطينى الحب . . تعطينى الهناء . . انى اشتريهما بكل ما أملك والثمن رخيص »

اللص : ولكنك لم تسأليني حتى الآن كيف عاش زوجك هذه السنوات التسع أى منذ خرج من السجن . . .

روحيه : لا يهمنى أن اعرف ! انه مثلى شقى وتعذب . .

اللص : نعم . . لقد شقى وتعذب . . وكان يكفر ويجدف ويلعن ويذكرك ويذكر ابنه ويبكى فى وقت واحد !

روحيه : قل لى بربك ماذا كان يقول عنى .. حدثنى عنه ..
اللص : سيحدثك هو بنفسه !
ونزع اللص عن وجهه اللثـام .. وشاعت عيناها فى وجهه ثم صرخت .. « ابراهيم » وارتمت على صدره .. مغمى عليها
وفى هذه اللحظة دخلت الخادمة والغلام خليل

* * *

اللص (معترضـا على التأليف) : لا .. لا .. فين المؤلف ده ؟ كله الا حكاية الاغماء الآن .. لقـد اضعنا يا استاذ يامؤلف نحو ساعة فى حوار عن الحب والنـدم والعذاب .. وانا ـ بصفتى لصا ـ وقتى ضيق . . والساعـة الآن نحو الثالثة صباحا .. وكل لص يحترم قواعد المهنة والف بابها ، لابد ان يتسلل خارجا قبل طلوع الفجر . وحكـاية الاغماء هذه ممكن أن تستغرق نصف ساعة اخـرى . . ويبقى علينا بعدها ان نصفى الموقف كله .. وهذا يستغرق وقتا طويلا .. والفجر كما قلت على وشـك الظهور . . ولهـذا لا ارى داعيا بالمرة لهـذا الاغماء . . خصوصا أن روحيـة ليست بلهـاء الى حد انهـا لم تدرك أثناء الحوار اننى ابراهيم ! .. بل سل قراءك جميعهـم .. كل واحـد منهم عرف اننى ابراهيـم .. فلا معنى اذن لاصطناع الصدمة والاغماء !
المؤلف : طيب وماذا تقول روحية اذا لم يغم عليها!! .. قل لى حضرتك عـايزها تقـول ايه ! .. اننا معشر مؤلفى القصـة نعمـد دائما الى انزال الستار فى الرواية المسرحيـة أو الى جعـل اشخاص القصة يغمى عليهم تفاديا للحرج وعندما نعجز عن وجود الكلام المناسب

الذى نجريه على السنتهم . . بل هنـــاك بين زملائى الكتاب من يذهب الى حـد اطلاق الرصاص على بطل او بطلة القصة لكى يخرسـه عن الكلام . . أى عن الكلام المناسب الذى عجز الزميل عن أن يجـريه على لسان البطل ! . . وهذا كله تفاديا من الحرج أو طلبا لمتسع من الوقت يفكر فيه المؤلف فى كيف الخروج من هذا الحرج . . والواقع ان هـــذا الاغماء بحضرة اللص سوف يوفر علينا جميعا وقتا طويلا كان سيضيع فى حـوار آخر عن الحب والصفح واستئناف الحياة من جديد . . وربما كانت روحيـــة تسالك ـــ وراسها على كتفك ـــ أن تقص عليها ماذا فعلت أو ماذا فعلت بك الايام طول هذه السنوات حتى انتهى بك المطاف الى ان اصبحت لصا . .

خليل : طيب وانا ؟ . . ماذا اعمل هنا ؟ . . مفروض اننى مريض . . أسعـــل بشدة وعندى حرارة ثمان وثلاثين وشرطتـين فكيف اتيت هنا ولأى سبب ؟ . .

المؤلف : حتـــى الاولاد الصغـــار يعترضون على المؤلفـين !! لقـد قالت لك الخادمة ان ماما مستيقظة . . وانهـا سوف تاتى اليـك بنفسهــــا . . ولقد طال انتظارك لها . . ثم حدث ان ماما صرخت قبـل ان يغمى عليها . . واسرعت الخادمة اليها . . وكان طبيعيـا جدا أن تجرى وراء الخـــادمة لكى ترى ماذا أصاب ماما ! . . ووجودك هنـا ياسى خليل ضرورى لانك ابن الاثنين . . أى انك من العـــوامل التى تربط بين ابراهيم وروحية . . ولا شـــك ان لدخولك عليهما فى هذه اللحظة العاطفية اثرا كبيرا فى اتمام الصلح .

خليل : برضه مازلت أقول ان وجودى هنا ليس ضروريا بالمرة .. ويكفى ان القراء عرفوا من الخادمة وهى وراء الباب ان لروحية ابنا مريضا هو أنا .. ثم عرفوا من اللص اقصد ــ بابا ــ انه يحبنى ويذكرنى .. كما ان الحب المتبادل بين ماما وبابا كاف فى ذاته للصلح .. اضف الى ذلك اننى اذا دخلت الآن فلابد ان يتقدم اللص ــ اقصد بابا ، وهو طبيب كما فهمت ــ ويطلب منى ان افتح فمى واقول آه .. ويكشف على ويجس نبضى . . الى آخره لانى مريض ، وهذا الموقف فيما اعتقد سخيف ومن شأنه أن يضعف من حرارة المشهد الغرامى العاطفى بين ماما وبابا يعنى بين روحية وابراهيم .. ومن قوة الموقف الدرامى ...

المؤلف : عندك حق ... تقدر حضرتك تعود الى فراشك ولا ضرورة كما قلت لوجودك ..

روحية : لقد سكت حتى الآن مع اننى احق من ابراهيم ومن خليل بالاعتراض .. اولا . لم اقتنع حتى الآن بسبب كاف لبقائى مستيقظة .

المؤلف : وهل حضرتك كنت تريدين ان يدخل اللص من النافذة ويسرق من غرفتك ما يشاء ويخرج ... وتنتهى القصة ؟ ... او لعلك تريدين ان يوقظك من النوم ويقول لك (اناحرامى .. انا زوجك الاول .. قومى نتكلم شويه عن الحب والندم والثروة والصفح والغفران ! .. » دى حاجه تجنن !

روحية : لماذا يا استاذ لا تضيق صدرا الا باعتراضاتى ؟

المؤلف : لانها سخيفة !

روحيـــة : وحكاية ابنى خليل التى فاجاتنى بها .. لم تقل لى قبلا ان لى ابنا ...

المؤلف : سبق ان قلت لك اننى لا اســتطيع ان اعرف مقدما كيف ستتطور القصة .. ان الخيال والقلم فرسا رهان .. ثم انا لست مطالبا يا ست روحية بأن اقول لك كل شيء!

اللص (وهو ينظر فى ساعته) : امامك يا استاذ ربع ساعة فقط يجب ان تنهى فيها هذا الموقف وتصرفنى ! .. لان الفجر على وشـــك الظهور ويجب ان انصرف ! انا لص ويجب ان اتحاشى النزول من النافذة فى نور النهـــار .

المؤلف : حضرتك لن تخرج من النافذة .. انت الآن الدكتور ابراهيم .. وسوف تخرج مع روحية ... زوجتك من الباب .. اللهم اذا خطرت لى فكرة جديدة .

روحية : ولكن الا ترى يا استاذ انك حملت المصادفة اكثر مما تطيق ؟! ... انا متبرمة بحيـــاتى .. اذكر زوجى الاول الذى احبه .. وابكيه .. وابقى ساهرة فى ذكراه .. ثم اذا به يهبط على من السماء .. اقصد من النافذة . هـــذا كثير ! كثير جدا ! اخشى ان قراءك المعجبين بك سوف يرمون بالمجلة جانبا ويضحكون أو يسخرون من ضخامة هذه المصادفة ؟

المؤلف : ان المصادفة عامل اساسى وجوهرى فى بناء القصة . ولكل ناقد ان يناقش المؤلف الحساب العسير فى فكرة القصة وفى هيكلها وبنائها ومغـــزاها وحوارها وزمنها .. يناقش كل شيء الا ما يتعلق بالمصادفة ! . .

المصادفة كما قلت عامل اساسى مسلم به منذ مئات السنين اى منذ خط القلم اول قصة ! والا لكانت قصة مأساة اوديب الملك سخافة خالدة ... لانها كلها سلسلة من المصادفات جر بعضها بعضا وقام بعضها على بعض .. وقصص شكسبير الخالد ملآى بالمصادفة وعنصر المصادفة ... ان المصادفة هى العامل الرحيم الذى يلجأاليه المؤلف ليحل به العقدة او الاشكال .. بل هى الوسيلة الناجعة فى اختصار الوقت وتوفير المجهود والا فتصورى اى مجهود كنت ابذل فى الكتابة لكى اصف جهودك ومساعيك فى العثور على حبيبك ابراهيم ! او فى الجمع بينك وبين ابراهيم !

اللص : وهل يجب ان التقى بروحية وان نستانف معا حياة الزوجية ؟

المؤلف : لكى تنتهى القصة ! .. والا فاى ختام تقترحه ؟ ... روحية شابة متزوجة من كهل طيب القلب نعم ولكنها لاتحبه وهى لا تزال شابة .. انها تطلب حقها من متعة الحياة كامراة .. وهذه المتعة لا تلقاها فى الحياة مع زوجها محمود بك ! اذن ماذا ؟ .. تنفجر وتفجر ؟! .. تتخذ خليلا ؟ . تخرج الى الطريق وتطلب المتعة الحرام ! ... لقد وقفت امام النافذة .. والليلة ليلة صيف .. وفى انفها عطر الزهر وفى صدرها حرارة الشباب .. وفى عروقها دم الانوثة يتدفق .. ذكرت شبابها .. ودمعت عينها وذكرت حرمانها ودمعت عينها .. وذكرت حبها الاول وزوجها الاول ودمعت عيناها ! ماذا تفعل امراة فى هذا الموقف ؟ او

ماذا افعــل بها انا المؤلف ؟ وكيف انهى القصة . انها كانت امراة ثائرة .. انثى ثائرة . . ثائرة على نصيبها . . على القدر .. على حرمانها ... كانت فى ثورة نفسية عنيفة تسمح لها بأن تفعل اى شىء !! ولــكننى مؤلف نظيف وانا اعتز دائما بأننى احــرص على ان اجعـــل اشخاص قصصى قوما نظيفين .. ليس بينهم سافل واحد ولا وغد واحد ولا دنىء واحد ولا بغى واحدة ، لاننى لا احب ان اســتغل قذارة الاخلاق او الغــرائز السفلى فى اثارة انفعالات رخيصة فى نفوس القراء .. انا لا انكر ان هناك مدرسة اخرى من كتاب القصص العالمى وهؤلاء ينزعون الى تصـــوير الغرائز البشرية الحيوانية .. ويخلقون اشخاص او ابطال قصصهم من اقذر طينة .. ولكننى افضل ان اكون من كتاب المدرسة الاولى .. مدرسة النظافة ، ولهذا آثرت ان ارد روحية الى زوجها الاول بدلا من ان ادفعها الى طريق الضــلال والمتعة الحرام تروى منها وتشبع انوثتهــا الظمــأى الجائعة !

روحية : ولكنك من اجل هذه النظافة تــكلفنى شيئا كثيرا ! .. ماذا اقول ! .. لقد فارقت ابراهيم هــذا منذ ١١ عاما . ولنسلم بأننى ما زلت احبه . واننى مازلت اذكره ولكن يا استاذ ! . انا سيدة من اسرة كبــيرة ومتزوجة من رجل فاضــل طيب القلب .. لا احبه .. ولكنى لا اكرهه .. هل يكفى ان يدخل على من النــافذة لص يتبين فيما بعد انه زوجى السابق ابراهيم لــكى ارتمى فى احضانه واقول له خذنى! .. كيف؟ .. وكيف

استطيع أن اطمئن اليه بعد فراق ١١ عاما ؟ .. انا اجهل كل شيء عن حياته طول هذه السنوات ... فكيف اضحى باسمى واسم اسرتى .. وبدارى هذه وبزوجى المحترم ... من اجل ابراهيم حتى ولو كنت احبه ؟ ان الحب هنا لا يكفى ! هذا غير معقول !

المؤلف : غير معقول ؟! تقولين غير معقول ؟ وتقال لى انا .. وانا الحريص على ان اكون معقولا .. وان يكون اشخاص قصصى دائما قوما شرفاء معقولين ؟! اذن ماذا يقال عن لص الاستاذ توفيق الحكيم الذى دخل من النافذة فوجد فتاة عائدة من السينما ، وتحدث اليها طويلا فى الاشتراكية واطمأنت هى اليه وحدثته عن زوج امها الذى يراودها عن نفسها . وكانت نتيجة هذا الحديث ان احب كلاهما الآخر ـ كده خبط لزق ـ واتفقا على الزواج وان تهجر الفتاة الدار وان تخرج مع اللص فى ظلمة الليل الى المستقبل المجهول ! .. هل هذا هو المعقول ؟! لص من عرض الطريق لا يعرف الفتاة ولا الفتاة تعرفه ، وليس بينهما سابق عهد ولا حب ولا معرفة .. ويجوز أن يكون كاذبا فى اقواله .. ومع ذلك تصدقه الفتاة ... وترضى به زوجا ... وترضى ان تهجر دارها وتضع مستقبلها بين يديه ! .. وكل هذا فى ساعة واحدة ! .. ثم يقال لى انا : « غير معقول » ! على الاقل الحرامى بتاعى اناكان متزوجا من حضرتك يا ست روحية وكان يحبك وكنت تحبينه ولا تزالين تحبينه .. وكنت تذرفين الدمع من اجله لحظة دخل عليك من النافذة .. ثم هناك ولدكما خليل

يربط بينكما . وانت تعتقدين فوق هذا وذاك انك اسات الى ابراهيم يوم وافقت على طلاقك منه وتودين أن تكفري عن اساءتك اليه ، فهل يقال بعد هذا كله ان عودتك اليه أمر « غير معقول » ؟ .. ولكنه « أمر معقول » عندما يدخل حرامي توفيق الحكيم ويبلف بنت ذوات لا تعرفه ولايعرفها ويحملها على الرضا بالزواج منه ! .. هذا هو الامر المعقول ؟! .. دي حاجة تجنن يا ناس ..!

روحية : ايه رايك يا ابراهيم ؟

اللص : اظن ان الاستاذ المؤلف عنده حق .. وانت وانا وجميع الناس نعرف ان هناك سيدات وفتيات من أسر محترمة هربن مع سائق السيارة أو مع الطاهي .. او مع افاق من عرض الطريق .. لشهوة عارضة أو نزوة نفسية مع انهن كن سعيدات في حياتهن الزوجية او في حياة الاسرة .. فلا بأس اذن اذا انت تركت دارك وزوجك لكي تعودي الى انا زوجك الاول .. واعتقد ان في نية الاستاذ ان يعقد زواجنا من جديد !

المؤلف : طبعا بعد طلاق روحية من محمود بيه

اللص : عندي اعتراض وقد ترددت طويلا قبل أن افضي به اليك .. ابراء لذمتي . فهل تسمح ؟

المؤلف : وما هو ؟

اللص : لم تفسر لنا حتى ولا في عبارة موجزة سريعة كيف هبطت انا الطبيب المتعلم وطبعا من أسرة طيبة الى ان اكون لصا أتسلق الجدران وادخل الدور من النوافذ بقصد السرقة ؟ طبعا انا اعرف انني ارتكبت عملا

مخالفا للقانون يوم أجريت عملية اجهاض لفتاة . . .
وأعرف انى دخلت السجن وخرجت منه بعد عام . . .
ولكن جنحة الاجهاض ليست فى ذاتها عملا مخالفا
للشرف .. بل هى عملية يجريها الاطباء قانونا وشرعا
فى بعض الظروف .. اى ان ارتكابها لا يقوم فى ذاته دليلا
على وجود لوثة فى اخلاق الطبيب او على ميل طبيعى
فيه وفى اخلاقه نحو الاجرام ... فكيف اذن انحدرت
الى اللصوصية ؟! .. اننى احمل دبلوم الطب ...
صحيح انه اصبح محظورا على ان أمارس مهنتى كطبيب
.. ولكنى اعتقد انه كان فى امكانى بعد خروجى من
السجن ان اجد عملا شريفا يقينى شر الحاجة خصوصا
ان التهمة التى دخلت من اجلها السجن لم تكن كما قلت
من الجرائم التى تخدش الشرف او تحول بينى
وبين العمل !! لماذا لم أشتغل مثلا فى وظيفة مساعد فى
عيادة أحد الزملاء الاطباء .. او وظيفة كبير الممرضين
فى مستشفى ؟

المؤلف : عندك حق ! .. واعتراضك هذا قام فى
خاطرى منذ البداية ! وانا الآن أشعر بضعف هذه
النقطة فى قصتى ... ولكن ماذا اعمل ؟ روحية هانم
هذه كان لها زوج ودخل السجن .. فمن يكون هذا
الزوج ؟

هل يكون موظفا كبيرا فى الحكومة اختلس أو ارتكب
جريمة الرشوة ؟ .. مثل هذا الشخص لايكون جديرا
بعطف القراء لان فعلته من الجرائم التى لايسهل الدفاع
عنها والتى لايهضمها الذوق السليم ؟ .. هل يكون محاميا

بدد رسوم القضايا ؟ . . الحال من بعضه ! لهذا فضلت ان تكون الجريمة التى دخل الزوج من اجلها السجن من الجرائم التى يعدها القانون كذلك . . بينما ينظر اليها الجمهور نظرة اخف وارحم من نظرة القانون واخترت الاجهاض ومن ثم اخترت الطب مهنة للزوج الشاب .

اللص : ولكن اعتراضى لايزال قائما ! لانك لم تفسر لى كيف انحدر الطبيب الى اللصوصية ولماذا عجز عن ان يجد لنفسه عملا شريفا يغنيه عن تسلق الجدران ؟

المؤلف : قل لصاحب المجلة او لسكرتير التحرير ان يضع تحت تصرف القصة بضع عشرة صفحة بدلا من ثلاث أو اربع صفحات وانا اقص عليك كيف حدث هذا ! . . . انكم لاتعرفون ضيق النطاق الذى نتحرك فيه نحن كتاب القصة القصيرة ! . . ان صاحب المجلة يحرص على ان تكون مجلته ذات رسالة ـ كما يقول ـ ولهذا يصر وهو ينفث دخان سيجاره، على ان تكون القصة ذات مغزى وذات موضوع ! ومدير التحرير الحريص على على ارضاء اكبر عدد ممكن من جمهور القراء يطلب ان تكون القصة خفيفة ! . . وسكرتير التحرير يلح فى ان لاتزيد القصة على كذا صفحة . والا جاءنى بالمسودة يطلب منى أن اختصر من قصتى ! . . ماذا يفعل المؤلف المسكين ؟ . .

اللص : ولكنى اقرا احيانا فى بعض الصحف قصصا قصيرة محبوكة الاطراف منسجمة اجزاؤها وشخصياتها وحوادثها تمام الانسجام !

المؤلف : هذه ياصاحبى قصص مصرية بالاسم ولكنها

« أفرنجية » لحما ودما ! . . . هـذه قصص منقولة عن قصص أوروبا وأمريكا . . بعد تغيير اسـماء شخصيات القصة ! . . هنريت تصبح عزيزه هانم ! والكونت موريس يصبح محمد بك . . . وهكذا !

اللص : ولكن لماذا لا تسـتطيعون انتم هنـا ان تكتبوا قصصا قصيرة محبوكة مثل قصص كتاب الغرب هؤلاء ؟

المؤلف : لان المؤلف هناك يكتب قصـته القصـيرة فى اسبوع . . . او اكثر ! عنده اذن كل الوقت لكى يفصـل على مهل . . . ويقيس على مهل . . . ويصلح على مهل . . . ويحوك ويحبك عـلى مهل ! ويقبض فى قصته اجـرا يكفيـه ان يعيش اكثر من اسـبوع !. . . اما هنا فنحن نكتب القصة فى سهرة واحدة . . لان سعر القصة فى مصر لا يسمح لنا ان نضيع من وقتنـا اكثر من ساعتين او بضع ساعات . . والآن وقد دخلنا فى كل هذه التفصيلات هل استطيع ان اعرف بقيـة اعتراضـاتكم وملاحظاتكم حتى استطيع بعدها ان انهى هذه القصة ؟

روجيه : اريد ان اعـرف ماذا سـيكون موقفى بين زوجى رقم واحد ، وزوجى الحالى رقم اثنين هل تنوى ان تجمع بيننا اى بينى وبين محمود وابراهيم ؟ . . اظن ان الموقف حرج وصعب . .

المؤلف : ليست صعوبة الموقف هى التى تخيفنى . . بل لعله من المواقف التى تتجلى فيها براعة الـكاتب ! . . عرض مختلف العواطف . . وصدام مختلف العواطف . . الحب ــ الاثرة ــ الشباب الخائف ــ الكهولة اليائسة ــ الخوف من الفضيحة ــ الغيرة والامل ــ الندم . هذه كلها

عواطف وشهوات يستطيع الكاتب ان يقرع بعضها ببعض . . ولكن خسارة ! هذه كما قلت قصة قصيرة . . وهى قد زادت الآن فعلا على المساحة المخصصة لها . .

اللص : اذن ماذا ؟ الا يمكن أن تجعل محمود بك يحضر الآن وننهى الموقف بيننا فى كلمتين وبهدوء ؟

المؤلف : هل افهم أن حضرتك تقترح أن يدخل الزوج فتقدمك اليه روحية قائلة « حضرته حرامى دخل على من النافذة ثم ظهر انه زوجى الاول الدكتور ابراهيم وأنا احبه . . طلقنى بأه » . . فيرسل محمود بك ويستدعى المأذون ويطلقها ثم يدعوكم جميعا لتناول طعام الافطار ؟

ـ **اللص** : والله تبقى فكرة !

المؤلف : نعم . . ولكنها فكرة امريكية وارد هوليوود ! . .

روحية : اذن فليكن زوجى رقم ٢ محمود بك عبدالعال مصابا بضغط الدم المرتفع مثلا . ويدق جرس التليفون الآن وتذهب الخادمة وتعود فتقول ان ادارة النادى الذى يقضى فيه محمود بك سهراته تبلغنا نبأ وفاته بالسكتة القلبية اثر انفعال شديد أثناء لعب القمار . . . ! أو بلاش تليفون . . تحضر سيارة الاسعاف الآن وفيها جثته . .

المؤلف : طريقة رخيصة وسهلة لحل الاشكال وتصفية الموقف . ثم هى مصادفة ضخمة ! . . أن يموت زوجك الثانى ليلة مقابلتك لزوجك الاول .

روحية : ولكنك دافعت عن عامل المصادفة ! . .

المؤلف : الجمهور يقبل منى مصادفة واحدة . . لا مصادفتين فى قصة واحدة . . قد يقبل هذا من سوفكليس مؤلف أوديب ولكنه لا يقبله منى !

الخادمة : طيب . . . يجعل سـيدى محمود بك يدخل علينا فجأة الآن ويرى الدكتور فيضربه بالرصاص ويضرب ست هانم بالرصـاص ويضرب نفسه بالرصاص كمان !

المؤلف : انا لست يوسف بك وهبى .. ثم سـيدك محمود بك رجل طيب القلب هادىء الطبع ومثله لا يضرب بالرصاص .

الخادمة : طيب بلاش ده كله ! انا سمعت ست هانم تصرخ فجئت مسرعة ووجدتها مغمى عليها على صـدر حضرة الدكتور .. وبعدين عرفت منها انه زوجها الاول وانها تحبه .. واعود فأوقظ سيدى الصغير خليل بيه ونخرج كلنا كده من سكات .. بعد ما ست هانم تكتب جواب لسيدى محمود بك وتتركه له على مكتبه ! !

المؤلف : هل هناك اقتراحات اخرى ؟

روحيه : نفرض ان الليلة هى عيد زواجى الثانى .. كأن نكون ـ محمـود بك وانا ـ تزوجنا مثلا فى يوم رأس السنة الهجرية خصوصا انك جعلتنى أسـتمع الى قصيدة نهج البردة التى اذيعت بهذه المناسبة .. ولقـد تذكر زوجى فجأة اثناء وجودى فى النادى ان هـذه ليلة عيد زواجنـا فعـاد مبكرا الى الدار على غير عادته لعله يدركنى قبل أن انام ويقدم لي هـدية ما .. وعليك انت يامؤلف أن تدخله الدار دون ان نشعر ـ ابراهيم وانا ـ بقدومه وأن تمكنه من سماع ما دار بينى وبين ابراهيم ؟

المؤلف : وبعدها ؟

روحية : لك الخيار ..اما أن تجمع بيننـا ونصفى

الموقف . . .

المؤلف : سبق ان رفضنا هذه الفكرة .

اللص : محمود بك رجل طيب كما قلت انت وخبير بالحياة . ولقد سمع ان روحيه لا تزال تحبنى وتريد العودة الى .. اذن يدخل علينا ويطلقها !

روحيه : او بلاش يدخل .. يذهب الى غرفة مكتبه ويكتب خطابا يتركه لى مع الخادمة وينصرف وتحمل الخادمة الى الخطاب واقرأ فيه انه عرف كل شىء . وانه يرد لى حريتى .. وسوف يرسل لى غدا ورقة الطلاق !

المؤلف : بين اقتراحاتكم ما يمكن قبوله مع شىء من التعديل ... ولكنى أصارحكم بانه ليس بينها جميعا حل واحد ارتاح اليه حقيقة !

روحيه : اذن كيف تريد ان تنهى القصة ؟

المؤلف : ربنا يفرجها ! .. انا شخصيا اعرف منكم بنقط الضعف فى هذه القصة .. ولكننى كما قلت مقيد بحدود الوقت والمساحة .

روحية : ولكننى اعتقد اننا استعرضنا جميع الحلول الممكنة لنهاية القصة .. وأن لا مفر لك من اختيار احدها !

المؤلف : ربما كان ما تقولينه صحيحا .. واذا لم اوفق الى حل آخر ارتاح اليه فسوف أختار احد اقتراحاتكم .. ولكننى الآن متعب .

الموجودون : اذن سعدت مساء او صباحا ! والى الملتقى فى فرصة أخرى .

المؤلف : الى الملتقى ! وسوف انهى هذه القصة فى

الصباح !

الخادمة : صدقنى أن خير الحلول هو اقتراحى الثانى !

المؤلف : وهو يتثاءب ! وما هو ؟

الخادمة : أن تكتب روحية هانم خطابا لسيدى محمود بك وتتركه له . . . وتهرب الليلة هى وابنها مع سيدى الدكتور ؟ . . . بنات الذوات بيعملوا كده .

المؤلف : سوف نرى !

* * *

ثم يوسد المؤلف راسه المكتب ويستغرق فى نوم عميق !!

كتاب الشهر القادم

إيران على بركان

محمد حسنين هيكل

كتاب اليوم

صاحباه

مصطفى أمين وعلى أمين

رئيس التحرير

عبد العزيز عبد العليم

كتاب شهرى

يصدر عن

دار أخبار اليوم

الإدارة والتحرير

والإعلانات والتوزيع :

شارع الصحافة

المراسلات :

[illegible]

تليفون ٧٧٧٧٧

عشرة خطوط

الاشتراكات

فى مصر والسودان ١٠٠ قرش بريد عادى و ١٢٠ قرشا بريد مسجل - فى البلاد العربية والبلاد الداخلة فى اتفاقية البريد ٢٥٠ قرشا بالبريد المسجل او ٣ جنيهات استرلينى وواحد شلن و ٥ر٦ بنس - فى البلاد الخارجة عن اتفاقية البريد ٤٥٠ او ٢٥ دولارا بالبريد المسجل

بطل السباحة عبد المنعم عبده

